قصص الأنبياء

في القرآن الكريم



سلسلة المعارف التعليمية

السيرة والتاريخ



دار المعارف الإسلامية الثقافية

سِلسِلةُ المَعارِفِ التَعليميّة

قصص الأنبياء عليهم السلام

في القرآن الكريم



دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الـكـتـاب: **قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم**

إعـــداد: **مركز المعارف للمناهج والمتون التعلميّة**

إصـــدار: **دار المعارف الإسلامية الثقافية**

تصميم وطباعة: DBOUK 0096113336218

الطبعة الأولى: 2019م

ISBN 978-614-467-089-7

books@almaaref.org.lb
00961 01 467 547
00961 76 960 347

سلسلة المعارف التعليمية

قصص الأنبياء عليهم السلام
في القرآن الكريم



دار المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمّدٍ وآله الطاهرين عليهم السلام، واللعنةُ الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

حكى القرآن الكريم في مواضع كثيرة من آياته، محطّات من حياة الأنبياء عليهم السلام وسيرتهم التبليغيّة؛ ممّا لم يكن للناس علم بها: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، أو كانوا منها على سمع منحرف عن الواقع الذي كانت عليه: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3]، فقدّمها القرآن الكريم بالحقّ، مصدِّقة لما جاء في الكتب السماويّة السابقة، ومحمَّلة بالدروس والعِبَر وبيّنات الهداية، لكلّ مَنْ كان له عقل متأمِّل مُعتَبِر، ولم يكنْ إيراده لها للتسلية والترويح عن الأنفس، بل لهداية الناس إلى سُنن الهداية الإلهيّة التكوينيّة والتشريعيّة، الجارية في أنبيائه عليهم السلام وأقوامهم، والتي تجري فيهم، وستجري فيمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، وفي ذلك رحمة لهم من ربّهم، لا يتعرّض لنفحاتها، ولا ينتفع بها، إلّا من آمن بالقرآن، وسكنت تعاليمه في قلبه، ووقف عند حدوده ومواعظه وزواجره.

---

(1) سورة يوسف، الآية 111.

(2) سورة هود، الآية 49.

(3) سورة آل عمران، الآيتان 61-62.

من هذا المنطلق، سعى مركز المعارف للمناهج والمتون التعليميّة إلى العمل على إصدار كتاب تدريسيّ، يتناول قصص الأنبياء عليهم السلام، بالتركيز في الجانب الدعويّ العقديّ، والقيميّ والتشريعيّ والسننيّ في حياتهم وسيرتهم، واستلهام الدروس والعِبَر والتعاليم منها، فكان هذا الكتاب «قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم» خطوة من الخطوات المبذولة في سبيل العودة إلى القرآن، والارتباط المعرفيّ والمسلكيّ والوجدانيّ به، بعد إصدار سلسلة من الكتب القرآنيّة: «مفردات القرآن الكريم»، و«دروس في علوم القرآن الكريم»، و«أساسيّات علم التفسير»، و «التفسير التربويّ الميسّر»، و«هدى القرآن»، و«بيّنات في معرفة القرآن»، على أمل استكمال العمل على دراسات قرآنيّة أخرى في المستقبل القريب، بإذن الله تعالى.

ويُتوخّى من هذا الكتاب المساهمة في تعزيز الارتباط الوجدانيّ والروحيّ بأنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام، ومعرفة قصص أبرز الأنبياء عليهم السلام المذكورين في القرآن الكريم، إضافة إلى الوقوف عند خصائص قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، وإدراك الأبعاد التبليغيّة والعقديّة والقيميّة والتشريعيّة في حياة الأنبياء عليهم السلام.

وقد راعينا في تأليف الكتاب المنهجيّة التالية:

- رصد الآيات المتعلّقة بقصص الأنبياء عليهم السلام الذين ورد ذِكْرهم في القرآن الكريم، والعمل على جمعها وتصنيفها بحسب كلّ نبي من الأنبياء عليهم السلام، وإيراد قصصهم عليهم السلام بحسب التسلسل التاريخيّ لهم.
- الاستناد في بيان قصص أيّ نبي من الأنبياء الواردة في القرآن على المصادر التفسيريّة والحديثيّة والتاريخيّة.
- استخلاص البحث القرآنيّ الموضوعيّ منها؛ (نبذة عن حياة النبيّ عليه السلام وخصائص بيئة قومه/ جهوده على مستوى الدعوة/ الأبعاد العقديّة والقيميّة والتشريعيّة والسننيّة في حركة النبيّ عليه السلام / الاستنتاج/ التوظيف السُنَنيّ).
- استلهام الدروس والعِبَر والتعاليم السننيّة من قصص هذا النبيّ عليه السلام.

- تقسيم الكتاب إلى ستّة عشر درساً، ومراعاة التقارب قدر الإمكان في حجم الدروس، من خلال إيراد القصص المفصّلة في القرآن لنبي من الأنبياء عليهم السلام في أكثر من درس، وإيراد القصص الموجزة لمجموعة من الأنبياء عليهم السلام في القرآن في درس واحد.
- وضع أهداف لكلّ درس، مستقاة من الأهداف العامّة للكتاب.
- وضع خاتمة في نهاية كلّ درس، تتضمّن أبرز الأفكار الرئيسة المطروحة فيه.
- وضع أسئلة لكلّ درس، تتوخّى فحص نسبة فهم الطالب له.
- وضع فقرة مطالعة تحتوي على رواية تشير إلى نبذة من حياة النبيّ عليه السلام.
- توثيق المصادر والمراجع توثيقاً منهجيّاً علميّاً، وفق قواعد توثيق البحث العلميّ.

وحتّى نكون موضع عناية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خياركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[1]، نضع بين أيديكم هذا الجهد المتواضع، عسى أن يتقبّله الله -تعالى-، ويكون خطوة في طريق العودة إلى القرآن والارتباط به.

والحمد لله رب العالمين
مركز المعارف للمناهج والمتون التعليميّة

(1) الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة، ط1، قمّ المقدّسة، دار الثقافة، 1414هـ.ق، ص357.

الدرس الأوّل

النبيّ آدم عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصّة النبيّ آدم عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيّ آدم عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصّة النبيّ آدم عليه السلام.

قصّة النبيّ آدم عليه السلام

النبيّ آدم عليه السلام هو أبو البشر، وأوّل الأنبياء الإلهيّين الذين ارتضاهم الله تعالى لهداية البشريّة: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[1]. وقد ورد ذِكْره في مواضع عدّة من القرآن الكريم[2]، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا

---

(1) سورة طه، الآيتان 122-123.

(2) انظر: سورة البقرة، الآيات 30-39؛ سورة آل عمران، الآية 59؛ الأعراف، الآيات 11-27؛ سورة الحجر، الآيات 26-42؛ سورة الإسراء، الآيات 61-65؛ سورة الكهف، الآية 50؛ سورة طه، الآيات 115-124. وقد أوردنا هذه الآيات في ملحق الكتاب.

﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

ومن خلال التأمّل والتدبّر في هذه الآيات التي تحكي قصّة النبيّ آدم عليه السلام، وفي آيات أخريات، ومن خلال ربط بعضها ببعضها، يمكن تقديم قصّته عليه السلام، واستخلاص التعاليم منها، ضمن المحطّات التالية:

خَلْق آدم عليه السلام

كشف القرآن الكريم عن كيفيّة خلق آدم عليه السلام؛ وذلك ضمن ثلاث مراحل، هي:

أ. المرحلة الطينيّة:

بيّن القرآن الكريم ابتداء خلق آدم عليه السلام من هذه المرحلة، التي عبّر عنها بأحد تشكُّلاتها في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾[2]. وقد مرّت هذه المرحلة بستّة تشكُّلات متتالية، هي:

- **التراب:** من دون إضافة أيّ عنصر آخر له: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3].
- **الطين:** وهو التراب الممتزج بالعناصر المادّيّة الأخرى (الماء/ الهواء/ الحرارة): ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[4].
- **طين لازب:** وهو الطين الشديد التماسك، الملتصق بعضه ببعض، الملازم له[5]: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[6].

---

(1) سورة البقرة، الآيات 30-39.

(2) سورة السجدة، الآيتان 7-8.

(3) سورة آل عمران، الآية 59.

(4) سورة السجدة، الآية 7.

(5) انظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، لا ط، قمّ المقدّسة، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1404هـ.ق، ج5، مادّة «لزب»، ص245؛ الراغب الأصفهانيّ، حسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط2، قم المقدّسة، مطبعة سليمانزاده؛ طليعة النور، 1427هـ.ق، مادّة «لزب»، ص739.

(6) سورة الصافات، الآية 11.

* **سلالة من طين:** وهي صفوة الطين وخلاصته[1]، بعد سلسلة من التغيّرات التي مرّ بها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾[2].
* **حمأ مسنون:** وهو الطين الأسود المتغيّر، المصبوب والمفرَّغ حتّى صارت له صورة[3]: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[4].
* **صلصال:** وهو الطين الجافّ اليابس الذي يُسمع له صوت عند نقره[5]؛ كالفخّار: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[6]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾[7].

وبذلك تكتمل تشكُّلات المرحلة الطينيّة لخلق آدم عليه السلام، ويتهيّأ للمرحلة الثانية، وهي مرحلة التصوير والتسوية.

ب. مرحلة التصوير والتسوية:

بعد اكتمال تشكُّلات المرحلة الطينيّة، تأتي المرحلة الثانية لخلق آدم عليه السلام، وهي مرحلة تصويره وتسويته المادّيّة على هيئة وصورة مخصوصة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾[8]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾[9].

---

(1) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج3، مادّة «صل»، ص276-277؛ الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، مادّة «سل»، ص418.

(2) سورة المؤمنون، الآية 12.

(3) انظر: الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزوميّ؛ إبراهيم السامرائيّ، ط2، لا م، مؤسّسة دار الهجرة؛ مطبعة الصدر، 1410هـ.ق، ج3، مادّة «حما»، ص312؛ ج7، مادّة «سن»، ص197؛ الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، مادّة «حمى»، ص259، مادّة «سنن»، ص429؛ الطريحيّ، فخر الدين: مجمع البحرين، ط2، طهران، مطبعة چاپخانهء طراوت؛ مرتضوي، 1362هـ.ش، ج1، مادّة «حمأ»، ص107.

(4) سورة الحجر، الآية 26.

(5) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج3، مادّة «صل»، ص276-277؛ الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، مادّة «صلل»، ص488.

(6) سورة الحجر، الآية 26.

(7) سورة الرحمن، الآية 14.

(8) سورة الحجر، الآيتان 28-29.

(9) سورة الأعراف، الآية 11.

ج. مرحلة نفخ الروح:

وهي المرحلة الأخيرة في خلق آدم عليه السلام؛ وبها كرّمه الله تعالى على سائر خلقه، وأسجدهم له تشريفاً وتعظيماً: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[2]. فقبْل هذه المرحلة لا يتميّز هذا المخلوق من غيره من المخلوقات. لاشتراكهما في العناصر الأرضيّة المادّيّة الأربعة، ولا ميزة للهيئة والصورة الآدميّة على هيئات المخلوقات الأخرى وصورها؛ لأنّ كلّ هيئة وصورة مناسبة للمخلوق ،بل أحسن ما يكون له، كلٌّ بحسبه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[3]، والذي حصل به التمايز والتفضيل هو نفخ الروح فيه، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[4]؛ لمكان «الفاء» في قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾؛ وهي تفيد الترتيب وعدم التراخي، فبنفخ الروح في هذا المخلوق الآدميّ حصل التمايز والتفضيل، وهو ما أشار إليه القرآن في مرحلة نفخ الروح في ذرّيّة آدم عليه السلام: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[5]؛ لأنّ الروح من عالم الأمر: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[6]؛ وهو عالم علويّ مهيمن على العوالم كلّها، منزّه عن خواصّ عالم المادّة الزمانيّة والمكانيّة، من التغيير والتبديل والتحويل والتدريج: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[7]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[8].

---

(1) سورة الحجر، الآيتان 28-29.
(2) سورة الأعراف، الآية 11.
(3) سورة السجدة، الآية 7.
(4) سورة الحجر، الآيتان 28-29.
(5) سورة المؤمنون، الآية 14.
(6) سورة الإسراء، الآية 85.
(7) سورة القمر، الآيتان 49-50.
(8) سورة يس، الآيتان 82-83.

استخلاف آدم عليه السلام في الأرض

حكى القرآن الكريم قصّة استخلاف آدم عليه السلام في الأرض بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، وأورد سؤالاً صادراً عن الملائكة على نحو الاستفسار وطلب فهم الحكمة من وراء هذا الجعل، انطلاقاً من علمهم بخصائص هذا الموجود، وعالمه الأرضيّ الذي لا ينفكّ عن التزاحم والمحدودية، بما يؤدّي إلى الفساد والإفساد، ما يحول دون قيامه بحقّ الاستخلاف، وهو حكاية كمال المستخلف بنحو أتمّ من غيره من المخلوقات، والوساطة بينه وبين خلقه: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[2]؛ والحال أنّ من لوازم الاستخلاف تسبيح المستَخلَف وتقديسه للمستَخلِف، وهذا ما لا تعينه عليه خصائص النشأة الأرضيّة، ولا ينهض به إلّا موجود علويّ ملكوتيّ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[3]. إنّ هذا الاستفهام الصادر عن الملائكة ليس على نحو الاعتراض، بل على نحو طلب فهم ما خفي عن علمهم الذي أوقفهم الله تعالى عليه، وما به مناط استحقاق الخلافة عن الله تعالى. ويؤيّد ذلك ما ذكره القرآن الكريم عقيب استفهامهم من قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[4]. فلم ينههم الله تعالى عن هذا الاستفهام، ولم يُعرِض عن جوابهم، بل بيّن لهم على نحو الإجمال أنّ هناك حقائق غيبيّة محجوبة عنهم، وهي:

أوّلاً: إنّ مناط استحقاق الاستخلاف هو بالعلم الذي يتحمّله المستخلِف عن

(1) سورة البقرة، الآية 30.
(2) سورة البقرة، الآية 30.
(3) سورة البقرة، الآية 30.
(4) سورة البقرة، الآيات 30-39.

المستخلَف، وليس بالعبادة التي يلزمها التسبيح والتقديس، وإنْ كانت العبادة لازماً لا ينفكّ عن العلم.

وثانياً: إنّ هذا المستخلَف ليس موجوداً أرضيّاً؛ أي ليست نشأته نشأة مادّيّة منحصرة بعالم المادّة المحدود، بل هو موجود من عالم الأمر، وهو عالم ثابت محيط ومهيمن على العوالم كلّها -كما تقدّم بيان ذلك-، وكما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ فعِلْمُ آدمَ بالأسماء في ظرف وجود مسمَّياتها هو علم لا تطيقه الملائكة في ظرف وجودها، فعالم الملائكة أدنى رتبة من عالم حقائق هذه الأسماء، وهذا ما أقرّت به الملائكة أنفسها: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾. فالموجود المستخلَف، وإنْ كان ينشأ نشأة أرضيّة، إلّا أنّ فيه استعداداً للعروج والقرب إلى حيث لا يمكن لموجود آخر غيره أن يصل إليه، حتّى الملائكة.

وثالثاً: إنّ هذا الموجود المستخلَف لا تصرفه خصائص النشأة الأرضيّة المادّيّة المحدودة عن القيام بحقّ الاستخلاف[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الاستخلاف الإلهيّ لآدم عليه السلام، هو استخلاف للنوع الإنسانيّ؛ فلو كانت الخلافة لآدم عليه السلام وحده، لما كان هناك وجه لسؤال الملائكة، ودعواهم الإفساد وسفك الدماء في الأرض، والحال أنّ آدم عليه السلام لم يصدر عنه ذلك: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[2]. كما أنّ القرآن الكريم صرّح في مواضع عدّة بأنّ الاستخلاف ليس لشخص آدم عليه السلام فحسب، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ...﴾[3]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[4]. على أنّ هذا الاستخلاف هو للمتحمِّل

---

(1) انظر: الطباطبائيّ، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، لا ط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، لا ت، ج1، ص117 – 119.

(2) سورة طه، الآية 122.

(3) سورة ص، الآية 26.

(4) سورة النمل، الآية 62.

من هذا النوع الإنسانيّ؛ لأمانة الاستخلاف حقّ التحمّل، وليس لكلّ أفراد هذا النوع، وفيهم مَنْ هو كالأنعام، بل أضلّ سبيلاً!

تكريم آدم عليه السلام وتشريفه

بعد أنْ خلق الله تعالى آدم عليه السلام، أَمَرَ ملائكته ومَنْ دونهم مِنْ خَلقه بالسجود له عليه السلام، تكريماً وتشريفاً له وللحاملين لأمانة الاستخلاف من النوع الإنسانيّ من ذرّيّته: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[2]؛ ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾[3]، لما تحمّله هذا المخلوق من العلم بالله تعالى، وبخلقه المحجوبين تحت حجاب الغيب، بحيث يُكشف له بهذا العلم عن حقائقهم وأعيان وجوداتهم، بما لا يتحمّله غيره من المخلوقات؛ ومنهم الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ... لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلم بالأشياء في ظرف عالم المجرّدات المحضة غير العلم به في ظرف عالم المادّيّات، وإلّا لكانت الملائكة عالمة بالأسماء التي أنبأها بها آدم عليه السلام، كعلم آدم بها، فلا تفضيل لآدم عليهم حينها، ولا كرامة له[4].

وقد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة العلم وآثاره الوجوديّة في قوله تعالى: ﴿... يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[5]، ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾[6]؛ فالرفع في هذا المقام ليس إلّا القرب الوجوديّ، والفوقيّة ليست إلّا الأسبقيّة والأشرفيّة من حيث الوجود.

---

(1) سورة البقرة، الآية 34.
(2) سورة الأعراف، الآية 11.
(3) سورة الكهف، الآية 50.
(4) انظر: السيد الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج1، ص116 - 117، بتصرّف.
(5) سورة المجادلة، الآية 11.
(6) سورة يوسف، الآية 76.

عداوة إبليس لآدم عليه السلام وذرّيّته

بعد إباء إبليس- باختياره وإرادتـه- امتثال الأمر الإلهيّ بالسجود لآدم عليه السلام، واستكباره وكفره: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، طرده الله تعالى من رحمته وغضب عليه: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[2]، فما كان منه إلّا أنْ أعلن عداوته لآدم عليه السلام وذرّيّته، وطلب من الله تعالى إمهاله لغوايتهم وصرْفهم عن التحقّق بحقيقة الاستخلاف الإلهيّ: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[3]، ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4]، فكان له ذلك، مع توعُّده ومن تبعه منهم (أي آدم وذريته) بجنّهم وبئس المصير: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5]، ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ٦٣ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[6].

إسكان آدم عليه السلام وزوجه الجنّة

أسكن الله تعالى آدم عليه السلام بعد خلقه وزوجَه الجنّةَ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

(1) سورة البقرة، الآية 34.
(2) سورة الأعراف، الآية 13.
(3) سورة الأعراف، الآيات 14-17.
(4) سورة الإسراء، الآية 62.
(5) سورة الأعراف، الآية 18.
(6) سورة الإسراء، الآيات 63-65.

ﵟٱلظَّٰلِمِينَﵞ[1]؛ وهذه الجنّة ليست الجنّة الأخرويّة؛ لأنّ الداخل فيها لا يخرج منها؛ ولأنّ إبليس اللعين لا يدخلها أبداً بضرورة الشرع والعقل، وهي ليست من عالم الدنيا؛ لأنّ آدم عليه السلام هبط منها إلى الأرض: ﵟقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖﵞ[2]، ولأنّ القرآن قد ذكر لها من الخصائص المختلفة عن خصائص العالم الأرضيّ: ﵟفَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰﵞ[3]؛ فتحصّل بذلك أنها جنّة غير أرضيّة، بل سماويّة غير أخرويّة.

وقد ظهرت أُولى مكائد عداوة إبليس اللعين لآدم عليه السلام في هذه الجنّة السماوية، حيث أتى آدم عليه السلام وزوجه بصورة الناصح، وأوقعهما في مخالفة الأمر الإلهيّ الإرشاديّ، فتركا العمل بالأولى لهما، وهو اجتناب الأكل من الشجرة: ﵟفَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰﵞ[4]، ﵟفَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞﵞ[5]؛ فكانت هذه الغواية الشيطانيّة لأجل إخراج الإنسان من العهد الإلهيّ، وهو إدامة ذكره تعالى، وعدم الغفلة عنه، والالتفات إلى غيره: ﵟوَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗاﵞ[6]. فقد أراد الله تعالى بها محطّة تحذيريّة للإنسان من عداوة الشيطان له على امتداد مشروعه الاستخلافيّ في الأرض، قبل هبوطهما إلى الأرض

(1) سورة البقرة، الآية 35.
(2) سورة البقرة، الآية 38.
(3) سورة طه، الآيات 117-119.
(4) سورة طه، الآيتان 120-121.
(5) سورة الأعراف، الآيات 20-22.
(6) سورة طه، الآية 115.

دار التكليف والامتحان: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ ما ورد من تعابير في القرآن الكريم بحقّ آدم عليه السلام أو على لسانه: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾[3]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[4]، يمكن فهمها بناءً على أنّ النهي الوارد هو نهي إرشاديّ للهداية والإرشاد إلى مورد الصلاح والخير، والتحذير من عداوة الشيطان وأساليبه الخفيّة الخدّاعة، وليس نهياً مولويّاً. ويشهد له أنّه تعالى فرّع على النهي في مورد آخر من القرآن بقوله: ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾[5]، فعرّف الشقاء بالتعب الحاصل من النشأة الدنيويّة، من جوع وظمأ وحرّ، كما يشهد لكون النهي نهياً إرشاديّاً كون بيئة التكليف هي في النشأة الأرضيّة، ولم ينزل بعدُ تشريعٌ دينيّ في الجنّة السماوية: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾[6]، كما يشهد لذلك أنّ التوبة من المعصية ترفع العقوبة عن العاصي، فيعود بذلك إلى ما كان فيه، والحال أنّ الله تعالى تاب على آدم عليه السلام، ولم يُرجعه إلى الجنّة التي كان فيها! كما أنّ لمفردات «العصيان»، و«الظلم»، و«الغواية» معاني مختلفة لغةً[7] عمّا اصطلح عليه المتشرّعة من معنى. فالمراد بالظلم وضع الشيء في غير

---

(1) سورة الأعراف، الآية 27.
(2) سورة البقرة، الآية 35.
(3) سورة الأعراف، الآية 23.
(4) سورة طه، الآية 121.
(5) سورة طه، الآيات 117-119.
(6) سورة طه، الآيتان 123-124.
(7) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج3، مادّة «ظلم»، ص468؛ ج4، مادّة «عصوى»، ص334-335؛ مادّة «غوى»، ص399-400؛ الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، مادّة «ظلم»، ص537؛ مادّة «عصا»، ص570؛ مادّة «غوى»، ص620.

موضعه، والمراد بالعصيان عدم الانفعال عن الأمر، أو الانفعال بصعوبة، والمراد بالغواية عدم اقتدار الإنسان على حفظ المقصد، وتدبير نفسه في معيشته. وهي معانٍ تختلف عن المعاني التي عليها المتشرّعة(1).

هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض

لقد قضى الله تعالى جَعْلَ النوع الإنسانيّ خليفة له في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾؛ فكان إسكانه -تعالى- آدمَ عليه السلام وزوجَه الجنّةَ السماويّة مرحلةً برزخيّة تنزّليّة مؤقّتة، لتحقيق مشروع الاستخلاف للنوع الإنسانيّ في نشأة أرضيّة، فيها ما فيها من التزاحم والشقاء والعناء: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾(2). تلك النشأة الأرضيّة التي تتيح له تفتّح استعداداته وقابليّاته للعروج إلى عالم الأمر عن إرادة واختيار منه، فكان هذا الهبوط من منزلة الجنّة السماويّة إلى النشأة الأرضيّة، هبوطاً تكوينيّاً مترتّباً على اختيار الإنسان لحمل الأمانة الإلهيّة في الأرض: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(3)، وقد تمثّل هذا الاختيار في الفعل الصادر عن آدم عليه السلام وزوجه.

ومن لطيف تعبير القرآن عن هذا الهبوط، ما ذكره في نهي الله تعالى آدم عليه السلام وزوجه عن الأكل من الشجرة الموجودة في الجنّة: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(4)، ونداؤه إيّاهما قبل الأكل من الشجرة بنداء القريب، مع الحضور في التكلّم والمخاطبة ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾، وبعد الأكل منها بنداء البعيد مع الغيبة في التكلّم والمخاطبة ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾، وكذلك

(1) انظر: السيد الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج1، ص135-138.
(2) سورة طه، الآيات 117-119.
(3) سورة الأحزاب، الآية 72.
(4) سورة الأعراف، الآية 19.

التعبير باسم الإشارة القريب ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قبل الأكل، وباسم الإشارة البعيد ﴿تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ بعد الأكل، واستشعار كلّ من آدم عليه السلام وزوجه طبيعتهما المادّيّة الأرضيّة بعد الأكل من الشجرة مباشرة: ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾[1]، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[2].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإنسان إذا لبث في النشأة الأرضيّة، مقتصراً عليها في سعيه، يكون قد ضيّع على نفسه فرصة الاستخلاف، وظَلَمها بخيار خروجه من الجنّة السماوية: ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾[3]، وإنْ تزوّد منها لسيره نحو عالم الأمر، يكون قد اتّصف بحقيقة الاستخلاف: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾. وفي ذلك يحتاج الإنسان إلى هداية ربّانيّة، ترشده نحو مقصده، وتأخذ بيده نحو الاتّصاف بحقيقة الاستخلاف: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾[4].

سيرة آدم عليه السلام التبليغيّة

بعد أنْ قضى الله تعالى هبوط آدم عليه السلام وزوجه إلى الأرض، بدأت مسيرة التكليف الإلهيّ للإنسان في الأرض، وتحدّد هذا التكليف من خلال تعاليم الدين النازلة عبر الوحي الإلهيّ. وقد ابتدأ نزول هذه التعاليم الوحيانيّة على النبيّ آدم عليه السلام، بعد أنْ اجتباه الله تعالى واختاره لهذه المهمّة الرساليّة: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

---

(1) سورة طه، الآية 121.
(2) سورة الأعراف، الآية 22.
(3) سورة طه، الآية 117.
(4) سورة طه، الآيات 122-124.

﴿أَعْمَىٰ﴾[1]. ولم يَرِدْ في القرآن ذِكْرٌ لتفاصيل دعوة النبيّ آدم عليه السلام، ولكن ورد في الروايات أنّ الله تعالى أنزل على نبيّه آدم عليه السلام عشر صحائف، وقيل: خمسين صحيفة، وقيل: لم يكن لديه عليه السلام صحف منزلة[2]. وقد استمرّ آدم عليه السلام في دعوته بنيه حتى ارتحل بالوفاة عن دار الدنيا، وقيل: إنّ وفاته عليه السلام كانت في الألف الأوّل في العام نفسه الذي وُلِدَ فيه النبيّ نوح عليه السلام[3].

دروس وعبر من قصّة النبيّ آدم عليه السلام

إنّ المتأمّل في قصّة النبيّ آدم عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، يستلهم جملة من الدروس والعبر والسنن الإلهيّة التي يحتاج إليها الإنسان في حياته؛ منها:

- الحرص على أن يكون الإنسان على قدر التكريم والتشريف الإلهيّ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.

- عدم زجر السائل أو الإعراض عن جوابه، والرفق به؛ ليفهم حقائق الأمور: ﴿أَتَجْعَلُ

---

(1) سورة طه، الآيات 122-124.

(2) انظر: الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، الخصال، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاريّ، لا ط، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1403هـ.ق/ 1362هـ.ش، ص524.

أورد الشيخ المفيد قدس سره هذه الرواية نفسها مع التصريح في نصّها بأنّ للنبيّ آدم عليه السلام خمسون صحيفة (انظر: المفيد، الشيخ محمّد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق عليّ أكبر الغفاريّ؛ محمود الزرندي، ط2، بيروت، دار الشيخ المفيد، 1414هـ.ق/ 1993م، ص264)، في حين أنّ الشيخ الصدوق قدس سره لم يذكر في الخصال في ما أورده من الرواية نفسها أيّ صحيفة خاصّة بالنبيّ آدم عليه السلام، وذكر خمسين صحيفة للنبيّ شيث عليه السلام. ولعلّ صحف النبيّ شيث عليه السلام هي الصحف التي ورثها عن أبيه النبيّ آدم عليه السلام.

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن، أورد الرواية نفسها بذكر 10 صحائف للنبيّ آدم عليه السلام و10 صحائف للنبيّ إبراهيم عليه السلام (انظر: الطبرسيّ، الشيخ الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحقّقين، ط1، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ،1415هـ.ق/ 1995م، ج10، ص332)، في حين ورد في الخصال والاختصاص ذكر 20 صحيفة للنبيّ إبراهيم عليه السلام.

وتجدر الإشارة إلى أنّ صحف آدم عليه السلام، وكذلك صحف شيث عليه السلام وإدريس عليه السلام لم تكن صحفاً متضمّنة لتشريعات وأحكام؛ لأنّ أولى الشرائع الإلهيّة نزلت على نوح عليه السلام -كما سيأتي بيانه-، فكانت صحفهم تعاليم وحيانيّة في أصول الدين والأخلاق والقيم الفطريّة، تهدف إلى تذكير الإنسان بميثاق فطرته وما جُبَل عليه في خلقته من أصول الاعتقاد والأخلاق الحسنة والملكات الفاضلة وما يحكم به عقله السليم.

(3) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، ص279.

فِيهَا... قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ... فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي... قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم... قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ﴾.

- إذعان السائل للحقّ، والتسليم له بعد تلقّي الجواب: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾.

- عدم التسرّع في الاستنتاج والحكم على الأمور: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾.

- معيار التفاضل يدور مدار العلم بالغيب، وهو لا ينفكّ وجوداً عن الغيب نفسه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ... لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ... إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

- الاستكبار هلاك وخسران: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ * فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

- الجهل وحبّ النفس والنظرة الدونيّة إلى الآخرين والحسد، هي من دوافع الاستكبار: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾، ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾، ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

- عدم الانخداع بظواهر الأمور والأمانيّ المعسولة: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾.

- الشيطان عدوّ دائم للإنسان: ﴿أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾، ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، ﴿لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾، ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾.

- إدامة الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة وطلب المغفرة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن

لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾.

- إدامة ذِكْر الله تعالى، والإخلاص له، تحصّن الإنسان من كيد الشيطان: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾.

- فلاح الإنسان أو خسرانه مرتبط باختياره، وتحديد موقفه تجاه تعاليم الوحي الإلهيّ: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾.

- الدنيا دار تكليف وامتحان واختبار مؤقّتة للإنسان، يصنع فيها مصيره الأخرويّ: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾، ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾.

الأفكار الرئيسة

1.النبيّ آدم عليه السلام هو أبو البشر، وأوّل الأنبياء الإلهيّين الذين ارتضاهم الله تعالى لهداية البشريّة.

2.خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وأمر ملائكته ومَنْ دونهم مِنْ خَلقه بالسجود له عليه السلام، تكريماً وتشريفاً له، وللحاملين لأمانة الاستخلاف، من النوع الإنسانيّ من ذرّيّته.

3.قضى الله تعالى جعل النوع الإنسانيّ خليفة له في الأرض، فكان إسكانه آدم عليه السلام وزوجه الجنّة السماويّة مرحلةً برزخيّة تنزّليّة مؤقّتة. لتحقيق مشروع الاستخلاف للنوع الإنسانيّ.

4.بعد أنْ قضى الله تعالى هبوط آدم عليه السلام وزوجه إلى الأرض، بدأت مسيرة التكليف الإلهيّ للإنسان في الأرض، وتحدّد هذا التكليف من خلال تعاليم الدين النازلة عبر الوحي الإلهيّ. وقد ابتدأ نزول هذه التعاليم الوحيانيّة على النبيّ آدم عليه السلام، بعد أنْ اجتباه الله تعالى، واختاره لهذه المهمّة الرساليّة.

فكّر وأجب

1.ما المراحلُ التي مرّ فيها خَلْق آدم عليه السلام؟

2.بيّن حقيقة الأمر بالسجود لآدم عليه السلام، والحكمة منه؟

3.تكلّم عن مجريات إسكان آدم عليه السلام الجنّة، وخروجه منها؟

مطالعة

عن أبي الصلت الهرويّ، عن الرضا عليه السلام قال: «**إنّ آدم صلوات الله عليه، لمّا أكرمه الله تعالى بإسجاده ملائكته له، وبإدخاله الجنّة، ناداه الله: ارفع رأسك يا آدم، فانظر إلى ساق عرشي، فنظر، فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فقال آدم** عليه السلام**: يا ربّ، من هؤلاء؟ قال عزّ وجلّ: هؤلاء ذرّيّتك، لولاهم ما خلقتك**»[1].

(1) قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء، تحقيق غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، ط1، قم المقدّسة، مؤسّسة الهادي، 1418هـ.ق/ 1376هـ.ش، ص48-50.

الدرس الثاني

النبيّ إدريس عليه السلام
النبيّ نوح عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصص النبيَّين إدريس عليه السلام ونوح عليه السلام الواردتين في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيَّين إدريس عليه السلام ونوح عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصص النبيَّين إدريس ونوح عليهما السلام.

قصّة النبيّ إدريس عليه السلام

هو جدّ أبي النبيّ نوح عليه السلام، واسمه في التوراة أخنوخ. قيل: إنّه أوّل من خطّ بالقلم، وأوّل من خاط الثياب وكان خيّاطاً، وقيل: إنّ الله تعالى علّمه عِلم النجوم والحساب، وعلم الهيئة، وكان ذلك معجزة له(1). وقد ورد ذِكْره في القرآن الكريم في موضعين، هما:

- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾(2).

- ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(3).

صرّح القرآن الكريم بنبوّة إدريس عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾، ولم يردْ فيه ذِكْرٌ لرسالته، وورد في الروايات المأثورة أنّه كان رسولاً، وله ثلاثون صحيفة(4). وقد مدحه الله تعالى في كتابه العزيز بصفات عدّة، منها: الصدّيق؛ لمبالغته في الصدق والتصديق في القول والعمل(5)، ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ ومنها: الصابر؛ لصبره عن الدعاء على قومه: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، حيث كان أوّل من بُعث إلى قومه، فدعاهم إلى الدين، فأبوا، فأهلكهم الله تعالى، ورفعه إليه: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، فغيّبه عن

(1) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج6، ص430.

(2) سورة مريم، الآيتان 56-57.

(3) سورة الأنبياء، الآيتان 85-86.

(4) انظر: الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص524؛ الشيخ المفيد، الاختصاص، مصدر سابق، ص264.

(5) انظر: الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص479.

قومه، ثمّ أعاده إليهم ليبشّرهم بقدوم المخلّص لهم، وهو النبيّ نوح[1] عليه السلام. وقيل: رفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة والخامسة لقبض روحه، وفاقاً لما ورد في الروايات المأثورة[2]. ويمكن أن يُراد بالرفع رفع منزلته ومقامه المعنويّ تكريماً له، ولا سيّما أنّ الآية: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ جاءت في سياق ذِكْر مواهب النبوّة والولاية، وهي مقامات إلهيّة معنويّة[3]. وقد شرّفه الله تعالى في الآخرة بإدخاله في رحمته الخاصّة بعباده الصالحين لصلاحه في نفسه: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

دروس وعبر من قصّة النبيّ إدريس عليه السلام

إنّ المتأمّل في قصّة النبيّ إدريس عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، يستلهم جملة من الدروس والعبر والسنن الإلهيّة التي يحتاج إليها الإنسان في حياته، منها:

- الصدقُ مدعاةُ مدح وثناء: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾.
- الله تعالى يحفظ الصادقين والمصدّقين من عباده، ويحميهم ويرفع شأنهم ومنزلتهم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.
- يحتاج الداعي إلى الله تعالى في دعوته إلى التحلّي بالصبر: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.
- الصبر يستنزل الرحمة الإلهيّة: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾
- الصلاح الذاتيّ للإنسان محطّ تنزُّل رحمة إلهيّة خاصّة: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

(1) انظر: الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، لا ط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1405هـ.ق/ 1363هـ.ش، ص127-133.
(2) انظر: الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق، عليّ أكبر الغفاريّ، ط5، طهران، دار الكتب الإسلاميّة؛ مطبعة حيدريّ، 1363هـ.ش، ج3، ص257.
(3) انظر: السيد الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج14، ص64.

قصّة النبيّ نوح عليه السلام

هو نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ النبيّ؛ أي إدريس عليه السلام، لم يرسل الله تعالى بينه وبين النبيّ إدريس عليه السلام أحداً من الأنبياء. ولد في العام الذي مات فيه النبيّ آدم عليه السلام، قبل موت النبيّ آدم عليه السلام في الألف الأولى. وقيل: إنّه كان نجّاراً[1].

وقد ورد ذِكْره في مواضع عدّة من القرآن الكريم[2]، منها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ۝٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ۝٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٣٤ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ

---

(1) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، ص279.

(2) انظر: سورة آل عمران، الآية 33؛ سورة النساء، الآية 163؛ سورة الأعراف، الآيات 59-64، 69؛ سورة التوبة، الآية 70؛ سورة يونس، الآيات 71-74؛ سورة هود، الآيات 25-48، 89؛ سورة إبراهيم، الآية 9؛ سورة الإسراء، الآيتان 2، 17؛ سورة مريم، الآية 58؛ سورة الأنبياء، الآيتان 76-77؛ سورة الحجّ، الآية 42؛ سورة المؤمنون، الآيات 23-29؛ سورة الفرقان، الآية 37؛ سورة الشعراء، الآيات 105-120؛ سورة العنكبوت، الآيتان 14-15؛ سورة الأحزاب، الآية7؛ سورة الصافات، الآيات 75-83؛ سورة ص، الآية 12؛ سورة غافر، الآيتان 5، 31؛ سورة الشورى، الآية 13؛ سورة ق، الآية 12؛ سورة الذاريات، الآية 46؛ سورة النجم، الآية 52؛ سورة القمر، الآيات 9-16؛ سورة الحديد، الآية 26؛ سورة التحريم، الآية 10؛ سورة نوح، الآيات 1-28. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ نوح عليه السلام.

٣٥ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
٣٦ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ٣٧ وَيَصْنَعُ
ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ
كَمَا تَسْخَرُونَ ٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٩ حَتَّىٰٓ
إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ
ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ
إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ٤١ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ
يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ
قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ٤٣
وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ
وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ
أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ
عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ
أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[1].

يجد المتأمّل في هذه المواضع على كثرتها، شدّة عناية القرآن الكريم ببيان قصّة النبيّ نوح عليه السلام، حيث عرض فيها بنحو مجمل، دعوة النبيّ نوح عليه السلام قومه، وقصّة الطوفان وما بعده. لذا يمكن تقديم قصّته عليه السلام وفق المحطّات التالية:

نبوّة النبيّ نوح عليه السلام ورسالته

صرّح القرآن الكريم بنبوّة النبيّ نوح عليه السلام ورسالته: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ

(1) سورة هود، الآيات 25-48، 89.

وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[1]، ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾[2]، ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾[3]، وبأنّه أوّل الأنبياء عليهم السلام من أولي العزم، وأنّ شريعته أوْلى الشرائع الإلهيّة على الأرض: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[4]، وورد في الروايات المأثورة أنّه بُعث بالرسالة وهو بعمر ثمانمئة وخمسين عاماً[5]، ولم يذكر القرآن اسم رسالته، ولم يفصّل في بيان محتواها التشريعيّ: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[6]، وبيّن أنّها تضمّنت ما تشترك فيه الشرائع الإلهيّة من أصول الدين، من الدعوة الخالصة إلى التوحيد، وعبادة الله الواحد الأحد، والنهي عن الشرك بالله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[7]، والحثّ على طاعة الله تعالى وملازمة التقوى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[8]، والوعد والوعيد والتذكير بيوم المعاد: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾[9]، ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾[10]، ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا

(1) سورة النساء، الآيات 163-165.
(2) سورة الأعراف، الآية 59.
(3) سورة الشعراء، الآية 107.
(4) سورة الشورى، الآية 13.
(5) انظر: الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج8، ص284؛ الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق، باب46، ص523.
(6) سورة الأعراف، الآية 62.
(7) سورة الأعراف، الآية 59.
(8) سورة الشعراء، الآيات 105-110.
(9) سورة هود، الآيتان 25-26.
(10) سورة هود، الآية 39.

نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ ... * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[1]، ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[2]، وورد في الروايات المأثورة أنّها تضمّنت أوامر ونواهي وحلالاً وحراماً وتكليفاً بالصلاة، ولم تتضمّن أحكام حدود، ولا فرض مواريث[3].

سيرة النبيّ نوح عليه السلام التبليغيّة

امتدح القرآن الكريم النبيّ نوحاً عليه السلام، وأثنى عليه، لشكره وصبره وتحمّله وثباته في دعوته إلى الله تعالى، وإخلاصه له: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[4]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، فاصطفاه ربّه واجتباه وفضّله على كثير من العالمين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[6]، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[7]. وقد لبث النبيّ نوح عليه السلام في دعوة قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[8].

(1) سورة نوح، الآيات 1-4، 10-12.
(2) سورة نوح، الآيتان 17-18.
(3) انظر: العياشيّ، محمّد بن مسعود، تفسير العياشيّ، تحقيق وتصحيح وتعليق هاشم الرسوليّ المحلاتي، لا ط، طهران، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، لا ت، ج2، ص144.
(4) سورة الإسراء، الآية 3.
(5) سورة الصافات، الآيات 79-81.
(6) سورة آل عمران، الآية 33.
(7) سورة الأحزاب، الآية 7.
(8) سورة العنكبوت، الآية 14.

وبيّن القرآن الكريم معالم سيرة النبيّ نوح عليه السلام التبليغيّة في قومه، حيث بالغ في النصح لهم: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، والتبشير والإنذار: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[3]. وقد عانى منهم كثيراً، ولا سيّما من كبراء قومه الذين أعرضوا عن دعوته الحقّة وأنكروها: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[4]، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾[5]، واسترسلوا في الجحود والضلال والإضلال والمكر: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾[6]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾[7]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾، ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾[8]، وقاموا بالسخرية منه: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ﴾[9]، وتهديده بالقتل رجماً: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾[10]، وكالوا له صنوف التهمّ

(1) سورة الأعراف، الآية 62.
(2) سورة الأعراف، الآية 59.
(3) سورة نوح، الآيات 2-4، 10-12.
(4) سورة إبراهيم، الآية 9.
(5) سورة نوح، الآيتان 6-7.
(6) سورة النجم، الآية 52.
(7) سورة النمل، الآية 12.
(8) سورة نوح، الآيات 21-24.
(9) سورة هود، الآية 38.
(10) سورة الشعراء، الآية 116.

الباطلة والمزيّفة، وأثاروا الشكوك حوله، حتّى ينفضّ الناس من حوله، فرمَوه بالضلالة: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، والجنون: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[2]، ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾[3]، وطلب الجاه والمال: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[4]، وعدم الفضل والامتياز له عليهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا... وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾[5]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾[6]، والكذب والافتراء: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ﴾[7]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[8]، وأنّ أتباعه من العوامّ ضعاف الرأي: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾[9]، ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[10]. وقد واجه النبيّ نوح عليه السلام هذه الافتراءات الباطلة بحكمة وبصيرة وصبر، مفنّداً إيّاها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالأحسن، كاشفاً للناس زيف هذه الافتراءات بالدليل والحُجّة، ضمن منطق قويّ، وأسلوب مؤثّر، وحوار رصين، فكيف يكون ضالّاً وهو مُرسَل من الله تعالى لهدايتهم! ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[11]، وكيف يكون مجنوناً وهو الذي أتاهم بالحجج والبراهين الساطعة، وتحدّاهم، وصدر عن ثبات موقف تجاههم، بما لا يُعهَد صدوره إلّا عن رجل عاقل وحكيم!

(1) سورة الأعراف، الآية 60.
(2) سورة المؤمنون، الآية 25.
(3) سورة القمر، الآية 9.
(4) سورة المؤمنون، الآية 24.
(5) سورة هود، الآية 27.
(6) سورة المؤمنون، الآية 24.
(7) سورة هود، الآية 27.
(8) سورة هود، الآية 35.
(9) سورة هود، الآية 27.
(10) سورة الشعراء، الآية 111.
(11) سورة الأعراف، الآيتان 61-62.

﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾[1]، ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[2]، وكيف يتعجّبون من كونه بشراً مرسلاً، وقد خلت من قبله الرسل من البشر! ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[3]، وكيف يكون طالباً للجاه والمال، وهو لم يسألهم ذلك، وأجره على الله تعالى وحده! ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[4]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[5]، وكيف يكون كاذباً ومفترياً على الله تعالى، وهو رسوله المبرَّأ من ذلك، وإنْ كان من افتراء فهو يرجع عليه! ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾[6]، والحال أنّ تكذيبهم له، وهو على بيّنة من ربّه، ستكون نتيجته خسرانهم وهلاكهم، عندما يتحقّق ما أنذرهم منه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[7]، ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾[8]، وكيف يُعاب عليه بأنّ أتباعه من عوامّ الناس وضعاف الرأي، وهو قد جاء بالدعوة الإلهيّة الحقّة التي تستهدف الناس جميعاً، والتزم بتبليغها من دون تمييز أو استثناء! ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم

(1) سورة نوح، الآيات 13-20.
(2) سورة يونس، الآية 71.
(3) سورة الأعراف، الآية 63.
(4) سورة يونس، الآية 72.
(5) سورة هود، الآية 29.
(6) سورة هود، الآية 35.
(7) سورة هود، الآية 28.
(8) سورة هود، الآية 39.

مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[2].

وطالت دعوة النبيّ نوح عليه السلام قومَه، وإلقاؤه الحجّة عليهم، حتّى لم يعد ينفع معهم نصح ولا إنذار: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾[3]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾[4]، فأوحى إليه الله تعالى أنّه لن ينفعهم الإنذار بعد الآن، ولن يؤمن منهم، إلّا مَنْ آمن قبل ذلك: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[5]، فدعا النبيّ نوح عليه السلام على قومه بالهلاك والاستئصال: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾[6]، فاستجاب له الله تعالى ذلك: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[7]، وأمره بصناعة السفينة، وانتظار الوعد الإلهيّ بالطوفان: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾[8]. وقد ورد في الروايات المأثورة أنّه صنع السفينة في مكان مسجد الكوفة حالياً[9].

---

(1) سورة هود، الآيات 29-31.
(2) سورة الشعراء، الآيات 112-115.
(3) سورة العنكبوت، الآية 14.
(4) سورة نوح، الآيات 5، 8-9.
(5) سورة هود، الآية 36.
(6) سورة نوح، الآيتان 26-27.
(7) سورة الأنبياء، الآية 76.
(8) سورة هود، الآية 37.
(9) انظر: العياشيّ، تفسير العياشيّ، مصدر سابق، ج2، ص145.

حدوث الطوفان

بعد أن قضى الله تعالى عليهم الهلاك بالطوفان، جعل علامةً على اقتراب الوعد، وهي فوران التنوّر بالماء[1]، فقام النبيّ نوح عليه السلام، بوحي من الله تعالى، بحمل المؤمنين من أهله وغيرهم، كما قام بحمل زوجين اثنين من كلّ صنف من أصناف الحيوانات فيها، مضافاً إلى ما يحتاجون إليه من طعام وشراب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾[2]، وحدث الطوفان بانهمار الماء من السماء، وتفجُّر ينابيع الأرض: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾[3]، في مشهد مهيب: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾[4]، فغرق الحجر والبشر: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾[5]؛ إلّا سفينة النبيّ نوح عليه السلام التي سارت على اسم الله تعالى وبركته: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[6]، ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[7]، حاملة بذلك مشروع الاستخلاف الإلهيّ للإنسان في الأرض، بعد أنْ تعرّض للخطر بفعل الكفر والطغيان: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٨ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا

---

(1) انظر: الشيخ العياشي، تفسير العياشي، مصدر سابق، ص146، ص147.
(2) سورة هود، الآية 40.
(3) سورة القمر، الآيتان 11-12.
(4) سورة هود، الآية 42.
(5) سورة هود، الآيتان 42-43.
(6) سورة هود، الآية 41.
(7) سورة القمر، الآيتان 13-14.

﴿مُبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾[1]، وقد عمّ الطوفان بقاع الأرض كلّها[2]، ثمّ أذن الله تعالى للسماء بالإقلاع عن المطر، وللأرض بالاحتفاظ بالماء في جوفها، لترسو السفينة بعد حين على جبل الجوديّ[3]: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[4].

وتجدر الإشارة إلى أنّ دعاء النبيّ نوح عليه السلام اللهَ تعالى لينجّي ابنه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[5]، يظهر منه أنّه كان يظنّ أنّ ابنه من المؤمنين، وقد وعد الله تعالى نوحاً عليه السلام بإنجائه وأهله، إلّا من سبق عليه القول بكفره، كامرأته: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾[6]، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[7]، فلم يكن يعلم أنّه من الكافرين، ولو علم ذلك لما سأل الله تعالى في أمر ابنه، وهو الذي دعا الله تعالى على الكافرين بالاستئصال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ

(1) سورة المؤمنون، الآيتان 28-29.
(2) وهو ما يستفاد من إطلاق الخطاب القرآنيّ في الآيات التي تحدّثت عن الطوفان، ومن صريح ما ورد في الروايات المأثورة انظر: العياشيّ، تفسير العياشيّ، مصدر سابق، ج2، ص147-148. وفي علل الشرائع أورد الشيخ الصدوق رواية ورد فيها أنّ البيت الحرام لم يصبه الطوفان؛ ولذلك سمّي بالبيت العتيق؛ لأنّه أُعتق من الغرق. (انظر: الصدوق، الشيخ محمّد بن علي، علل الشرائع، تقديم محمّد صادق بحر العلوم، لا.ط، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها، 1385هـ.ق/ 1966م، ج2، ح5، ص399.
(3) ورد في الروايات المأثورة أنّه جبل قرب الكوفة، انظر: العياشيّ، تفسير العياشيّ، مصدر سابق، ج2، تفسير سورة هود، ح21، ص146.
(4) سورة هود، الآية 44.
(5) سورة هود، الآيات 45-47.
(6) سورة هود، الآية 40.
(7) سورة التحريم، الآية 10.

دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1]. وممّا يؤيّد عدم علمه بكفر ابنه قولُه له -على ما حكاه القرآن الكريم-: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]؛ فلو كان يعلم بكفره لكان من المناسب التعبير بـ «من الكافرين»، وكذلك جواب الله تعالى عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[3]، المُشعرُ بأنّ ظاهر أمر ابنه الإيمانُ وباطنَه الكفرُ، وتعقيبُه في الآية نفسها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، المُشعِرِ بأنّ حقيقة أمر كفر ابنه وعدم صلاحه خافية عنه.

وقد حكى الله تعالى عن كفر زوج النبيّ نوح عليه السلام، وخيانتها لزوجها، وهلاكها يوم القيامة: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[4]، ولعلّه يمكن أن يستفاد من قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾[5] هلاكها بالطوفان؛ لدخولها في الذين سبق عليهم القول بالكفر، وأمر الله تعالى نبيّه نوحاً في هذه الآية بحمل أهله مستثنياً منهم بعض الأفراد؛ وذلك يُشعِر بعلمه بكفر بعض أهله، وليس المراد ببعضهم هذا ابنه؛ لأنّه لم يكن يعلم بكفره، كما تقدّم بيانه. والله العالم

حياة النبيّ نوح عليه السلام بعد الطوفان

بعد أنْ رست السفينة على جبل الجوديّ، بدأ فصل جديد في حياة البشريّة: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6]، قوامها المؤمنون من ذرّيّته وغيرهم: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ

(1) سورة نوح، الآيتان 26-27.
(2) سورة هود، الآية 42.
(3) سورة هود، الآية 46.
(4) سورة التحريم، الآية 10.
(5) سورة هود، الآية 40.
(6) سورة هود، الآية 48.

زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1]؛ وقد استمرّت ذرّيّته في الحياة البشريّة: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾[2]، وكرّمه الله تعالى بأنْ جعل فيها النبوّة والرسالة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[3]، ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[4]. وقد عاش النبيّ نوح عليه السلام بعد الطوفان خمسمئة عام، أو سبعمئة عام، وتوفّي بعد أنْ بلغ من العمر ألفين وثلاثمئة عام، أو ألفين وخمسمئة عام، بحسب ما ورد في الروايات المأثورة[5].

دروس وعبر من قصّة النبيّ نوح عليه السلام

يمكن استخلاص مجموعة من الدروس والعبر والسنن من قصّة النبيّ نوح عليه السلام، الواردة في القرآن الكريم؛ منها:

- وحدة الدين عند الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾.
- الاصطفاء والاجتباء للنبوّة والرسالة هو من الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.
- الوحي الإلهيّ إلى الأنبياء عليهم السلام سنّة معروفة ومشهودة عند الاجتماع البشريّ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾.
- الاصطفاء والاجتباء الإلهيّ للأنبياء عليهم السلام والمرسلين عليهم السلام هو عن قابليّة ولياقة فيهم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا

---

(1) سورة هود، الآية 40.
(2) سورة الصافات، الآيتان 77-78.
(3) سورة الحديد، الآية 26.
(4) سورة الصافات، الآية 83.
(5) انظر: الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج8، ص284؛ الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق، ص134، ص523؛ الشيخ الصدوق، علل الشرائع، مصدر سابق، ج1، ص32.

وَبُكِيًّا﴾، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

- التبشير والإنذار سنّة إلهيّة ثابتة في الدعوة: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾، ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

- إعراض الناس عن دعوة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتكذيبُهم من السنن الجارية في الاجتماع البشريّ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

- سوء الظنّ وحبّ الجاه والمالِ والاستعلاءُ هي من موانع الإعراض عن تصديق دعوات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾.

- العناد والتحجّر والاستكبار يختم على قلب الإنسان؛ بحيث لا يعود يطيق سماع كلام الحقّ ولا رؤية أهله: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾.

- مواجهة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالتهم الزائفة والباطلة من السنن الإلهيّة الجارية في

الاجتماع البشريّ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾.

- عندما يبلغ كفر أقوام الأنبياء عليهم السلام وجحودهم مبلغاً عظيماً، بحيث يهدّد مشروع الاستخلاف الإلهيّ للإنسان في الأرض، فإنّه تجري فيهم سنّة الاستئصال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾، ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾، ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾، ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

- الله تعالى قاهر وغالب فوق كلّ شيء، وبيده الأسباب كلّها: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾، ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾.

- إهلاك الأقوام السابقة فيه موعظة وعبرة للأمم اللاحقة: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾، ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

- ضرورة الدعوة إلى الله تعالى بالنصح: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ... أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾.

- يحتاج الداعي إلى الله تعالى إلى التبشير والإنذار في إيصال الدعوة وتهيئة النفوس للالتزام بها: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾.

- يحتاج الداعي إلى الله تعالى حتّى ينجح في دعوته إلى اعتماد أسلوب حكيم قوامه: الحكمة والبرهان، والموعظة الحسنة، والجدال بالأحسن: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

- على الداعي أن يصبر في دعوته، ولا ييأس سريعاً من عدم استجابة الناس له، وأن يستفيد من كلّ الفرص المتاحة؛ لإيصالها وإتمام الحجّة عليهم: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ﴾، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾.

المؤمن دائم الذكْر والشكر لله تعالى في السرّاء والضرّاء: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾.

- عناية الله تعالى محيطة بعباده المؤمنين والمخلصين: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾، ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

- الله تعالى يستجيب دعاء أنبيائه عليهم السلام ورسله عليهم السلام، وينصرهم على القوم

الكافرين: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾، ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

- على الإنسان أن يتأدّب في سؤال الله تعالى، بأدب الأنبياء عليهم السلام، فلا يقطع أمراً قبل أن تتّضح له حقيقته، ويقرّ بضعفه وجهله في حضرة الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ... قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

- الاتّصال بالأنبياء عليهم السلام بالنسب والسبب لا ينفع المتّصلَ شيئاً حال كفره: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. أرسل الله تعالى نبيّه إدريس عليه السلام؛ وهو جدّ أبي النبيّ نوح عليه السلام، وكان أوّل من بُعِث إلى قومه، فدعاهم إلى الدين، فأبوا، فأهلكهم الله تعالى، ورفعه إليه.
2. أرسل الله تعالى نبيّه نوحاً عليه السلام بالرسالة إلى قومه، وهو أوّل الأنبياء عليهم السلام من أولي العزم، وشريعته أولى الشرائع الإلهيّة على الأرض.
3. لبث نوح عليه السلام في قومه تسعمئة وخمسين سنة، يدعوهم إلى التوحيد، وعبادة الله تعالى، والإيمان برسالته، ولكنّهم كفروا بها، وكذّبوه.
4. بعد أنْ طالت دعوة النبيّ نوح عليه السلام قومَه، وبعد إلقائه الحجّة عليهم، حتّى لم يعد ينفع معهم نصح ولا إنذار، أمره الله تعالى بصنع السفينة، وبحمل من آمن معه فيها، وعمّ الطوفان الأرض، فغرق الكافرون وهلكوا.
5. بعد أنْ رست السفينة على جبل الجوديّ، بدأ فصل جديد في حياة البشريّة ومشروعها الاستخلافيّ.

فكّر وأجب

1. بيّن قصّة النبيّ إدريس عليه السلام وسيرته التبليغيّة، والدروس والعِبَر المستفادة منها.
2. تكلّم عن السِّيَر التبليغيّة للنبيّ نوح عليه السلام.
3. لماذا حدث الطوفان؟ وما مجرياتُه التي بيّنها القرآن؟

مطالعة

عن ابن أورمة، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن أحمد بن محمّد، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**مكث نوح عليه السلام في قومه يدعوهم (إلى الله) سرّاً وعلانية، فلمّا عتوا وأبوا، قال: ربّي، ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾، فأوحى الله تعالى إليه أنْ اصنع الفلك، وأمره بغرس النوى، فمرّ عليه قومه، فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد غرّاساً حتّى إذا طال وصار طوالاً قطعه ونجّره، فقالوا قد قعد نجّاراً، ثمّ ألّفه، فجعله سفينة، فمرّوا عليه، فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد ملاحاً في أرض فلاة حتّى فرغ منها**».

وعن أحمد بن عيسى قال، حدّثنا الحسن بن محبوب، عن الحسن بن صالح، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**سمعت أبي عليه السلام يحدّث عطا، قال: كان طول سفينة نوح عليه السلام ألفاً ومئتي ذراع، وكان عرضها ثمانمئة ذراع، وعمقها ثمانين ذراعاً، فطافت بالبيت، وسعت بين الصفا والمروة سبعه أشواط، ثمّ استوت على الجوديّ**»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص85-86.

الدرس الثالث

النبيّ هود عليه السلام
النبيّ صالح عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1.يتعرّف إلى قصص النبيَّين هود عليه السلام وصالح عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.

2.يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيَّين هود عليه السلام وصالح عليه السلام.

3.يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصص النبيَّين هود عليه السلام وصالح عليه السلام.

قصّة النبيّ هود عليه السلام

هو هود بن شالخ بن أرفحشد بن سام بن نوح عليه السلام. وقيل: هو هود بن عبد الله بن رياح بن جلوث بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح[1]، وهو من الأنبياء العرب[2].

ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[3]، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[4].

(1) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، ص285.

(2) انظر: الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص524؛ الشيخ المفيد، الاختصاص، مصدر سابق، ص264.

(3) انظر: سورة الأعراف، الآيات 65-72؛ سورة هود، الآيات 50-60، 89؛ سورة المؤمنون، الآيات 31-41؛ سورة الشعراء، الآيات 123-133؛ سورة الأحقاف، الآيات 21-26. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ هود عليه السلام.

(4) سورة الأعراف، الآيات 65-72.

ومن خلال التأمّل في هذه المواضع التي ورد فيها ذِكْر النبيّ هود عليه السلام، وغيرها من المواضع التي ورد فيها ذِكْر قومه، يمكن تناول قصّته وفق التفصيل التالي:

سيرة النبيّ هود عليه السلام التبليغيّة

تحدّث القرآن الكريم عن سيرة النبيّ هود عليه السلام التبليغيّة؛ حيث أرسله الله تعالى إلى قومه عاد، وكان على شريعة النبيّ نوح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ...﴾[1]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[2]، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[3]. وكانت عاد تقطن في الأحقاف: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾[4]؛ وهي منطقة في جنوب جزيرة العرب، لا أثر لها اليوم. وقد اختُلِفَ فيها، فقيل: وادٍ بين عمان ومهرة، وقيل: رمال في ما بين عمان إلى حضرموت، وقيل: رمال مشرفة على البحر بالشحر من ساحل أرض اليمن، وقيل غير ذلك[5]، وقد كانوا موحِّدين، استخلفهم الله تعالى بعد قوم نوح عليه السلام، فأنعم عليهم بصنوف النعم، من قوّة واقتدار في البدن والعمران، ومن الرزق في الأولاد والثمرات: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[7]، ثمّ استغرقوا في النعم، ونسوا ذِكْر الله، فكفروا بأنعمه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[8]، فأتاهم النبيّ هود عليه السلام ليذكّرهم بالله واليوم الآخر، ويدعوهم لعبادته تعالى وحده، وطاعته، وملازمة التقوى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ

(1) سورة الأعراف، الآية 65؛ سورة هود، الآية 50.
(2) سورة الشعراء، الآية 124.
(3) سورة المؤمنون، الآية 32.
(4) سورة الأحقاف، الآية 21.
(5) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج9، ص150.
(6) سورة الأعراف، الآية 69.
(7) سورة الشعراء، الآيات 132-134.
(8) سورة الشعراء، الآيات 128-130.

يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1]، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾[2]، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[3]، مبيّناً لهم سبيل الرجوع إلى الحقّ بالاستغفار، وما يترتّب على ملازمته من خيرات وبركات، وعلى الإعراض عنه من خسران مبين: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾[4]، ولكنّهم تمادوا في كفرهم وتعنّتهم وعبادتهم الأوثان: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[5]، ولا سيّما كبار قومه الكافرين بالله: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾[6]، والمكذّبين بلقائه: ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ ۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾[7]، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[8]، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾[9]، والغارقين في حبّ الدنيا: ﴿وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[10]، ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ﴾[11]، والظالمين الجبَّارين: ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾[12]، الذين سخروا منه، وكالوا له صنوف التهم الباطلة، ووواجهوه بالدعاوى الواهية، ليصرفوا الناس عن دعوته، بمكر وخداع، فاتّهموه بالسفاهة: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾[13]، وبالكذب

---

(1) سورة الأعراف، الآية 65.
(2) سورة الشعراء، الآية 135.
(3) سورة الشعراء، الآية 131.
(4) سورة هود، الآية 52.
(5) سورة الأعراف، الآية 70.
(6) سورة الأعراف، الآية 66.
(7) سورة المؤمنون، الآيات 35-37.
(8) سورة المؤمنون، الآية 33.
(9) سورة الشعراء، الآية 129.
(10) سورة المؤمنون، الآية 33.
(11) سورة الشعراء، الآية 128.
(12) سورة الشعراء، الآية 130.
(13) سورة الأعراف، الآية 66.

والافتراء: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وبطلب الجاه والمال: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[3]، وبعدم الفضل والامتياز عليهم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾[4]، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾[5]. وبكونه قد مسّه سوء من آلهتهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾[6]. وقد ردّ النبيّ هود عليه السلام تهمهم، وفنّدها بالدليل والموعظة الحسنة؛ فكيف يكون سفيهاً وهو ناصح لهم، أمين عليهم، وهم لم يعهدوا منه غير ذلك؟! ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[7]، وكيف يكون كاذباً، في دعواه، وهو مرسل إليهم من ربّهم لهدايتهم، والحال أنّهم هم المفترون في دعواهم الألوهيّة، والعبادة لمن هم دون الله تعالى! ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[8]، ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[9]، وكيف يكون طالباً للجاه والمال، وهو لم يسألهم أجراً على دعوته! ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[10]، ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[11]، وكيف يتعجّبون من كونه بشراً مثلهم، وقد خلت الرسل من قبله من البشر! ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ

(1) سورة الأعراف، الآية 66.
(2) سورة المؤمنون، الآية 38.
(3) سورة هود، الآية 51.
(4) سورة الأعراف، الآية 69.
(5) سورة المؤمنون، الآيتان 33-34.
(6) سورة هود، الآية 54.
(7) سورة الأعراف، الآيتان 67-68.
(8) سورة الشعراء، الآية 125.
(9) سورة هود، الآية 50.
(10) سورة هود، الآية 51.
(11) سورة الشعراء، الآية 127.

مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾[1]، وكيف يمسّه سوء من آلهتهم، والحال أنّ الله تعالى يرجع إليه الأمر كلّه! فلا خوف عليه من مكرهم، وسوف يأتيهم منه تعالى عذاب غير مردود: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2]. وبعد إصرارهم على كفرهم وجحودهم ومجادلتهم إيّاه بغير الحقّ: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾[4]، أنذرهم وقوع عذاب الاستئصال بهم: ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾[5]، ولكنّهم استخفّوا بالنُذُر، وطلبوا نزول العذاب: ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[6]، ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[7]، فتمّت الحجّة عليهم بالتبليغ: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾[8]، ثمّ وقع عليهم العذاب الذي كانوا يوعدون: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ﴾[9]، ﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[10].

---

(1) سورة الأعراف، الآية 69.
(2) سورة هود، الآيات 54-56.
(3) سورة هود، الآية 53.
(4) سورة الأعراف، الآية 71.
(5) سورة الأعراف، الآية 71.
(6) سورة الشعراء، الآيات 136-138.
(7) سورة الأعراف، الآية 70.
(8) سورة هود، الآية 57.
(9) سورة الشعراء، الآية 139.
(10) سورة الأعراف، الآية 72.

نزول العذاب على قوم النبيّ هود عليه السلام

بعد أنْ تمّت الحجّة على قوم النبيّ هود عليه السلام بالتبليغ والوعد والوعيد، دعا النبيّ هودٌ عليه السلام اللهَ تعالى، طالباً النصرة على قومه، بإهلاكهم بعد تكذيبهم وجحودهم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[1]، فأتاهم العذاب الذي كانوا يوعدون، فأرسل الله تعالى عليهم سحاباً أسود، فيه ريح باردة عاتية، استمرّت سبع ليالٍ وثمانية أيّام، فأتت عليهم، فأهلكتهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۢ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[2]، ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾[3]، ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، فلم يبقَ منهم أحد، إلّا النبيّ هود عليه السلام ومن آمن معه: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[5]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾[6].

دروس وعبر من قصّة النبيّ هود عليه السلام

يمكن استخلاص مجموعة من الدروس والعبر والسنن من قصّة النبيّ هود عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، منها:

- من السنن الإلهيّة في إرسال الرسل، كون الرسول من قومه المُرسَل إليهم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ﴾، ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾، ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

(1) سورة المؤمنون، الآيتان 39-40.
(2) سورة الأحقاف، الآيتان 24-25.
(3) سورة الحاقة، الآيات 6-8.
(4) سورة المؤمنون، الآية 41.
(5) سورة الأعراف، الآية 72.
(6) سورة هود، الآية 58.

- من السنن الإلهيّة الجارية في إنذار الأقوام، عدم إهلاكهم إلّا بعد إتمام الحجّة عليهم بالتبليغ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾، ﴿وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

-الله تعالى ينصر رسله ويستجيب لهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾، ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءًۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

- على الداعي أن يتدرّج في أسلوب دعوته بالنصح والموعظة الحسنة، ثمّ الوعد، ثمّ الوعيد: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

- على الداعي أن يتحلّى بالصبر، وأن يتحمّل أذى المدعوّين في دعوته: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

- على الداعي أن يصدر في دعوته من منطلق النصح للمدعوّين والحرص عليهم: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ

عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾، ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾.

- على الداعي أن يصدر في دعوته عن حكمة وبصيرة وقوّة برهان: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾.

- على الداعي أن يتوكّل على الله تعالى في دعوته، ولا ينتظر عليها أجراً من الناس: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

- الاستغراق في متاع الحياة الدنيا، والانشغال بها، ينسي الإنسان لقاء الله تعالى: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾.

- الاستغفار باب للرجوع إلى الله تعالى، وإصلاح النفس، ومدعاةٌ نزول البركات: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾.

- التقليد الأعمى من موانع قبول دعوة الحقّ: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

- الإصرار على معاندة الحقّ يصيّر الإنسان جاهلاً، يجادل من دون منطق ولا حجّة: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾، ﴿أَيَعِدُكُمۡ

﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝٣٥ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

- الإصرار على الكفر والجحود يختم على قلب الإنسان: ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ۝١٣٦ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

- عاقبة الكفر والجحود خسران الدنيا والآخرة: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

- على الإنسان العاقل أن يعتبر ويتّعظ من أحوال الأمم الغابرة: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾.

قصّة النبيّ صالح عليه السلام

هو صالح، بن آسف، (وقيل: بن آسف، بن عبيد)، بن كاشح، بن أروم، بن ثمود، بن جاثر (وقيل: عابر)، بن إرم، بن سام، بن نوح عليه السلام[1]، وهو من الأنبياء العرب[2]. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[3]؛ منها:

(1) انظر: الطبريّ، محمّد بن جرير، تاريخ الملوك والأمم، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء، ط4، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، 1403هـ.ق/ 1983م، ج1، ص158؛ ابن كثير، إسماعيل، قصص الأنبياء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط1، مصر، دار التأليف؛ دار الكتب الحديثة، 1388هـ.ق/ 1968م، ج1، ص145؛ الأندلسي، أبو حيّان، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط1، بيروت، دار المكتبة العلميّة، 1422هـ.ق/ 2001م، ج4، ص330.

(2) انظر: الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص524؛ الشيخ المفيد، الاختصاص، مصدر سابق، ص264.

(3) انظر: سورة الأعراف، الآيات 73-79؛ سورة هود، الآيات 61-68؛ سورة الشعراء، الآيات 141-158؛ سورة النمل، الآيات 45-53؛ سورة الشمس، الآيات 11-15. وقد أوردنا نصّ هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ صالح عليه السلام.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1].

وبالتأمّل في هذه المواضع التي ورد فيها ذِكْر النبيّ صالح عليه السلام، يمكن تقديم قصّته وفق التالي:

سيرة النبيّ صالح عليه السلام التبليغيّة

بعد إهلاك الله تعالى قومَ عاد، استَخلف من بعدهم قوم ثمود: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾[2]، وكانوا يسكنون في منطقة تسمّى بالحِجْر شماليّ وادي القرى، في ما بين الحجاز والشام[3]، فأنعم عليهم بصنوف نعمه، وأمدّهم بالقوّة ورزقهم من الثمرات، فعاشوا في أمن ورخاء وازدهار حضاريّ وعمرانيّ، ولكنّهم فرحوا بما أوتوا، واغترّوا بأنفسهم، فنسوا ذِكْر الله، وكفروا بأنعمه، وأصبحوا من المسرفين المفسدين في الأرض: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[4]، فأرسل الله تعالى

(1) سورة الأعراف، الآيات 73-79.
(2) سورة الأعراف، الآية 74.
(3) انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج1، ص158.
(4) سورة الشعراء، الآيات 146-152.

إليهم نبيّهم صالحاً عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾[1]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ﴾[2]، وكان على شريعة النبيّ نوح عليه السلام؛ ليدعوهم إلى الله تعالى، ويُرجِعهم إلى ميثاق فطرته التوحيديّة، فاجتهد النبيّ صالح عليه السلام في دعوتهم؛ حيث ذكّرهم بنعم الله تعالى عليهم: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[3]، ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾[4]، ودعاهم إلى عبادته تعالى وحده، وطاعته وتقواه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾[5]، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[6]، وإلى الرجوع إليه تعالى بالاستغفار والتوبة: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[7]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[8]، ونهاهم عن الإفساد في الأرض: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[9]، ولكنّهم أعرضوا عن دعوته، وشكّكوا بها، وحملهم الطغيان على التكذيب بها: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[10]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[11]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾[12]، ولا سيّما كبراء قومه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾[13]، ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[14]، الذين كالوا له صنوف التهم الباطلة،

---

(1) سورة الأعراف، الآية 73.
(2) سورة الشعراء، الآية 142.
(3) سورة هود، الآية 61.
(4) سورة الأعراف، الآية 74.
(5) سورة الأعراف، الآية 73.
(6) سورة الشعراء، الآية 144.
(7) سورة هود، الآية 61.
(8) سورة النمل، الآية 46.
(9) سورة الأعراف، الآية 74.
(10) سورة هود، الآية 62.
(11) سورة الشعراء، الآية 141.
(12) سورة الشمس، الآية 11.
(13) سورة الأعراف، الآية 75.
(14) سورة النمل، الآية 48.

وجادلوه بغير الحقّ، بمكر وخداع.ليصرفوا الناس عن الاستجابة لدعوته الحقّة، فاتّهموه بالكذب: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾(1)، وبالجنون بفعل السحر: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾(2)، وبطلب المال والجاه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾(3)، وبعدم الفضل والامتياز عليهم: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾(4)، وبأنّه ومن آمن معه مصدر مصائبهم ومحنهم: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾(5). وقد واجههم النبيّ صالح عليه السلام بحكمة وبصيرة نافذة، فنّد بها تهمهم، ووهّن حججهم، فكيف يكون كاذباً، وهو رسول أمين مُرسَل إليهم من ربّهم! ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾(6)، وكيف يكون مجنوناً، وقد جاءهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وهم يشهدون له بالفضل والرشد! ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾(7)، وكيف يكون طالباً للمال والجاه، وهو لم يسألهم ذلك، وأجره على الله تعالى وحده! ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(8)، وكيف يتعجّبون من كونه بشراً مثلهم، وقد خلت الرُسُل من قبله، وهو على بيّنة من ربّه! ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾(9)، وكيف يتشاءمون منه وممّن آمن معه على ما يصيبهم من محن وبلايا، والحال أنّهم لم يُدركوا أنّ الله تعالى الذي بيده جميع الأسباب وإليه تنتهي، أراد اختبارهم وامتحانهم! ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾(10).

وبعد أن أفقدهم النبيّ صالح عليه السلام كلّ فرصة لحرف الناس عن دعوته، طلبوا منه -من منطلق تعجيزه- أن يأتي بمعجزة على صدق دعواه النبوّة والاتّصال بالغيب، واقترحوا

(1) سورة هود، الآية 62.
(2) سورة الشعراء، الآية 153.
(3) سورة الشعراء، الآية 145.
(4) سورة الشعراء، الآية 154.
(5) سورة النمل، الآية 47.
(6) سورة الشعراء، الآية 143.
(7) سورة هود، الآية 62.
(8) سورة الشعراء، الآية 145.
(9) سورة هود، الآية 63.
(10) سورة النمل، الآية 47.

عليه أن يُخرِج لهم من الصخرة ناقة عشراء، على أن يؤمنوا به[1]: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2]، فأتاهم بما اقترحوا: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[3]، وطلب منهم أن لا يمسّوها بأذى، فيصيبهم عذاب أليم من ربّهم: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[4]، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[6]، فانقسم الناس عندها إلى طائفتين: طائفة آمنوا بصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطائفة أخرى لم يؤمنوا به؛ وقوامها كبراء قومه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾[7]، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[8]. وقد امتحنهم الله تعالى في أمر الناقة، فأمرهم بأنْ يتناوبوا معها على الاستفادة من ماء النهر، فيومٌ لهم ويوم لها: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾[9]، ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[10]، على أن يشربوا من لبن الناقة في اليوم الذي لا يشربون فيه من ماء النهر، فكانوا يشربون من لبن الناقة جميعاً، فيكفيهم[11]، ولكنّ كبراء قومه الذين كفروا بدعوته لم يرتضوا بذلك: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ

(1) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، ص293-294.
(2) سورة الشعراء، الآية 154.
(3) سورة الأعراف، الآية 73.
(4) سورة هود، الآية 64.
(5) سورة الأعراف، الآية 73.
(6) سورة الشعراء، الآية 156.
(7) سورة النمل، الآية 45.
(8) سورة الأعراف، الآيتان 75 ـ 76.
(9) سورة الشمس، الآية 13.
(10) سورة الشعراء، الآية 155.
(11) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، ص294.

﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾[1]، فتآمروا عليه، وأرادوا به كيداً، فدبّروا له مؤامرتين: الأولى: مباغتته وأهله ليلاً، وقتلهم أجمعين: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[2]، فأنجاه الله تعالى برحمته، وأمره بالخروج منهم: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[3]. الثانية: عقر الناقة، معجزة النبوّة، حيث انتدبوا شخصاً لذلك؛ وهو قدار بن سالف[4]: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾[5]، فقام بتنفيذ الجريمة، وعقر الناقة: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾[6]، فأنذرهم النبيّ صالح عليه السلام وقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيّام: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾[7]، ولكنّهم استخفّوا بالنُذُر، وطلبوا وقوعه: ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[8]، فتمّت الحجّة عليهم بالتبليغ والنُذُر: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[9].

نزول العذاب بقوم النبيّ صالح عليه السلام

بعد أن تمّت الحجّة على قوم النبيّ صالح عليه السلام بالتبليغ والنُذُر، أتاهم العذاب الذي كانوا يوعَدون، فأرسل الله تعالى عليهم صاعقة من السماء فيها نار فأحرقتهم: ﴿فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٤٤ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾[10]، ولها صوت شديد أرجفت قلوبهم وأرعدت فرائصهم من الخوف: ﴿وَأَخَذَ

(1) سورة النمل، الآية 48.
(2) سورة النمل، الآية 49.
(3) سورة النمل، الآية 50.
(4) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، ص294-295.
(5) سورة الشمس، الآية 12.
(6) سورة الأعراف، الآية 77.
(7) سورة هود، الآية 65.
(8) سورة الأعراف، الآية 77.
(9) سورة الأعراف، الآية 79.
(10) سورة الذاريات، الآيتان 44-45.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾[1]، وزُلزلت الأرض من تحتهم: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾[2]، ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾[3]، فخرّوا صرعى منكبّين على وجوههم: ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[4]، ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ﴾[5]، ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[6]. ونُجِّي النبيّ صالح عليه السلام ومن آمن معه برحمة من الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾[7]، ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[8].

دروس وعبر من قصّة النبيّ صالح عليه السلام

بعد التأمّل في قصّة النبيّ صالح الواردة في القرآن الكريم، يمكن استخلاص جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

- من السنن الإلهيّة: إرسال الرُسُل من أقوامهم وبلسانهم: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ﴾، ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ﴾.
- من السنن الإلهيّة إرسال البيّنات والمعاجز مع الأنبياء والرُسُل عليهم السلام: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾.

(1) سورة هود، الآية 67.
(2) سورة الأعراف، الآية 78.
(3) سورة الشمس، الآية 14.
(4) سورة الأعراف، الآية 78.
(5) سورة هود، الآيتان 67-68.
(6) سورة النمل، الآيتان 51-52.
(7) سورة هود، الآية 66.
(8) سورة النمل، الآية 53.

- الطغيان والتقليد الأعمى يصدّان عن الهداية، ويقودان إلى التكذيب بالحقّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾، ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

- الاسترسال في المعاندة والجدال العقيم يوجب حجب القلب، وعدم انتفاع الإنسان بدعوات الهداية: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

- حبّ الدنيا وزخارفها ينسي الإنسان ذكر الله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

- الإفساد في الأرض خلاف مقتضى الفطرة وهدف الخَلْق: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

-التعالي والكبر يعميان القلب، ويصدّان عن الحقّ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

- على الداعي الصبر على الأذى في دعوته: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾، ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾.

- على الداعي أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالأحسن: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ﴾، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ﴾، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

- على الإنسان أن يشكر الله تعالى على نعمه، ولا ينسى ذكره: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾.

- الاستغفار والتوبة يوجبان تطهير الإنسان وشموله بالرحمة الإلهيّة: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

- الله تعالى يستجيب لدعاء عباده المخلصين، وينصرهم وينجّيهم: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٖ ٦٥ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾، ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

- عاقبة الظلم والكفر الخسرانُ المبين في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ٦٧ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدٗا لِّثَمُودَ﴾.

- الله تعالى لا يهدي كيد الظالمين، ويأخذهم بألوان العذاب: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرٗا وَمَكَرْنَا مَكْرٗا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

-المعاون للمجرم والراضي بفعله، يشتركان معه في فعله الإجراميّ، وفي عقوبته: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا... فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾.

- ما يصيب الإنسان من محن وبلايا، ينتهي إلى الله تعالى. مسبّبِ الأسباب: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٞ تُفْتَنُونَ﴾.

- على الإنسان الاعتبار بمصير الأمم الغابرة: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوْمٖ يَعْلَمُونَ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. أرسل الله تعالى نبيّه هوداً عليه السلام، وهو من الأنبياء العرب، إلى قومه عاد، وكان على شريعة النبيّ نوح عليه السلام. وكانت عاد تقطن في الأحقاف؛ وهي منطقة في جنوب جزيرة العرب، لا أثر لها اليوم.
2. بعد أنْ تمّت الحجّة على قوم النبيّ هود عليه السلام بالتبليغ والوعد والوعيد، دعا النبيّ هود عليه السلام اللهَ تعالى، طالباً النصرة على قومه، بإهلاكهم بعد تكذيبهم وجحودهم، فأتاهم العذاب الذي كانوا يوعدون، حيث أرسل الله تعالى عليهم سحاباً أسود فيه ريح باردة عاتية، استمرّت سبع ليالٍ وثمانية أيّام، فأتت عليهم، فأهلكتهم.
3. بعد إهلاك الله تعالى قوم عاد، استخلف من بعدهم قوم ثمود، وكانوا يسكنون في منطقة تسمّى بالحجْر، شماليّ وادي القرى في ما بين الحجاز والشام، فأرسل الله تعالى إليهم نبيّهم صالحاً عليه السلام، وهو من الأنبياء العرب، وكان على شريعة النبيّ نوح عليه السلام.
4. بعد أن تمّت الحجّة على قوم النبيّ صالح عليه السلام بالتبليغ والنُذُر، أتاهم العذاب الذي كانوا يوعدون، فأرسل الله تعالى عليهم صاعقة من السماء، فيها نار فأحرقتهم، ولها صوت شديد أرجفت قلوبهم، وأرعدت فرائصهم من الخوف، وزُلزلت الأرض من تحتهم، فخرّوا صرعى منكبّين على وجوههم.

فكّر وأجب

1. تكّلم عن السيرة التبليغيّة للنبيّ هود عليه السلام، والدروس والعِبَر المستفادة منها.
2. تكّلم عن السيرة التبليغيّة للنبيّ صالح عليه السلام، والدروس والعِبَر المستفادة منها.
3. ما معجزةُ النبيّ صالح؟ وما موقفُ قومه منها؟

مطالعة

عن ابن أورمة، عن عليّ بن محمّد الخيّاط، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه، في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾، قال: «**هذا لمّا كذّبوا صالحاً صلوات الله عليه، وما أهلك الله تعالى قوماً قطّ حتّى يبعث إليهم الرسل قبل ذلك، فيحتجّوا عليهم، فإذا لم يجيبوهم أُهلكوا، وقد كان بعث الله صالحاً عليه السلام، فدعاهم إلى الله، فلم يجيبوه، وعتوا عليه، وقالوا: لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من الصخرة ناقة عشراء، وكانت صخرة يعظّمونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة، ويجتمعون عندها، فقالوا له: إنْ كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً، فادع الله يُخرج لنا ناقة منها، فأخرجها لهم كما طلبوا منه فأوحى الله تعالى إلى صالح أنْ قل لهم: إنّ الله تعالى جعل لهذه الناقة شرب يوم ولكم شرب يوم، فكانت الناقة إذا شربت يومها شربت الماء كلّه، فيكون شرابهم ذلك اليوم من لبنها، فيحلبونها، فلا يبقى صغير ولا كبير إلا شرب من لبنها يومه ذلك، فإذا كان الليل وأصبحوا، غدوا إلى مائهم، فشربوا هم ذلك اليوم، ولا تشرب الناقة، فمكثوا بذلك ما شاء الله، حتّى عتوا ودبّروا في قتلها، فبعثوا رجلاً أحمر أشقر أزرق، لا يُعرف له أب، ولد الزنا، يقال له قذار؛ ليقتلها، فلمّا توجّهت الناقة إلى الماء، ضربها ضربة، ثمّ ضربها أخرى، فقتلها، وفرّ فصيلها حتّى صعد إلى جبل، فلم يبقَ منهم صغير ولا كبير إلا أكل منها، فقال لهم صالح عليه السلام: أعصيتم ربّكم! إنّ الله تعالى يقول: إنْ تُبتم قُبِلَت توبتكم، وإنْ لم ترجعوا بعثت إليكم العذاب في اليوم الثالث، فقالوا: يا صالح، ائتنا بما تعدنا إنْ كنت من الصادقين، قال: إنّكم تصبحون غداً وجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني محمرّة، واليوم الثالث مسودّة، فاصفرّت وجوههم، فقال بعضهم: يا قوم، قد جاءكم ما قال صالح، فقال العتاة: لا نسمع ما يقول صالح ولو هلكنا، وكذلك في اليوم الثاني والثالث، فلمّا كان نصف الليل أتاهم جبرئيل، فصرخ بهم صرخة خرقت أسماعهم، وقلقلت قلوبهم، فماتوا أجمعين في طرفه عين، صغيرهم وكبيرهم، ثمّ أرسل الله عليهم ناراً من السماء، فأحرقتهم**»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص102-103.

الدرس الرابع

النبيّ إبراهيم عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصّة النبيّ إبراهيم عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيّ إبراهيم عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصّة النبيّ إبراهيم عليه السلام.

قصّة النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

هو إبراهيم، بن تارح، بن ناحور، بن ساروغ، بن أرغو، بن فالغ، بن عابر؛ وهو النبيّ هود عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[2]، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ
مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ
٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ
٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا
لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ
مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧
فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي
مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ
أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ

---

(1) انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج1، ص162-163؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج1، ص167-168؛ الأندلسي، تفسير البحر المحيط، مصدر سابق، ج4، ص339.

(2) انظر: سورة البقرة، الآيات 124-136، 140، 258-260؛ سورة آل عمران، الآيات 33، 65-68، 95-97؛ سورة النساء، الآيات 54، 125، 163، 165؛ سورة الأنعام، الآيات 75-89؛ سورة التوبة، الآيات 70، 114؛ سورة هود، الآيات 69-76؛ سورة يوسف، الآيتان 6، 38؛ سورة إبراهيم، الآيات 35-41؛ سورة الحجر، الآيات 51-60؛ سورة النحل، الآيات 120-123؛ سورة مريم، الآيات 41-50؛ سورة الأنبياء، الآيات 51-70؛ الحج، الآيات 26-34؛ سورة الشعراء، الآيات 69-89؛ سورة العنكبوت، الآيات 16-18، 24-27، 31-32؛ سورة الأحزاب، الآية 7؛ سورة الصافات، الآيات 83-113؛ سورة ص، الآيات 45-47؛ سورة الشورى، الآية 13؛ سورة الزخرف، الآيات 26-28؛ سورة الذاريات، الآيات 24-37؛ سورة النجم، الآيات 36-38؛ سورة الحديد، الآية 26؛ سورة الممتحنة، الآيات 4-6؛ سورة الأعلى، الآيات 14-19. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾[1].

وبالتأمّل في هذه المواضع التي ورد فيها ذِكْر النبيّ إبراهيم عليه السلام، يمكن استخلاص قصّته وفق المحطّات التالية:

مولد النبيّ إبراهيم عليه السلام ونشأتُه

اختُلِفَ في مكان مولد النبيّ إبراهيم عليه السلام بين بابل وغيرها، ولكنّ المُسلَّم به أنّه ترعرع في بابل، أرض الكلدانيّين التي كان يحكمها النمرود بن كنعان[2]. وقد كانت بابل بيئة شرْك، تعكف على عبادة الأصنام والأوثان من دون الله تعالى، ولكنّ إبراهيم عليه السلام لم يتأثّر في تربيته بهذه البيئة؛ بفعل قوّة فطرته، وصفاء روحه، وتربيته الإلهيّة: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾[3]، بل ما برح منذ صغره يمقت هذه العقائد الباطلة والفاسدة، ويواجهها بقوّة يقين وإيمان راسخ بالله تعالى ووحدانيّته: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[4].

سيرة النبيّ إبراهيم عليه السلام التبليغيّة

تحمّل النبيّ إبراهيم مسؤوليّة الدعوة إلى الله تعالى منذ صغره، فكان يدعو الناس للرجوع إلى ميثاق الفطرة التي خلقهم الله تعالى عليها، من الإيمان بالله تعالى ووحدانيّته، والرجوع إليه تعالى بالمعاد. وقد اختصّه الله تعالى في من اختصّ من أنبيائه ورسله، وجعله من الأنبياء أولي العزم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا

(1) سورة الصافات، الآيات 83-113.
(2) انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج1، ص162-163؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج1، ص167-168.
(3) سورة الأنبياء، الآية 51.
(4) سورة النحل، الآية 120.

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[1]، وبعثه بشريعة خاصّة؛ هي الحنيفيّة الإبراهيميّة: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[2]، التي نسخت شريعة مَنْ قبله، وتضمّنت دعوة إلى الاعتقاد بأصول الدين، والالتزام بمكارم الأخلاق، وبعض الأحكام والتشريعات: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[3]. وقد أُمر الناسُ باتّباع الدين الحنيف: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ﴾[4]، ووصى إبراهيم عليه السلام بنيه به: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[5]، كما أنَّ جزاء من يتخلّف عنه هو الخسران المبين: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾[6].

وقد صدر النبيّ إبراهيم عليه السلام في دعوته عن يقين وتصديق وصبر وحلم وشكر وتسليم، ورجوع إلى الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[7]، ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾[8]، ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾[9]، ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[10]؛ فاتّخذه الله تعالى لنفسه خليلاً: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾[11]، واجتباه وهداه إلى صراط مستقيم: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ

(1) سورة الشورى، الآية 13.
(2) سورة البقرة، الآية 135.
(3) سورة الأعلى، الآيات 14-19.
(4) سورة النساء، الآية 125.
(5) سورة البقرة، الآية 132.
(6) سورة البقرة، الآية 130.
(7) سورة مريم، الآية 41.
(8) سورة التوبة، الآية 114.
(9) سورة الصافات، الآية 84.
(10) سورة البقرة، الآية 131.
(11) سورة النساء، الآية 125.

﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، وأراه ملكوت السماوات والأرض، وجعله من الموقنين: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[2]، واصطفاه وأدخله برحمته في عباده الصالحين: ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5]، ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[6]، وآتاه والطاهرين من ذرّيّته الكتابَ والحكمة والملك: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[7]، ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾[8]، ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣
وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤
وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦
وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧
ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[9].

---

(1) سورة النحل، الآية 121.
(2) سورة الأنعام، الآية 75.
(3) سورة البقرة، الآية 130.
(4) سورة آل عمران، الآية 33.
(5) سورة النحل، الآية 122.
(6) سورة ص، الآيات 45-47.
(7) سورة العنكبوت، الآية 27.
(8) سورة النساء، الآية 54.
(9) سورة الأنعام، الآيات 83-89.

وهاجر النبيّ إبراهيم عليه السلام من موطنه إلى الشام؛ أرض الكنعانيّين، إلى أرض فلسطين[1]: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2]، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾[3]، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]؛ لنشر رسالته التي كانت رسالة عامّة لكلّ البشريّة آنذاك، وبقي فيها حتّى وافته المنيّة[5] عن مئة وخمس وسبعين، وقيل: مئة وتسعون سنة، وقيل: مئتا سنة. ودفن في المغارة التي كانت بحبرون الحيثيّ من أرض كنعان، عند امرأته سارة التي كانت في مزرعة عفرون الحيثيّ، وتولّى دفنه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام[6].

اعتمد النبيّ إبراهيم عليه السلام أسلوباً إلهيّاً في الدعوة إلى الله تعالى قوامه: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالأحسن، وقد تجلّى ذلك في أجلى صوره، من خلال المناظرات التي دارت بينه وبين عمّه آزر، وقومه وملك بابل.

مناظرات النبيّ إبراهيم عليه السلام ومواجهاته مع طغاة عصره

حكى القرآن الكريم أربع مناظرات ومواجهات للنبيّ إبراهيم عليه السلام، في دعوته إلى الله تعالى، اعتمد فيها على إثارة الفطرة والعقل والوجدان لدى المخاطَبين بقضايا واضحة وجليّة، يستجيب لها من له أدنى حظّ من الالتفات والنظر، وهي:

1- مناظرته مع آزر:

ناظر النبيّ إبراهيم عليه السلام آزر مناظرتين: الأولى كانت مناظرة له بنحو منفرد، والثانية مناظرة له هو وقومه من عبدة الأصنام والأوثان. واعتمد النبيّ إبراهيم عليه السلام في دعوته آزر أسلوباً حكيماً عاطفيّاً خاصّاً، يحفظ حقوق الرحم بينه وبين عمّه، حيث كشف له

(1) انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج1، ص206؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج1، ص168.
(2) سورة العنكبوت، الآية 26.
(3) سورة الصافات، الآية 99.
(4) سورة الأنبياء، الآية 71.
(5) انظر: الشيخ الصدوق، علل الشرائع، مصدر سابق، ج1، ص38.
(6) ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج1، ص249-250.

من خلاله كشفاً واضحاً لا لبس فيه، عن واقع الأصنام وضعفها وعجزها: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾[1]، ودعاه إلى عبادة الله تعالى، وحذّره من عاقبة الشرك: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾[2]، ولكنّ آزر كفر بدعوته، ولم يراعِ حقوق الرحم، ولم تتحرّك عاطفته تجاه ابن أخيه، فواجهه بغلظة وقسوة، وهدّده بالقتل: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[3]، ومع ذلك حافظ إبراهيم عليه السلام على أسلوبه الدعويّ الخاصّ مع عمّه ودعا له بالمغفرة والهداية: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝٤٧ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[4]، ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ﴾[5]. وبعد أنْ أعمى آزر الجهل والتقليد، وأغشى قلبه حبّ الجاه والمكانة الاجتماعيّة بين الناس، بفعل كونه أشهر نحّاتي تماثيل الأصنام في عصره، وله حظوة خاصّة عند النمرود ملك بابل، فأوصد آذان عقله وقلبه أمام دعوة الحقّ، ما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أنْ تبرّأ منه؛ لعلمه بضلاله، وعدم اهتدائه إلى الحقّ أبداً: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[6].

وتجدر الإشارة إلى أنّ آزر ليس والد النبيّ إبراهيم عليه السلام؛ لأنّ العرب استعملت لفظ الأب في الوالد وغيره من الأعمام والأخوال؛ لكونهم بمنزلة الآباء. وكذلك ورد في القرآن الكريم نسبة أبوّة إسماعيل عليه السلام إلى يعقوب عليه السلام، مع أنّه واقعاً عمّه:

(1) سورة مريم، الآية 42.
(2) سورة مريم، الآيات 43-45.
(3) سورة مريم، الآية 46.
(4) سورة مريم، الآيتان 47-48.
(5) سورة الممتحنة، الآية 4.
(6) سورة التوبة، الآية 114.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1]، كما أنّ إبراهيم عليه السلام قد تبرّأ في شبابه من آزر، بعدما تبيّن له أنّه ضالّ، لا يهتدي أبداً. وقد حكى القرآن الكريم دعاء إبراهيم عليه السلام بعد ذلك لوالديه، بعد أنْ أصبح طاعناً في السنّ، وأسكن ذرّيته مكّة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[2]، فلا يستقيم أنْ يكون آزر والداً له.

2- مناظرته مع عبدة الأصنام والأوثان:

وجّه إبراهيم عليه السلام مجموعة من الأسئلة الإشكاليّة إلى عبدة الأصنام والأوثان من قومه، ومن بينهم آزر، استهدف من خلالها إيقاظهم من غفلتهم، بإزالة الحجب عن فطرهم، وإعادة تنشيط عقولهم؛ ليتسنّى لهم رؤية حقيقة ضعف هذه الأصنام وعجزها: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[3]، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾[4]، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾[5]، والإذعان بوحدانيّة الله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[6]، ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[7]. وقد بالغ في دعوتهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ

(1) سورة البقرة، الآية 133.
(2) سورة إبراهيم، الآيات 39-41.
(3) سورة الأنبياء، الآية 52.
(4) سورة الشعراء، الآيات 70-73.
(5) سورة الصافات، الآيتان 85-86.
(6) سورة الصافات، الآية 87.
(7) سورة الأنبياء، الآية 56.

إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ
وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[1]، ولكنّهم لم يستجيبوا له، وكفروا بدعوته: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ
أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾[2]؛ بفعل تعنّتهم وتقليدهم الأعمى للآباء: ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا
عَٰبِدِينَ﴾، ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾[3]. فما كان من إبراهيم عليه السلام إلّا
أنْ واجههم بقوّة: ﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[4]، وأعلن براءته منهم
وممّا يعبدون وتولّيه الله تعالى وحده لا شريك له: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ
٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي
بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥
وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ
٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[5]، ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ
٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[6]،
﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ
وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ
تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾[7]. ثمّ عزم على تحطيم أصنامهم، متحيّناً الفرصة المؤاتية لذلك:
﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾[8]، ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ

---

(1) سورة العنكبوت، الآيات 16-18.
(2) سورة الأنبياء، الآية 55.
(3) سورة الشعراء، الآية 74.
(4) سورة الأنبياء، الآية 54.
(5) سورة الشعراء، الآيات 75-89.
(6) سورة الزخرف، الآيات 26-28.
(7) سورة الممتحنة، الآية 4.
(8) سورة الأنبياء، الآية 57.

إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾[1]، وقام بتحطيمها، مستثنياً كبير أصنامهم: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[2]، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[3]، ولمّا علم قومه بذلك أحضروه: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾[4]، وسألوه عن من فعل ذلك بآلهتهم: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا إِنَّهُۥ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[5]، فطلب منهم أن يسألوا كبير أصنامهم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[6]؛ ليلقي عليهم الحجّة البالغة من جديد، في عجز هذه الأصنام والأوثان وضعفها، وعدم لياقتها للعبادة، فبُهتوا واعترفوا بعجز آلهتهم: ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾[7]، ولكنّ جهلهم وتعنّتهم أصمّ عقولهم، وأعمى قلوبهم، وقادهم إلى الكفر والجحود، فوبّخهم إبراهيم عليه السلام على جهلهم وجحودهم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[8]، ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[9]، فلم يجدوا محيصاً أمام قوّة حججه إلّا أن يسلّموه إلى النمرود؛ ملك بابل؛ ليعاقبه بقتله حرقاً؛ جزاءً على ما فعل بآلهتهم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾[10]، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[11]، ﴿قَالُوا

(1) سورة الصافات، الآيات 88-90.
(2) سورة الصافات، الآيات 91-93.
(3) سورة الأنبياء، الآية 58.
(4) سورة الصافات، الآية 94.
(5) سورة الأنبياء، الآيات 59 ـ 62.
(6) سورة الأنبياء، الآية 63.
(7) سورة الأنبياء، الآيتان 64 ـ 65.
(8) سورة الأنبياء، الآيتان 66-67.
(9) سورة الصافات، الآيتان 95-96.
(10) سورة العنكبوت، الآية 24.
(11) سورة الأنبياء، الآية 68.

﴿ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾[1]، فأنجاه الله تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[2]، ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[3]، وردّ كيدهم، فباءوا بالخسران: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾[4]، ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾[5]، فتركهم النبيّ إبراهيم عليه السلام بعد أنْ أنبأهم بمصيرهم: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[6]، وهاجر مع ابن أخيه لوط عليه السلام إلى الشام، إلى أرض فلسطين: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[7]، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾[8].

3 - مناظرته مع عبدة النجوم والكواكب:

اتّبع إبراهيم عليه السلام أسلوباً حكيماً خاصّاً في دعوته عبدَة النجوم والكواكب، حيث سلَّم معهم جدلاً بمدّعاهم ربوبيّة الكواكب والنجوم، ثمّ أخذ شيئاً فشيئاً يكشف لهم عن عجزها وضعفها، وعدم لياقتها للعبادة؛ ليوصلهم إلى أنّ الله وحده هو أهل للعبادة دون ما سواه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ

(1) سورة الصافات، الآية 97.
(2) سورة الأنبياء، الآية 69.
(3) سورة العنكبوت، الآية 24.
(4) سورة الأنبياء، الآية 70.
(5) سورة الصافات، الآية 98.
(6) سورة العنكبوت، الآية 25.
(7) سورة العنكبوت، الآية 26.
(8) سورة الصافات، الآية 99.

إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1].

4 - مناظرته مع ملك بابل:

حكى القرآن الكريم مناظرة النبيّ إبراهيم عليه السلام مع النمرود؛ ملك بابل، المدّعي للربوبيّة: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾[2]، حيث بيّن له إبراهيم عليه السلام ربوبيّة الله تعالى المطلقة، من خلال بيان بعض مصاديقها، كالإحياء والإماتة، تأكيداً لعدم انفكاك مراتب التوحيد في الخالقيّة والربوبيّة والعبوديّة: ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾[3]، فأجابه النمرود بجواب، استخفّ به عقول الحاضرين من قومه، بقدرته على الإحياء والإماتة، بأنْ أتى برجلين محكومين بالقتل، فقتل أحدهما، وأطلق سراح الآخر: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾[4]. ولذلك لم يجادل إبراهيم عليه السلام النمرود في ما قدّم من زيف وخداع؛ لاتّضاح الأمر على من به أدنى حظّ من العقل، ولكنّه لجأ إلى تقديم حجّة أخرى، أجلى في باب إثبات ربوبيّة الله تعالى، وإبطال دعوى النمرود، فذكر ربوبيّته تعالى في تسيير فلك الشمس، وأثره في أمكنة الأرض، بلحاظ الشروق والغروب، وطلب من النمرود الإتيان بالشمس من المغرب، إذا كان محقّاً في دعواه الربوبيّة: ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾[5]، فبُهت النمرود، ولم يستطع أن يواجه النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾[6]، ومع ذلك بقي النمرود وقومه على كفرهم وجحودهم: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7]، فما

(1) سورة الأنعام، الآيات 76-81.
(2) سورة البقرة، الآية 258.
(3) سورة البقرة، الآية 258.
(4) سورة البقرة، الآية 258.
(5) سورة البقرة، الآية 258.
(6) سورة البقرة، الآية 258.
(7) سورة البقرة، الآية 258.

كان من إبراهيم عليه السلام إلّا أنْ اعتزلهم، وعزم على تركهم والهجرة إلى فلسطين، تلك الأرض المباركة التي هاجر إليها مع ابن أخيه لوط عليه السلام، وظلّ يدعو فيها برسالته إلى مرحلة متأخّرة من عمره.

5 - طلب رؤية إحياء الموتى:

حكى القرآن الكريم طلب النبيّ إبراهيم عليه السلام من الله تعالى أن يمنّ عليه بإراءَته إحياء الموتى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[1]، فيرفع درجة يقينه من مرتبة العلم اليقينيّ إلى مرتبة المعاينة اليقينيّة: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[2]، فاستجاب الله تعالى له ذلك؛ لاستعداد إبراهيم عليه السلام لنيل هذه المرتبة في نفسه. وقد أمره الله تعالى أن يحضر أربعة طيور مختلفة الأجناس، وأن يقطّعها ويفرّقها على أجزاء، ثمّ يضع على كلّ جبل جزءاً من الطيور المقطّعة، ثمّ يدعوها، فتأتيه مجتمعة قد دبّت فيها الحياة من جديد: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

ابتلاءات النبيّ إبراهيم عليه السلام

ابتلى الله تعالى النبيّ إبراهيم عليه السلام بابتلاءات عدّة، وقد صرّح القرآن الكريم جملةً بوقوع هذه الابتلاءات: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[4]. ويمكن استنتاج مصاديقها من خلال بعض المواقف التي تعرّض لها القرآن الكريم من محن واختبارات، حصلت مع إبراهيم عليه السلام، وامتدحه القرآن الكريم على صبره ونجاحه فيها. ومن هذه الابتلاءات:

---

(1) سورة البقرة، الآية 260.
(2) سورة البقرة، الآية 260.
(3) سورة البقرة، الآية 260.
(4) سورة البقرة، الآية 124.

1 - **إحراقه عليه السلام بالنار:**

بعد أن حطّم إبراهيم عليه السلام الأصنام التي كان يعبدها قومه، وبعد فشل النمرود في إبطال حججه عليه السلام، لم يجدوا محيصاً إلّا قتله عليه السلام، فبدا للنمرود أنْ يقتله حرقاً، وقد أعدّ لذلك العدّة، فأمر بإيقاد نارٍ عظيمة، وجمع الناس ليشهدوا إحراق إبراهيم عليه السلام، وأمر بإلقائه بواسطة المنجنيق في النار: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾[1]، ولكنّ إبراهيم عليه السلام بصبره في جنب الله تعالى، وتسليمه له، نجا من الاحتراق بالنار: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[2]، ونجح في هذا الابتلاء الصعب، فكان هذا المشهد المهيب حجّة أخرى بالغة على النمرود وقومه بصدق دعوة النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[3].

2 - **هجرته من وطنه:**

بعد أنْ علم إبراهيم عليه السلام عدم اهتداء قومه، وإصرارهم على أذيّته وقتله، هاجر من وطنه، صابراً محتسباً متوكّلاً على الله تعالى في أمره، ليحطّ في دار غربة في الشام؛ في أرض فلسطين، بعد أنْ رفضه قومه: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[4]، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾[5].

3 - **إسكان زوجه وابنه إسماعيل مكّةَ:**

بعد أنْ تزوّج إبراهيم عليه السلام سارة، لم يرزق منها أولاداً مدّة طويلة من الزمن، حتّى بلغ مرحلة متقدّمة من العمر، ثمّ تزوّج بعد ذلك هاجر، وكانت جارية لسارة، فدعا الله تعالى أن يرزقه ذرّيّة من الصالحين، فرُزِق منها بإسماعيل عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ

(1) سورة الصافات، الآية 97.
(2) سورة الأنبياء، الآية 69.
(3) سورة العنكبوت، الآية 24.
(4) سورة العنكبوت، الآية 26.
(5) سورة الصافات، الآية 99.

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾[1]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ﴾[2]، ثمّ أتاه الوحي الإلهيّ بأنْ يسافر من فلسطين مع هاجر وابنه إسماعيل، وأن يسكنهما في مكّة -وكانت آنذاك وادياً لا زرع فيه ولا ماء- ثمّ يعود على الفور إلى فلسطين. وقد امتثل النبيّ إبراهيم عليه السلام لهذا الأمر وسلّم لله تعالى فيه، ودعاه أن يتولّى أمر زوجه وابنه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[3]، ثمّ غاب عنهما، وكان يتردّد إليهما بين الحين والآخر.

4 - الأمر بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام:

بعد أنْ ترك إبراهيم عليه السلام زوجه هاجر، وابنه إسماعيل عليه السلام، بعد عودته إلى مكّة، ورفعه بناء البيت الحرام مع ابنه إسماعيل عليه السلام، الذي بلغ حينها مبلغاً من العمر يسعى فيه لطلب حوائج الحياة، أتاه الوحي الإلهيّ في منامه، وأمره بأنْ يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4]، فسلّم إبراهيم عليه السلام لأمر الله تعالى، وعزم على تنفيذه: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾[5]، فجاءه الوحي الإلهيّ، وأمره بالتوقّف عن ذلك: ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾[6]، وامتدحه على تسليمه وإخلاصه لله تعالى، وأمره بذبح كبش فداءً لابنه إسماعيل عليه السلام: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ

(1) سورة الصافات، الآيتان 100-101.
(2) سورة إبراهيم، الآية 39.
(3) سورة إبراهيم، الآيتان 37 ـ 38.
(4) سورة الصافات، الآية 102.
(5) سورة الصافات، الآيتان 103-104.
(6) سورة الصافات، الآية 105.

إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس هو الذبيح، كما يزعم اليهود؛ لأنه لم يكن مولوداً بعد، على ما يشهد به سياق ما ورد في القرآن من قصّة البشارة بإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمّ قصّة الذبح، ثمّ البشارة بإسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾[2]، وبذلك تشهد الروايات المأثورة[3].

بناء البيت الحرام وتشريع الحجّ

بعد أنْ عاد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مكّة مجدّداً في اختبار ذبح إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبعد نجاحه في هذا الامتحان، أمره الله تعالى برفع بناء البيت الحرام، فقام عَلَيْهِ السَّلَامُ بامتثال الأمر الإلهيّ، وعاونه ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[4]، وكانا يدعوان الله تعالى أن يتقبّل أعمالهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5]، وأن يرفع مقامهما إلى التسليم المطلق له تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[6]، وأنْ يجعل هذا المقام سارياً في ذريّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ

---

(1) سورة الصافات، الآيات 105-111.
(2) سورة الصافات، الآيات 100-113.
(3) انظر: الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ: معاني الأخبار، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، لا ط، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1379هـ.ق/ 1338هـ.ش، ص391.
(4) سورة البقرة، الآية 127.
(5) سورة البقرة، الآية 127.
(6) سورة البقرة، الآية 128.

﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[1]، وأنْ يتولّاهما برحمته، ويسدّدهما في أفعالهما العباديّة، ويريهما حقيقتها: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]، وأنْ يبعث من هذه الذرّيّة رسولاً يتكفّل بتعليم الأمّة وتربيتها، وإخراجها من الظلمات إلى النور: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3]. ومع انتهاء إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام من رفع بناء البيت الحرام، أمره الله تعالى بتطهير البيت الحرام، وتهيئته للوافدين إليه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[4]، ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[5]، وبأنْ يُعلم بعد ذلك الناسَ من جميع الأقطار بتشريع الحجّ، ويدعوهم إلى تأدية مناسكه: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[6]، فامتثل عليه السلام لأمره تعالى، وطلب منه تهيئة بيئة جذب الناس لسماع دعوة الحقّ، بأنْ يجعل مكّة مكاناً آمناً، ومزدهراً اقتصاديّاً، وخصباً، ينتفع منه الناس جميعاً، وينجذبون إليه من كلّ مكان بعيد: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[7]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[8]، فاستجاب الله تعالى له دعوته: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً

(1) سورة البقرة، الآية 128.
(2) سورة البقرة، الآية 128.
(3) سورة البقرة، الآية 129.
(4) سورة الحج، الآية 26.
(5) سورة البقرة، الآية 125.
(6) سورة الحج، الآيات 27-29.
(7) سورة البقرة، الآية 126.
(8) سورة إبراهيم، الآيتان 35-36.

لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[1]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾[2]، على أن يُحَاسب مَنْ كفر من الناس على كفره: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[3]

إمامة النبيّ إبراهيم عليه السلام

بعد أنْ نجح إبراهيم عليه السلام في اجتياز هذه الابتلاءات والاختبارات، وبعد إتمامه الأوامر الإلهيّة، استحقّ نيل مقام الإمامة: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾[4]. ومن عظم هذا المقام، سأله النبيّ إبراهيم عليه السلام في ذرّيّته: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ﴾[5]، فأجابه الوحي الإلهيّ بوقوعه في ذرّيّته، ولكنّه عهد إلهيّ خاصّ بالمطهَّرين منهم، لا يناله من صدر منه ظلمٌ في حياته: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6].

ولادة إسحاق عليه السلام لإبراهيم عليه السلام

في آخر عمر النبيّ إبراهيم عليه السلام، وهو في أرض فلسطين، أتت الملائكة في صور رجال، فاستضافهم، وهو لا يعرف أنّهم ملائكة ربّ العالمين: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[7]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ﴾[8]، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[9]، وأمر زوجه سارة بإكرام الضيوف، وإعداد طعام لهم، فأتاهم بعجل سمين مشويّ: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[10]، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ

(1) سورة البقرة، الآية 125.
(2) سورة آل عمران، الآيتان 96 ـ 97.
(3) سورة البقرة، الآية 126.
(4) سورة البقرة، الآية 124.
(5) سورة البقرة، الآية 124.
(6) سورة البقرة، الآية 124.
(7) سورة الحجر، الآيتان 51-52.
(8) سورة هود، الآية 69.
(9) سورة الذاريات، الآيتان 24-25.
(10) سورة هود، الآية 69.

سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾[1]، فلمّا رأى أنّهم لا يأكلون منه، اضطرب من حالهم، واستوجس من أمرهم: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾[2]، ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ﴾[3]، ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾[4]، فبادروا إلى طمأنته بأنّهم رُسُل الله تعالى إلى قوم لوط عليه السلام، ويحملون له ولزوجه البشرى بأنهما سيرزقان بغلام عليم، وسيكون له ذرّيّة: ﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾[5]، ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾[6]، ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾[7]، وكانت امرأته واقفة بالباب: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾[8]، فاستعجبا من رزقهما بالولد على كبر سنّهما، وهذا أمر يكاد يكون غير واقع بحسب المعهود من الأسباب: ﴿قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[9]، ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾[10]، ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾[11]، فأجابتهما الملائكة بأنّ الله تعالى قد أذن لهما بهذا الرزق: ﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ﴾[12]، ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾[13]، ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[14]، ففرحا، واستبشرا، وشكرا الله تعالى

---

(1) سورة الذاريات، الآيتان 26-27.
(2) سورة هود، الآية 70.
(3) سورة الحجر، الآية 52.
(4) سورة الذاريات، الآية 28.
(5) سورة الحجر، الآية 53.
(6) سورة الذاريات، الآية 28.
(7) سورة هود، الآية 70.
(8) سورة هود، الآية 71.
(9) سورة الحجر، الآية 54.
(10) سورة هود، الآية 72.
(11) سورة الذرايات، الآية 29.
(12) سورة الحجر، الآية 55.
(13) سورة هود، الآية 73.
(14) سورة الذرايات، الآية 30.

عليه: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[2]. وبعد أنْ ذهب عن إبراهيم عليه السلام الخوف والوجل، وسمع بشرى الملائكة برزقه بإسحاق، ومن بعده بيعقوب، سألهم عن أمر الله تعالى في قوم النبيّ لوط عليه السلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[3]، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[4]، فأجابوه بأنّ الله تعالى أرسلهم ليُنزِل بهم عذاباً غير مردود: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾[5]، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾[6]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[7]، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾[8]، فسألهم النبيّ إبراهيم عليه السلام عن مصير النبيّ لوط عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ﴾[9]، فأجابوه بأنّ الله منجّيه وأهله، إلّا امرأته: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[10]، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[11]، ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[12].

---

(1) سورة الحجر، الآية 56.
(2) سورة إبراهيم، الآيات 39-41.
(3) سورة هود، الآيتان 74-75.
(4) سورة الحجر، الآية 57.
(5) سورة العنكبوت، الآية 31.
(6) سورة الحجر، الآية 58.
(7) سورة هود، الآية 76.
(8) سورة الذاريات، الآيات 32-34.
(9) سورة العنكبوت، الآية 32.
(10) سورة العنكبوت، الآية 32.
(11) سورة الحجر، الآيتان 59-60.
(12) سورة الذاريات، الآيات 35-37.

دروس وعبر من قصّة النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالتأمّل في ما ورد في القرآن الكريم من قصّة النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، يمكن استخلاص جملة من الدروس والعبر والسنن، منها:

-وحدة الدين عند الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾.

-الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حجج الله تعالى على خلقه: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾.

-عين اليقين أعلى مرتبة من علم اليقين: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾.

-خيرات البيت الحرام وبركاته للمؤمنين خاصّة: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

-البيت الحرام مكان للعبادة والتقرّب إلى الله تعالى، وليس محطّة للّهو والتسلية: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

-على الإنسان أن يصبر على الابتلاء، ويسلّم لأمر الله تعالى؛ حتّى يتهيّأ ويصبح مستعدّاً لتلقّي الفيض الإلهيّ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾، ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾
وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾.

-ارتكاب الظلم يصيّر الإنسان محروماً من نيل الفيض الإلهيّ: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

-على المجتمع التوحيديّ الالتزام بنهج التواصي بالحقّ: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

-تعظيم شعائر الله تعالى دليلٌ على تقوى القلب وصلاحه: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ... ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾.

-التوفيق لامتثال الأوامر الإلهيّة نعمة تستحقّ الشكر: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

-الأمن ورغد العيش شرطان أساسيّان لتهيئة البيئة المناسبة لسماع دعوة الحقّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾.

-على الإنسان الرساليّ أن يحمل مسؤوليّة الإعداد والتمهيد لمَن يأتي بعده من أجيال، ويُسهم في صناعة مستقبلهم: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

-على الداعي الانطلاق في دعوته من القضايا والعقائد الواهمة المسلَّمة لدى المدعوّين، والعمل على دحضها وإزالتها بحكمة وبصيرة، ثمّ توجيههم إلى العقيدة الحقّة: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾

فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

-على الداعي أن تكون دعوته نابعة من قوّة موقف وإيمان راسخ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

-على الداعي أن يصبر في حكمه على المدعوّين وإنْ أبطأوا في الاستجابة لدعوته، وأنْ يدعو لهم بالتبصّر والهداية: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾.

-على الداعي اتّباع أسلوب النصح في الدعوة إلى الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾.

-الداعي إلى الله تعالى لا يوادع، ولا يساوم في دعوته: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

-على الإنسان أن لا ييأس من رحمة الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾، ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ

﴿٥٤ قَالُوا۟ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ٥٥ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

-إكرام الضيف من شِيَم الرجال: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾.

-على الإنسان أن يتوكّل على الله تعالى في كلّ أمر: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾

-ملازمة نهج الدعاء بالصلاح والخير للنفس وللآخرين: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾.

-الله تعالى يدافع عن عباده المخلصين، وينصرهم وينجّيهم: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾.

-على الإنسان أن يتذكّر دوماً نعم الله تعالى وعطاياه، ويقرّ بها، ويشكره عليها: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾.

-سلامة قلب الإنسان وارتباطه بالله تعالى سبيل فلاحه وأمنه من الخسران: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾، ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾، ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

-لا مُقَام للمؤمنين في بيئة قُضيَ على أهلها بالكفر والضلال: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

-الارتباط النسبيّ أو السببيّ بالأنبياء عليهم السلام وحده لا يعصم الإنسان من العذاب فيما لو كان من الكافرين: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾.

-تحرّي عقلانيّة الإنسان في اتّباعه للدين الحنيف أو إعراضه عنه: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾.

-الانبهار بالملك والسلطة يعمي قلب الإنسان عن الحقيقة، ويدفعه للمجادلة من غير حقّ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

-الروابط الدنيويّة الباطلة لا تنفكّ تزول وتبطل بزوال الدنيا، فلا يبقى لأهلها يوم القيامة إلّا وزرها والخصام: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. بعث الله تعالى نبيّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرسالة، وجعله من أنبياء أولي العزم، وبعثه بشريعة خاصّة هي الحنيفيّة الإبراهيميّة.
2. قام النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأربع مناظرات ومواجهات مع عمّه آزر ومع عبدة الأصنام والأوثان والكواكب والنجوم من قومه، ومع النمرود ملك بابل، اعتمد فيها على إثارة الفطرة والعقل والوجدان لدى المخاطَبين بقضايا واضحة وجليّة يستجيب لها من له أدنى حظّ من الالتفات والنظر.
3. بعد أنْ أعرض قوم النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن دعوته، وحاولوا قتله، هاجر من موطنه إلى الشام؛ أرض الكنعانيّين؛ إلى أرض فلسطين؛ لنشر رسالته التي كانت رسالة عامّة لكلّ البشريّة آنذاك، وبقي فيها حتّى وافته المنيّة.
4. ابتلى الله تعالى نبيّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بابتلاءات عدّة، وبعد نجاحه في اجتياز هذه الابتلاءات والاختبارات، وإتمامه الأوامر الإلهيّة، استحقّ نيل مقام الإمامة.
5. أمر الله تعالى نبيّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ برفع بناء البيت الحرام، فقام عَلَيْهِ السَّلَامُ بامتثال الأمر الإلهيّ، وعاونه ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك.

فكّر وأجب

1. تكلّم عن المناظرات التي أجراها النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه.
2. ما الابتلاءات التي ابتُلِيَ بها النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟
3. بيّن مجريات بناء الكعبة وتشريع الحجّ الإبراهيميّ.

مطالعة

عن ابن بابويه، حدّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن مروان، عن أبي جعفر صلوات الله عليه، قال: «**كان دعاء إبراهيم عليه السلام يومئذٍ: (يا أحد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد)، ثمّ (توكّلت على الله)، فقال: كُفيت. وقال: لمّا قال الله تعالى للنار:** ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، **لم تعمل يومئذٍ نار على وجه الأرض، ولا انتفع بها أحد ثلاثة أيّام، قال: ونزل جبرئيل يحدّثه وسط النار. قال نمرود: من اتّخذ إلهاً، فليتّخذ مثل إله إبراهيم، فقال عظيم من عظمائهم إنّي عزمْتُ على النيران أنْ لا تحرقه، قال: فخرجتْ عنق من النار فأحرقته. وكان نمرود ينظر بشرفة على النار، فلمّا كان بعد ثلاثة أيام، قال نمرود لآزر: اصعد بنا حتّى ننظر، فصعدا، فإذا إبراهيم في روضة خضراء، ومعه شيخ يحدّثه، قال: فالتفت نمرود إلى آزر، فقال: ما أكرم ابنك على الله، والعرب تسمّي العمّ أباً، قال تعالى في قصّة يعقوب:** ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، **وإسماعيل كان عمّ يعقوب عليه السلام، وقد سمّاه أباً في هذه الآية**»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص109.

الدرس الخامس

النبيّ لوط عليه السلام
النبيّ إسماعيل عليه السلام
النبيّ إسحاق عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصص الأنبياء لوط عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للأنبياء لوط عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصص الأنبياء لوط عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام.

قصّة النبيّ لوط عليه السلام

هو لوط، بن هاران، أخو النبيّ إبراهيم[1] عليه السلام. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[2]، منها: قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[3].

بعد التأمّل في هذه الآيات التي ورد فيها ذِكْر النبيّ لوط عليه السلام، وفي غيرها من الآيات المتقدّمة الواردة فيه، وفي عمّه النبيّ إبراهيم عليه السلام، يمكن استخلاص قصّته وفق المحطّات التالية:

---

(1) انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج1، ص205-206.

(2) انظر: سورة الأنعام، الآيات 86-87، 89؛ سورة الأعراف، الآيات 70، 74-84،80، 89؛ سورة هود، الآيات 77-83؛ سورة الحجر، الآيات 59-74؛ سورة الأنبياء، الآيات 71، 74-75؛ سورة الشعراء، الآيات 160-173؛ سورة النمل، الآيات 54-58؛ سورة العنكبوت، الآيات 26، 28-38؛ سورة الصافات، الآيات 133-138؛ سورة القمر، الآيات 33-39؛ سورة التحريم، الآية 10. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ لوط عليه السلام.

(3) سورة الشعراء، الآيات 160-173.

مولد النبيّ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ونشأته

ولد النبيّ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وترعرع في بابل؛ أرض الكلدانيّين التي كان يحكمها النمرود بن كنعان[1]، ولكنّه لم يتأثّر في تربيته ببيئتها العاكفة على الشرك وعبادة الأصنام والأوثان. وقد تعهّدته يد الهداية الإلهيّة بالرعاية والتربية منذ صغره، فآمن لعمّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وآزره وأعانه على دعوته، بعد أنْ كفر به أهل بابل: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾[2].

هجرته عَلَيْهِ السَّلَامُ مع النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

هاجر النبيّ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ مع عمّه النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من موطنهما؛ أرض الكلدانيّين إلى أرض الشام؛ أرض الكنعانيّين: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3]، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]، فنزل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في فلسطين، وأرسل لوطاً عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أرض سدوم وجوارها في الأردن؛ لينشرا الدين الحنيف في أرض الكنعانيّين[5]. وقد كان أهل سدوم وجوارها كافرين بالله تعالى، مقيمين على ركوب الفاحشة في ما بينهم، بإتيان الرجال واعتزال النساء، قاطعين سبيل مَنْ يرد إليهم بفاحشتهم: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ مُّسۡرِفُونَ﴾[6]، ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾[7].

سيرة النبيّ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ التبليغيّة

تحمّل النبيّ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ مسؤوليّته التبليغيّة، بنشر الدين الحنيف في أرض سدوم وجوارها، وكان على شريعة النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد بالغ في نصح قومه ودعوتهم

---

(1) انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج1، ص162-163؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج1، ص167-168.
(2) سورة العنكبوت، الآية 26.
(3) سورة العنكبوت، الآية 26.
(4) سورة الأنبياء، الآية 71.
(5) انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج1، ص206.
(6) سورة الأعراف، الآيتان 80-81.
(7) سورة العنكبوت، الآية 29.

لعبادة الله تعالى وطاعته وتقواه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٦٢ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٦٣ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، وتَرْك ما حرّمه الله تعالى عليهم من الخبائث إلى ما أحلّه لهم من الطيّبات: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[2]، وحذّرهم من عاقبة أمرهم، ولكنّهم كذّبوه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[3]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾[4]، وواجهوه بالاستخفاف بدعوته وإنذاره: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾[5]، ثمّ بتهديده بإبعاده ونفيه من أرضهم: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾[6]، ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[7]، فأعرض عنهم، وطلب من الله تعالى نزول العذاب عليهم: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾[8]، ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[9].

نزول العذاب على قوم النبيّ لوط عليه السلام

لمّا تمّت الحجّة على قوم النبيّ لوط عليه السلام بالتبليغ والإنذار، أرسل الله تعالى ملائكةً رسلاً لإحلال العذاب بهم واستئصالهم، فجاءوا إلى النبيّ إبراهيم عليه السلام ضيوفاً في صورة رجال؛ ليخبروه بما أمر الله تعالى في قوم لوط عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ

(1) سورة الشعراء، الآيات 161-164.
(2) سورة الشعراء، الآيتان 165-166.
(3) سورة الشعراء، الآية 160.
(4) سورة القمر، الآية 33.
(5) سورة القمر، الآية 36.
(6) سورة الشعراء، الآية 167.
(7) سورة الأعراف، الآية 82.
(8) سورة الشعراء، الآية 168.
(9) سورة العنكبوت، الآية 30.

﴿ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾[1]، ثمّ قصدوا النبيّ لوطاً عليه السلام، ودخلوا عليه ضيوفاً: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾[2]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٦١ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾[3]، فقامت امرأته -وهي من الكافرين- بإعلام القوم[4] بنزول ضيوف على النبيّ لوط عليه السلام: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[5]، فأقبلوه إليه عليه السلام يريدون ضيوفه بفاحشتهم: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[6]، ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾[7]، وقد جادلهم النبيّ لوط عليه السلام، واستنصحهم أن يعرضوا عن فعلتهم هذه، ولكنّهم لم يستمعوا لوعظه، وأصروّا على طلبهم: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾[8]، ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ٦٨ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ٦٩ قَالُوٓاْ أَوَ لَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٠ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[9]. فلمّا همّوا بدخول بيت النبيّ لوط عليه السلام، طمس الله تعالى على أعينهم، فلم يبصروا بعد حينهم هذا: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[10]، وكشف الملائكة عن حقيقتهم للنبيّ لوط عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا

(1) سورة هود، الآيتان 70، 74.
(2) سورة هود، الآية 77.
(3) سورة الحجر، الآيتان 61-62.
(4) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج10، ص64.
(5) سورة التحريم، الآية 10.
(6) سورة هود، الآية 78.
(7) سورة الحجر، الآية 67.
(8) سورة هود، الآيات 78-80.
(9) سورة الحجر، الآيات 68 ـ 72.
(10) سورة القمر، الآية 37.

رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾[1]، ﴿قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٦٣ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[2]، ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ﴾[3]، وأخبروه بأنّ الله تعالى قضى إنزال العذاب بقومه: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[4]، وأنّ موعدهم الصبح: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾[5]، ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾[6]. وأوحى الله تعالى إلى نبيّه لوط عليه السلام بأن يخرج قسمٌ كبيرٌ وأهله، إلّا امرأته، وأنْ يكون خروجهم آخر الليل، بعد أن يمضي قسماً كبيراً منه، وأن يكون النبيّ لوط عليه السلام خلف من يخرج معه، وأن لا يلتفت أحد إلى الخلف ببصره إلى المدينة، وأن يمضوا ويسيروا إلى حيث يشاء الله تعالى لهم من المواضع: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾[7]، ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ﴾[8]، ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[9]، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[10]. وبعد خروجهم، وحلول الصباح ببزوغ الشمس، نزل العذاب بقومه، فأصابتهم الصيحة، وأُمطروا بحجارة من نار، وأصابهم الخسف، وقُلِبَت عليهم الأرض: ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ٣٨ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[11]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ

(1) سورة هود، الآية 81.
(2) سورة الحجر، الآيتان 63-64.
(3) سورة العنكبوت، الآية 33.
(4) سورة العنكبوت، الآيتان 33-34.
(5) سورة الحجر، الآية 66.
(6) سورة هود، الآية 81.
(7) سورة هود، الآية 81.
(8) سورة الحجر، الآية 65.
(9) سورة الأعراف، الآية 83.
(10) سورة الحجر، الآيتان 59-60.
(11) سورة القمر، الآيتان 38-39.

مَّنضُودٖ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾[1]، ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[2]، ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ۝٧٣ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾[3]، ﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝١٧٢ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾[4]، ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾[5]، فاستجاب الله تعالى دعاء نبيّه لوط عليه السلام على قومه، ونجّاه وأهله منهم ومن خبائثهم: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ۝١٦٩ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝١٧٠ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[6]، ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ۝٧٤ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[7]، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ۝٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾[8].

دروس وعبـر من قصّة النبيّ لوط عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ لوط عليه السلام في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-على الإنسان أن يستجيب لنداء فطرته؛ بالإقبال على الطيّبات، والإعراض عن الخبائث، والتنفّر منها: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾، ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾، ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ

(1) سورة هود، الآيتان 82-83.
(2) سورة الأعراف، الآية 84.
(3) سورة الحجر، الآيتان 73-74.
(4) سورة الشعراء، الآيتان 172-173.
(5) سورة القمر، الآية 34.
(6) سورة الشعراء، الآيات 169-171.
(7) سورة الأنبياء، الآيتان 74-75.
(8) سورة القمر، الآيتان 34-35.

وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

-استغراق المجتمع في الخبائث يجعله ينفر من القيم الفطريّة، ويتنكّر لها: ﴿قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، ﴿قَالُوٓاْ أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

-الانصياع للشهوة المحرّمة يصيّر الإنسان عبداً لها، همّه البحث عن سُبُل إشباعها: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾، ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

-الانصياع للشهوة المحرّمة يطمس على القلب، ويمنع العقل من التأثير، فلا يرجى معه استجابة لدعوة حقّ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾، ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

-معارضة السنن الإلهيّة الحاكمة في الخلق تستتبع الهلاك والاستئصال: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾، ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

-الارتباط السببيّ بالأنبياء عليهم السلام لا يغني المرتبط عن عذاب الله تعالى إذا كان من الكافرين: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

-الله تعالى يستجيب دعوة عباده المخلصين، وينصرهم وينجّيهم: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

-العاقل من يقف عند مواضع العبرة والموعظة من قصص الأمم الغابرة: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا

مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

قصّة النبيّ إسماعيل عليه السلام

هو الابن الأكبر للنبيّ إبراهيم عليه السلام. ورد ذِكْر قصّته في القرآن الكريم، مقترناً بذِكر قصّة أبيه النبيّ إبراهيم عليه السلام، من ولادته وحمله مع أمّه إلى مكّة، التي كانت حينها منطقة لا زرع فيها ولا ماء، وتحمّله مصاعب الحياة منذ طفولته، وبرّه بوالديه، وصبره وتسليمه لامتحان الذبح، ومشاركته في رفع بناء البيت الحرام، وتهيئته لاستضافة الحجاج، ودعائه مع أبيه عليه السلام، وطلبهما من الله تعالى أنْ يتقبّل أعمالهما، وأنْ يريهما حقائقها، وأنْ يجعلهما مسلمين له تسليماً مطلقاً، وأنْ يكون ذلك سارياً في ذرّيّتهما.

وقد اجتنباه الله تعالى فيمن اجتباهم من عباده، وجعله على صراط مستقيم: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، وامتدحه على صبره: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، وعدّه في زمرة الأخيار: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[3]، وجعله في الآخرة من الصالحين: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4].

وقد صرّح القرآن الكريم بكونه نبيّاً رسولاً: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾[5]، ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ

(1) سورة الأنعام، الآيتان 86-87.
(2) سورة الأنبياء، الآية 85.
(3) سورة ص، الآية 48.
(4) سورة الأنبياء، الآية 86.
(5) سورة آل عمران، الآية 84.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]، ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾[2]، وكونه على شريعة أبيه النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ... أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[3].

دروس وعبر من قصّة النبيّ إسماعيل عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-الصبر على الابتلاء، والتسليم لأمر الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

-إعانة الناس على عبادة الله تعالى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

-برّ الوالدين، وإعانتهما على امتثال أوامر الله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾، ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

-شكر الله تعالى على توفيق الإنسان لامتثال أوامره: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

-التعاون على القيام بالمسؤوليّة الرساليّة، وتهيئة بيئة تحمّلها وتقبّلها: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

---

(1) سورة النساء، الآيتان 163، 165.
(2) سورة الأنعام، الآيات 86-87، 89.
(3) سورة البقرة، الآيتان 128، 133.

-الله تعالى وحده هو الذي يتكفّل برزق عباده وأمنهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

قصّة النبيّ إسحاق عليه السلام

هو إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. ورد ذِكْر قصّته في القرآن الكريم مقترناً بذكْر قصّة أبيه عليه السلام، من ولادته عليه السلام بعد أخيه إسماعيل عليه السلام، على كبر سنّ أبيه عليه السلام، وتبشير الملائكة أباه عليه السلام وأمّه سارة بولادته، وتعجّبهما من ذلك.

وقد اجتباه الله تعالى فيمن اجتباهم من عباده، وأتمّ نعمته عليهم، وجعلهم على صراط مستقيم: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ ٨٤ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[2]، ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[3]، ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾[4]، وخصّه فيمن خصّهم من ذرّيّة النبيّ إبراهيم عليه السلام بمقام الإمامة: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[5]، وجعله في الآخرة من الصالحين:

(1) سورة الأنعام، الآيات 84-87.
(2) سورة يوسف، الآية 6.
(3) سورة ص، الآيات 45-47.
(4) سورة الصافات، الآية 113.
(5) سورة الأنبياء، الآيتان 72-73.

﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

وقد صرّح القرآن الكريم بكونه نبيّاً رسولاً: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾[2]، ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ١٦٣ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[3]، ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾[4]، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ ٨٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾[5]، وكونه على شريعة أبيه النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[6]، وكون النبوّة والرسالة بعد أبيه إبراهيم عليه السلام في ذرّيّته إلى وقت مجيء الرسول الخاتم من ذرّيّة أخيه إسماعيل عليه السلام: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ... وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[7]، ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[8].

(1) سورة الصافات، الآية 112.
(2) سورة آل عمران، الآية 84.
(3) سورة النساء، الآيتان 163، 165.
(4) سورة مريم، الآيتان 49-50.
(5) سورة الأنعام، الآيات 84-89.
(6) سورة البقرة، الآية 133.
(7) سورة الأنعام، الآيات 84-90.
(8) سورة البقرة، الآيتان 128-129.

دروس وعبر من قصّة النبيّ إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد التأمّل في ما ورد من ذِكْر قصّة النبيّ إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم، يمكن استلهام مجموعة من الدروس والعبر والسنن، منها:

-على الإنسان أن لا يقنط من رحمة الله تعالى في كلّ أمر: ﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾، ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾.

-على الإنسان أن يشكر الله تعالى دوماً على نعمه ومواهبه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

-تأخّر نزول النعم والمواهب الإلهيّة لحكمة ومصلحة واقعيّة: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾، ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

-الارتباط السببيّ بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يستلزم صلاح الذرّيّة بالضرورة: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. تحمّل النبيّ لوط عليه السلام مسؤوليّته التبليغيّة؛ بنشر الدين الحنيف في أرض سدوم وجوارها، وكان على شريعة النبيّ إبراهيم عليه السلام، وقد بالغ في نصح قومه ودعوتهم لعبادة الله تعالى وطاعته وتقواه. وقد كان أهل سدوم وجوارها كافرين بالله تعالى، مقيمين على ركوب الفاحشة في ما بينهم، بإتيان الرجال واعتزال النساء، قاطعين سبيل مَنْ يرد إليهم بفاحشتهم. ولمّا تمّت الحجّة على قوم النبيّ لوط عليه السلام بالتبليغ والإنذار، أرسل الله تعالى ملائكة رسلاً؛ لإحلال العذاب بهم واستئصالهم، فأصابتهم الصيحة، وأُمطِروا بحجارة من نار، وأصابهم الخسف، وقُلِبَت عليهم الأرض.
2. النبيّ إسماعيل عليه السلام هو الابن الأكبر للنبيّ إبراهيم عليه السلام من زوجته هاجر، حمله إبراهيم عليه السلام مع أمّه إلى مكّة، التي كانت حينها منطقة لا زرع فيها ولا ماء، فتحمّل مصاعب الحياة منذ طفولته. وكان بارّاً بوالديه، وصابراً ومسلّماً لامتحان الذبح، ومشاركاً لأبيه عليه السلام في رفع بناء البيت الحرام وتهيئته لاستضافة الحجّاج.
3. ولد إسحاق للنبيّ إبراهيم عليه السلام بعد أخيه إسماعيل، على كبر سنّ أبيه وأمّه سارة، وقد حكى القرآن الكريم تبشير الملائكة أباه عليه السلام وأمّه سارة بولادته، وتعجّبهما من ذلك.

فكّر وأجب

1. تكلّم عن السيرة التبليغيّة للنبيّ لوط عليه السلام، وعن الدروس والعِبَر المستفادة منها.
2. بيّن مجريات قصّة الابتلاء بذبح النبيّ إسماعيل عليه السلام.
3. تحدّث عن تفاصيل قصّة التبشير بولادة النبيّ إسحاق عليه السلام.

مطالعة

عن ابن بابويه، عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن داوود بن كثير الرقي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّهما كان أكبر، إسماعيل أم إسحاق؟ وأيّهما كان الذبيح؟ قال: «**كان إسماعيل أكبر بخمس سنين، وكان الذبيح إسماعيل عليه السلام، وكانت مكّة منزل إسماعيل عليه السلام، ولمّا أراد إبراهيم أنْ يذبح إسماعيل أيّام الموسم بمنى، قال الله تعالى:** ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، **ثمّ قال:** ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾. **فمن زعم أنّ إسحاق أكبر من إسماعيل، وأنّه كان الذبيح، فقد كذّب بما أنزل الله تعالى في القرآن من نبأهما صلوات الله عليهما**».

وعن ابن بابويه، عن أبيه، حدّثنا عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**كان لإبراهيم ابنان، فكان أفضلهما ابن الأَمَة**»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص112.

الدرس السادس

النبيّ شعيب عليه السلام
النبيّ يعقوب عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصص النبيَّين شعيب عليه السلام ويعقوب عليه السلام الواردتين في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيَّين شعيب عليه السلام ويعقوب عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصص النبيَّين شعيب عليه السلام ويعقوب عليه السلام.

قصّة النبيّ شعيب عليه السلام

هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم عليه السلام. وقيل: هو شعيب، بن ميكيل (وهو ابن بنت النبيّ لوط عليه السلام)، بن يشحب، بن مدين، بن إبراهيم[1] عليه السلام، وهو من الأنبياء العرب[2]. وقد ورد ذكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[3]، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧ ۞قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ

---

(1) انظر: الشيخ الطبرسيّ، تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، ص302-303.

(2) انظر: الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص524؛ الشيخ المفيد، الاختصاص، مصدر سابق، ص264.

(3) انظر: سورة الأعراف، الآيات 85-93؛ سورة هود، الآيات 84-95؛ سورة الشعراء، الآيات 176-189؛ سورة العنكبوت، الآيتان 36-37. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ شعيب عليه السلام.

يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٢ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾[1].

وبالتأمّل في هذه الآيات التي ورد فيها ذِكْر النبيّ شعيب عليه السلام، يمكن استخلاص قصّته وفق التالي:

سيرة النبيّ شعيب عليه السلام التبليغيّة

أرسل الله تعالى نبيّه شعيباً عليه السلام إلى قومه مدين: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾[2]؛ وقيل: هم أصحاب الأيكة أنفسهم: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧٦ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[3]، والأيكة من الأيك؛ وهو الشجر الكثيف الملتفّ بعضه على بعض[4]. وقيل: إنّ الله تعالى أرسله إليهم بعد هلاك أهل مدين، وكانت مدين في أطراف الشام ممّا يلي الحجاز، على مقربة من بحيرة قوم لوط[5] عليه السلام، ويشهد بذلك تذكير النبيّ شعيب قومَه بما حلّ بقوم لوط عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾[6]. وكان من أمر مدين أنّ الله تعالى أنعم عليهم، فكثّرهم وزادهم عُدّة، وبارك في خيرات أرضهم: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾[7]، ولكنّهم استغرقوا في هذه النعم، ونسوا ذِكْر الله تعالى، وجحدوا أنعمه، وعاثوا في الأرض فساداً: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[8].

(1) سورة الأعراف، الآيات 85-93.
(2) سورة الأعراف، الآية 85.
(3) سورة الشعراء، الآيتان 176-177.
(4) انظر: الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، مادّة «أيك»، ص98.
(5) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج1، ص274-275.
(6) سورة هود، الآية 89.
(7) سورة الأعراف، الآية 86.
(8) سورة هود، الآيتان 84-85.

وقد تحمّل النبيّ شعيب عليه السلام مسؤوليّة دعوة قومه إلى الله تعالى، وكان على شريعة النبيّ إبراهيم عليه السلام، فاجتهد في نصحهم: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[2]، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[3]، ودعاهم إلى عبادة الله تعالى خالقهم وحدَه، وطاعته، وملازمة تقواه، والحذر من يوم الآخرة: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[4]، ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[5]، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[6]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[7]، وحثّهم على الرجوع إلى الله تعالى بالاستغفار: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[8]، وحذّرهم من خطورة التعدّي على الحقوق الماليّة للناس؛ لما له من أثر في اختلال التوازن الاجتماعي، وبالتالي اختلال الأمن الاجتماعيّ، ونشوب الاختلاف والتنازع في ما بينهم، والإفساد في الأرض، وإحاطة العذاب بهم في الآخرة: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[9]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٨٤ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[10]، ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۝١٨١ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۝١٨٢ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟

(1) سورة الأعراف، الآية 85.
(2) سورة هود، الآية 86.
(3) سورة هود، الآية 88.
(4) سورة الأعراف، الآية 85.
(5) سورة العنكبوت، الآية 36.
(6) سورة الشعراء، الآية 179.
(7) سورة الشعراء، الآية 184.
(8) سورة هود، الآية 90.
(9) سورة الأعراف، الآية 85.
(10) سورة هود، الآيتان 84-85.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[1]، وذكّرهم بمصير مَنْ كان قبلهم من الأمم التي بطرت أنعم الله تعالى، وجحدت بها، وعاثت في الأرض فساداً، فأحاط بها العذاب الأليم: ﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[2]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾[3]؛ فآمن له بعضهم وكفر بعضهم الآخر وكذّبوه: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ...﴾[4]، ولا سيّما كبار قومه الذين سخروا منه: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[5]، ووجّهوا إليه التهم الباطلة، وواجهوه بالدعاوى الواهية، بمكر وخداع؛ ليصدّوا الناس عن دعوته: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[6]؛ فاتّهموه بالكذب: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[7]، وبالإصابة بالجنون بفعل السحر: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾[8]، وبطلب الجاه والمال: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾[9]، وبعدم الفضل عليهم: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾[10]. وقد عمل النبيّ شعيب عليه السلام على مواجهة تهمهم ودعاويهم بحكمة وبصيرة، مفنّداً إيّاها بالبرهان والدليل. فكيف يكون كاذباً، وهو رسول أمين مُرسَل إليهم من ربّهم! ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾[11]، وكيف يكون مجنوناً، وهو قد أتاهم بما لا يتكلّم به إلّا ذو عقل رشيد، وهم أنفسهم يشهدون له بذلك! ﴿إِنَّكَ

(1) سورة الشعراء، الآيات 181-183.
(2) سورة الأعراف، الآية 86.
(3) سورة هود، الآية 89.
(4) سورة الأعراف، الآية 87.
(5) سورة هود، الآية 87.
(6) سورة الشعراء، الآية 187.
(7) سورة الشعراء، الآية 186.
(8) سورة الشعراء، الآية 185.
(9) سورة الشعراء، الآية 180.
(10) سورة الشعراء، الآية 186.
(11) سورة الشعراء، الآية 178.

﴿لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[1]، وكيف يكون طالباً للجاه والمال، وهو لم يسألهم أجراً على دعوته، والحال أنّ رزقه على الله تعالى وحده! ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، وكيف يتعجّبون من كونه بشراً رسولاً، وقد خلت الرسل من قبله، وجاءهم ببيّنة من ربّهم، وهي معجزة النبوّة! ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾[3]، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾[4]. ولكنّهم مع ذلك ظلّوا مصرّين على معاندتهم ومكابرتهم: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾[5]، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾[6]، وأخذوا بمضايقته ومن معه من المؤمنين: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ﴾[7]، ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾[8]، غير راجعين عن ذلك، إلّا أنْ يعود إلى دين آبائهم، أو أنْ يخرج ومن آمن معه منهم: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾[9]. ولكنّ النبيّ شعيباً عليه السلام وقف أمام هذه الضغوط والتهديدات موقفاً قويّاً، محذّراً إيّاهم من حلول العذاب بهم: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ

---

(1) سورة هود، الآية 87.
(2) سورة الشعراء، الآية 109.
(3) سورة الأعراف، الآية 85.
(4) سورة هود، الآية 88.
(5) سورة هود، الآية 91.
(6) سورة الأعراف، الآية 90.
(7) سورة الأعراف، الآية 86.
(8) سورة هود، الآية 91.
(9) سورة الأعراف، الآية 88.

عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[1]، ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[2]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[3]، وبذلك أتمّ الحجّة عليهم بالتبليغ والنُذُر: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾[4].

نزول العذاب بقوم النبيّ شعيب عليه السلام

بعد أن تمّت الحجّة على قوم النبيّ شعيب عليه السلام بالتبليغ والنُذُر، أتاهم العذاب الذي كانوا يوَعدون، حيث جمع الله تعالى لهم ألوان العذاب؛ فزلزل أرضهم، وأرسل عليهم صيحة أرجفتهم، وريحاً فيها نار ظلّلت ديارهم، وأحاطت بهم، فخرّوا على وجوههم صرعى، فأصبحوا جثثاً هامدة: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[5]، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[6]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[7]، ونُجّيَ النبيّ شعيب عليه السلام ومَن آمن معه برحمة من الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾[8].

(1) سورة الأعراف، الآيتان 88-89.
(2) سورة الأعراف، الآية 87.
(3) سورة هود، الآيتان 92-93.
(4) سورة الأعراف، الآية 93.
(5) سورة هود، الآيتان 94-95.
(6) سورة الأعراف، الآيتان 91 ـ 92.
(7) سورة الشعراء، الآية 189.
(8) سورة هود، الآية 94.

دروس وعبر من قصّة النبيّ شعيب عليه السلام

بعد التأمّل في قصّة النبيّ شعيب عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-من السنن الإلهيّة في الإرسال، إرسال الرُسُل عليهم السلام من أقوامهم: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ﴾، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾.

-الإتيان بالبيّنات والمعاجز على يد الرُسُل الإلهيّين عليهم السلام من السنن الإلهيّة الجارية في الإرسال: ﴿جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾.

-من السنن الإلهيّة في سيرة الأنبياء والرُسُل الإلهيّين عليهم السلام تكذيبُهم من قِبَل أقوامهم، ولا سيّما أكابرهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾.

-من السنن الإلهيّة في سيرة الأنبياء والرُسُل الإلهيّين عليهم السلام توجيهُ التهم الباطلة إليهم، والسخريّة منهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

-من السنن الإلهيّة في سيرة الأنبياء والرُسُل الإلهيّين عليهم السلام مواجهةُ أقوامهم لهم بقسوة وشدّة بالغة، تنتهي بهم إلى حدّ نفيهم أو قتلهم: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ﴾، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

-الإفساد في الأرض خلاف مقتضى السُّنّة الإلهيّة؛ وهي الإصلاح: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

-الارتباط الوثيق والتأثير المتبادل بين الأمن الاقتصاديّ والاجتماعيّ والنفسيّ والروحيّ: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾.

-تذكّر المواهب الإلهيّة يقتضي الرجوع إلى الله تعالى، ولزوم طاعته: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾.

-الاستغفار سبيل الرجوع إلى الله تعالى والشمول برحمته: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾.

-معاندة الحقّ وجحوده تسلب الإنسان فرصة الهداية، والرجوع إلى جادّة الصواب: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾.

-التقليد الأعمى يطمس على القلب، ويمنع العقل من التأثير؛ فيصيّره جاهلاً سفيهاً: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾.

-على الداعي أن يصدر في دعوته عن إيمان راسخ وقوّة موقف: ﴿ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾.

-على الداعي أنْ ينطلق في دعوته من إخلاص لله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

-الله تعالى يدافع عن عباده المخلصين، وينصرهم وينجّيهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا

شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩٤ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾.

-على الإنسان أخذ العبرة والموعظة من أحوال الأمم الغابرة: ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾.

قصّة النبيّ يعقوب عليه السلام

هو يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم عليهم السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]. ومن أسمائه -أيضاً- إسرائيل، وإليه يُنسَب جميع أنبياء بني إسرائيل: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[2]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة، منها ما يرتبط بقصّة ابنه يوسف عليه السلام، وسوف نؤجّل البحث فيها إلى موضعه هناك، عندما نتناول قصّة النبيّ يوسف عليه السلام، وأمّا المواضع الأخرى[3]، فمنها: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِي ۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٣... قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ

(1) سورة يوسف، الآية 6.
(2) سورة آل عمران، الآية 93.
(3) سورة البقرة، الآيات 132-133، 136؛ سورة آل عمران، الآيتان 84، 93؛ سورة النساء، الآيتان 163، 165؛ سورة الأنعام، الآيات 84، 87، 89؛ سورة هود، الآية 71؛ سورة مريم، الآية 58؛ سورة الأنبياء، الآيتان 72-73؛ سورة العنكبوت، الآية 27؛ سورة ص، الآيات 45-47.

﴿وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾(1).

كان النبيّ يعقوب عليه السلام نبيّاً مرسلاً: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾(2)، على شريعة جدّه النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾(3)، وقد اجتباه الله تعالى، واصطفاه وأخلصه لنفسه، وهداه إلى صراط مستقيم: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ... وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(4)، ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾(5)، واختصّه فيمن اختصّهم من ذرّيّة النبيّ إبراهيم عليه السلام بالإمامة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾(6)، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾(7)، وأفاض عليه علماً لَدُنيّاً: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(8)، وحكى القرآن الكريم عنه عليه السلام حرصه على الدعوة إلى الدين الحنيف والالتزام به: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ

(1) سورة البقرة، الآيات 132-133، 136.
(2) سورة النساء، الآيتان 163، 165.
(3) سورة البقرة، الآية 133.
(4) سورة الأنعام، الآيتان 84، 87.
(5) سورة ص، الآيتان 46-47.
(6) سورة الأنعام، الآية 89.
(7) سورة الأنبياء، الآيتان 72-73.
(8) سورة يوسف، الآية 68.

ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1]، وزهده بامتناعه عن بعض الأطعمة غير المحرّمة في شريعته: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[2]، وأثنى على بصيرته، وبذله بالغ الجهد في نشر الدين الحنيف والالتزام بتعاليمه: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[3]، وجعل الله تعالى النبوّة والرسالة والإمامة في ذرّيّته: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[4]، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٣ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[5]. وسوف يأتي بعض تفاصيل سيرته المباركة عند تناول قصّة ابنه النبيّ يوسف عليه السلام.

دروس وعبر من قصّة النبيّ يعقوب عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم، يمكن استخلاص جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-الإنسان الموحِّد يحمل مسؤوليّة نشر دين التوحيد واستمراره: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

---

(1) سورة البقرة، الآيتان 132-133.
(2) سورة آل عمران، الآية 93.
(3) سورة ص، الآية 45.
(4) سورة الأنعام، الآيات 84، 87، 89.
(5) سورة السجدة، الآيتان 23-24.

-على المؤمنين التواصي بالحقّ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ﴾.

-وحدة الدين في دعوات الأنبياء والرُسل عليهم السلام: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

-الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام وتعاليمهم: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

-الزهد يعين الإنسان على نفسه ودينه ودنياه: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾.

-الهداية والاجتباء والاصطفاء بيد الله تعالى وحده، ولا يجعلها إلّا فيمن استعدّ لها في نفسه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. أرسل الله تعالى نبيّه شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قومه مدين. وكانت مدين في أطراف الشام ممّا يلي الحجاز، على مقربة من بحيرة قوم النبيّ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد تحمّل النبيّ شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ مسؤوليّة دعوة قومه إلى الله تعالى، وكان على شريعة النبيّ إبراهيم، فاجتهد في نصحهم. وبعد أن تمّت الحجّة عليهم بالتبليغ والنُذُر، أتاهم العذاب الذي كانوا يوعدون، حيث جمع الله تعالى لهم ألوان العذاب؛ فزلزل أرضهم، وأرسل عليهم صيحة أرجفتهم، وريحاً فيها نار ظلّلت ديارهم وأحاطت بهم، فخروّا على وجوههم صرعى، فأصبحوا جثّة هامدة.
2. هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن أسمائه -أيضاً- إسرائيل، وإليه يُنسَب جميع أنبياء بني إسرائيل. بعثه الله تعالى بالرسالة إلى قومه؛ أهل كنعان، وكان على شريعة جدّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فكّر وأجب

1. تكلّم عن السيرة التبليغيّة للنبيّ شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعن الدروس والعِبَر المستفادة منها.
2. ما معصية قوم النبيّ شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وما العذاب الذي حلّ بهم؟
3. بيّن ثناء الله تعالى على نبيّه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبيّن ما اختصّه به.

مطالعة

أخبرنا السيد ذو الفقار بن معبد الحسينيّ، عن الشيخ أبي جعفر الطوسيّ، عن الشيخ الشيخ المفيد، عن أبي جعفر بن بابويه، حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن الحسن بن محبوب، عن هشام، عن سعد الإسكافيّ، عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليه، قال: «**إنّ أوّل مَنْ عمل المكيال والميزان شعيب النبيّ** عليه السلام**، عمله بيده، فكانوا يكيلون ويوفون، ثمّ إنّهم بعد أن طفّفوا في المكيال، وبخسوا في الميزان،** ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾، **فعُذِّبوا بها،** ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾».

وعن ابن بابويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن عليّ، عن حنان بن سدير، عن أبيه، قال: قلت لأبي جعفر صلوات الله عليه: أخبرني عن يعقوب عليه السلام حين قال لوِلْده: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، أكان عالماً بأنّه حيّ؟ قال: نعم. قلت: فكيف ذلك؟ قال: أنْ هبط عليه ملك الموت.

وعن ابن بابويه، حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل، حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن علا، عن محمّد بن مسلم، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن يعقوب عليه السلام، كم عاش مع يوسف بمصر بعدما جمع الله ليعقوب شمله، وأراه تأويل رؤيا يوسف الصادقة؟ قال: عاش حولين. قلت: فمنْ كان الحجّة في الأرض، يعقوب أم يوسف؟ قال: كان يعقوب الحجّة، وكان الملك ليوسف، فلمّا مات يعقوب عليه السلام، حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشام، فدفنه في بيت المقدس، وكان يوسف بعد يعقوب الحجّة، قلت: فكان يوسف رسولاً نبيّاً؟ قال: نعم، أما تسمع قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص137-138، ص145.

الدرس السابع

النبيّ يوسف عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصّة النبيّ يوسف عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيّ يوسف عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصّة النبيّ يوسف عليه السلام.

قصّة النبيّ يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب عليه السلام، وهو من أنبياء بني إسرائيل. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[1]، منها: قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦ ۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾[2].

وبالتأمّل في هذه المواضع التي ورد فيها ذِكْر النبيّ يوسف عليه السلام، يمكن تقديم قصّته وفق المحطّات التالية:

ولادة النبيّ يوسف عليه السلام ونشأته

ولد النبيّ يوسف عليه السلام في أرض كنعان، وهو الابن الحادي عشر من الأبناء الاثني عشر للنبيّ يعقوب عليه السلام. اجتباه الله تعالى منذ صغره، واختصّه بعنايته، فبشّره في صغره برؤيا، رأى فيها أنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدة له، فقصّها على أبيه: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ

(1) انظر: سورة الأنعام، الآيات 84، 87، 89؛ سورة يوسف، الآيات 4-102؛ سورة غافر، الآية 34. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ يعقوب عليه السلام والنبيّ يوسف عليه السلام.

(2) سورة يوسف، الآيات 4-7.

لِي سَٰجِدِينَ﴾[1]، فأوصاه بكتم هذه الرؤيا عن إخوته؛ لكي لا يحسدوه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾، وقد أوّلها له بأنّ الله تعالى سيجتبيه، ويعلّمه من تأويل الأحاديث، ويتمّ نعمته عليه، كما أتمّها على آبائه عليهم السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[2]. وتعهّده النبيّ يعقوب عليه السلام بالمحبّة والرعاية الشديدة لما وجد فيه من الجمال البديع والصفاء الروحيّ، وخوفاً عليه من حسد إخوته.

مؤامرة قتل النبيّ يوسف عليه السلام

لمّا شاهد إخوة يوسف عليه السلام الكبار شدّة حبّ أبيهم ليوسف، وحظوته عنده، عَظُم ذلك في قلوبهم، واشتعلت نيران الحسد فيها: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[3]؛ ما دفعهم إلى التآمر على قتله أو نفيه، مع علمهم بفساد هذا الفعل وشناعته، ولكنّ همّهم وشغلهم الشاغل إزاحة كلّ من يزاحمهم في وراثة أبيهم، ونيل اهتمامه وحظوته، على أن يكونوا بعد تنفيذ هذا الفعل الإجراميّ صالحين! ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾[4]، وبعد التشاور في ما بينهم بشأن أخيهم يوسف عليه السلام، اقترح أحدهم عدم قتله، والاكتفاء بإبعاده عن أبيهم؛ من خلال إلقائه في بئر على طريق القوافل التي تمرّ بأرض كنعان، وتقصد أمصاراً بعيدة عنها، لعلّ إحداها تأخذه معها: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾[5]. ولمّا عزموا على تنفيذ عملهم الإجراميّ، قصدوا أباهم عليه السلام وطلبوا منه أن

(1) سورة يوسف، الآية 4.
(2) سورة يوسف، الآية 6.
(3) سورة يوسف، الآية 8.
(4) سورة يوسف، الآية 9.
(5) سورة يوسف، الآية 10.

يرسل أخاهم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ معهم غداً إلى الرعي للتنزّه واللعب، على أن يحفظوه من كلّ سوء: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدٗا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[1]، ولكنّ أباهم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يستجب لطلبهم، معتذراً بخوفه على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من الذئب أن يأكله: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ﴾[2]، فألحّوا عليه كثيراً في طلبهم، وتعهّدوا بحفظه وصيانته: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَـٰسِرُونَ﴾[3]، فأجازهم في ذلك، فأخذوه وذهبوا به إلى مراتع أغنامهم، وعنّفوه وضربوه بقسوة، ثمّ نزعوا منه قميصه، وألقوه في الجبّ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ﴾[4]. وقد أوحى الله تعالى إلى نبيّه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو في الجبّ، وأخبره بما سيجري عليه، وما سيؤول إليه أمره في مستقبل الأيّام، إذْ أرادوا إنساء ذكره ومحوه، والله تعالى يريد إعلاءه وإعزازه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[5]. ثمّ رجعوا إلى أبيهم؛ ليستكملوا فصول المؤامرة، فجاءوه في حالة بكاء وعويل، ومعهم قميص أخيهم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد لطّخوه بدم مزيّف، وأخبروه بأنّهم تركوا أخاهم عند متاعهم؛ فأكله الذئب، وهم لم يشعروا بذلك إلّا بعد فوات الأوان: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءٗ يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٖ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾[6]، فبكى النبيّ يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلى ما وصلت إليه أنفس أبنائه، من سوء وفساد وتفريط في جنب الله تعالى، ودعا الله تعالى أن يصبّره ويعينه على هذا البلاء: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ

(1) سورة يوسف، الآيتان 11-12.
(2) سورة يوسف، الآية 13.
(3) سورة يوسف، الآية 14.
(4) سورة يوسف، الآية 15.
(5) سورة يوسف، الآية 15.
(6) سورة يوسف، الآيات 16-18.

أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1]. ثمّ مضى إخوة يوسف ليراقبوا الجبّ، حتّى جاءت قافلة من القوافل، فأرسلوا نفراً منهم للاستقاء لهم من البئر، فلمّا أدلى دلوه، تعلّق يوسف عليه السلام بالدلو، فخرج من البئر، واستبشر أصحاب القافلة به: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌۚ﴾[2]، فدنا منهم أبناء يعقوب عليه السلام، مدّعين أنّه عبد لهم، ثمّ ساوموهم على أخيهم يوسف عليه السلام؛ حتّى باعوه لهم بثمن بخس: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٩ وَشَرَوْهُ بِثَمَنِۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾[3].

رحلة النبيّ يوسف من أرض كنعان إلى أرض مصر

سارت القافلة بالنبيّ يوسف عليه السلام في سفر طويل إلى أرض الفراعنة في مصر، وبعد أنْ حطّوا الرحال، عرضوه للبيع في سوق العبيد، فاشتراه عزيز مصر بعد أن أُعجِبَ هو وامرأته زليخا به؛ لجماله وأدبه وصفاء روحه وذكائه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾[4].

حياة النبيّ يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر

استقرّ يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر معزّزاً مكرّماً: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5]، إلى أنْ كبر وبلغ أشدّه، فآتاه الله تعالى حكماً وعلماً: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6]. وقد سوّل الشيطان لامرأة العزيز الفاحشة والخيانة لزوجها، فعشقت يوسف عليه السلام، وشغف قلبها حبّه، حتّى بلغت مبلغاً راودته عن نفسه، وغلّقت الأبواب، ودعته إلى الفاحشة: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا

(1) سورة يوسف، الآية 18.
(2) سورة يوسف، الآية 19.
(3) سورة يوسف، الآيتان 19-20.
(4) سورة يوسف، الآية 21.
(5) سورة يوسف، الآية 21.
(6) سورة يوسف، الآية 22.

﴿عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾(1)، فامتنع يوسف عليه السلام عنها، واعتصم بعصمة إلهيّة، مستعيذاً بالله من اقتراف فعل كهذا: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(2)، فلمّا أرادت أن تهمّ به، همّ بدفعها عنه، فأوحى الله تعالى إليه أنْ يولّي مسرعاً، قاصداً الخروج من حجرتها الخاصّة نحو الباب: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾(3)، ولكنّها اجتذبته وقدّت قميصه من خلف، وألفيا زوجها واقفاً عند الباب: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾(4)، فسارعت إلى اتّهام يوسف عليه السلام بالسوء أمام زوجها: ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾(5)، فيما أنكر يوسف عليه السلام ذلك، وأدركته العناية الإلهيّة، بإنطاق صبيّ في المهد كان حاضراً، فنطق ببراءته، فبرّأه الله تعالى أمام المَلك: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾(6). ثمّ شاع أمر زوجة العزيز في القصر، وعابتها النساء على ذلك، فما كان منها إلّا أنْ أحضرتهنّ وأخرجت يوسف عليه السلام عليهنّ، فوقعنْ بحبّه، وأردن مراودته: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ

(1) سورة يوسف، الآية 23.
(2) سورة يوسف، الآية 23.
(3) سورة يوسف، الآية 24.
(4) سورة يوسف، الآية 25.
(5) سورة يوسف، الآية 25.
(6) سورة يوسف، الآيات 26-29.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[1]. وقد بلغت المسألة مبلغاً من السوء بأنْ هدّدنه بالسجن أو إطاعتهنّ إلى ما يَصبين إليه: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[2]، فتوسّل يوسف عليه السلام إلى الله تعالى أن ينجّيه من هذا السوء، فاستجاب الله تعالى له، وخرج من قصر العزيز إلى السجن: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٣ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

حياة النبيّ يوسف عليه السلام في السجن

دخل النبيّ يوسف عليه السلام السجن: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[4]، فشرع منذ دخوله في عمليّة الإصلاح والدعوة إلى التوحيد. وحكى القرآن الكريم دخول فتيان للملك معه في السجن، فذكر أحدهما له أنّه رأى في منامه أنه يعصر خمراً، ورأى الآخر أنّه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، وطلبا منه تأويل منامَيهما: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5]، فقال لهما لا يأتيكما طعام إلّا أنبأتكما به، وبوقت مجيئه قبل أن يأتيكما: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾[6]، ودعاهما إلى عبادة الله الواحد الأحد، وترك عبادة الأصنام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ

(1) سورة يوسف، الآيات 30-32.
(2) سورة يوسف، الآية 32.
(3) سورة يوسف، الآيتان 33-34.
(4) سورة يوسف، الآية 35.
(5) سورة يوسف، الآية 36.
(6) سورة يوسف، الآية 37.

﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1]، وأجاب الأوّلَ بأنّه سيخرج من السجن، فيصير ساقياً للملك، وأجاب الثاني بأنّه سيُصلب، فتأكل الطير من رأسه: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾[2]؛ فكان كما قال لهما: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾[3].

وقال يوسف عليه السلام للذي رأى أنّه ناجٍ منهما: اذكرني عند الملك، فأنساه الشيطان ذِكْر أمر يوسف عليه السلام ومظلوميّته للملك، فلبث يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين أخرى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾[4]. ثمّ بعد مرور السنين، رأى الملك رؤيا هالته، فذكرها لكبار قومه من المعبّرين، مستفتياً إيّاهم في تعبيرها: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾[5]، فأجابوه بأنّها أضغاث أحلام، فلا تعبير لها: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾[6]، ولم يستسغ الملك هذا الجواب، وطلب البحث عَمّنْ يملك تعبيراً لهذه الرؤيا، فعند ذلك تذكّر الساقي النبيّ يوسف عليه السلام وتعبيره لمنامه في السجن، فذكر ذلك للملك، واستأذنه أنْ يذهب للقائه ويستفتيه في شأن رؤية الملك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾[7]، فأذن له وأرسله إليه. ولمّا جاءه، طلب منه أن يفتيه في أمر الرؤيا: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ

(1) سورة يوسف، الآيات 37-40.
(2) سورة يوسف، الآية 41.
(3) سورة يوسف، الآية 41.
(4) سورة يوسف، الآية 42.
(5) سورة يوسف، الآية 43.
(6) سورة يوسف، الآية 44.
(7) سورة يوسف، الآية 45.

﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[1]، قال له يوسف عليه السلام: سوف تأتي سبع سنين خصبة خيراتها وفيرة، فما حصدتم فيها فذروه في سنبله، إلّا قليلاً ممّا تأكلون لمعاشكم، ثمّ تأتي من بعدها سبع سنين يُصاب الناس فيها بقحط شديد: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾[2]. فلمّا سمع الملك ما أفتى به يوسف عليه السلام، أُعجِبَ به، وأمر بإطلاق سراحه من السجن وإحضاره إليه: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾[3]، ولكنّ يوسف عليه السلام أبى الخروج والحضور قبل أنْ يُبرّئه الملك من التهمة التي سُجن بسببها ظلماً: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾[4]، فاستجاب الملك لطلبه، فأحضر النسوة، وحكم بينه وبينهنّ، وقد اتّفقن جميعهنّ على تبرئته من التهمة: ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾[5]، واعترفت زليخا بجرمها: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. وكان يوسف عليه السلام في ذلك يبتغي تبرئة نفسه وتنزيهها من تهمة الفحش والخيانة؛ إحقاقاً للحقّ وإبطالاً للباطل، وإزالة للموانع التي تحول دون استجابة دعوته التوحيديّة وإدارة أمور المجتمع: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[6]. وقد استعظم الملك أمره، وأمر بإطلاق سراحه وإحضاره معزّزاً مكرّماً وجيهاً عنده: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾[7].

(1) سورة يوسف، الآية 46.
(2) سورة يوسف، الآيات 47-49.
(3) سورة يوسف، الآية 50.
(4) سورة يوسف، الآية 50.
(5) سورة يوسف، الآية 51.
(6) سورة يوسف، الآيات 52-53.
(7) سورة يوسف، الآية 54.

تولّي النبيّ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مسؤوليّة الوزارة في مصر

بعد خروج النبيّ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من السجن وثبوت براءته وتقريب الملك إيّاه منه واختصاصه به، طلب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ منه أن يجعله قيّماً على خزائن أرض مصر، حتّى يهيّىء الأمور في هذه السنين السبع الخصبة لتلك السنين السبع المجدبة: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[1]، فوافق الملك على ذلك، فباشر النبيّ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بوضع الخطط الكفيلة بذلك، وأمر بإجادة الزرع وإكثاره، وجمع الطعام والقمح وحفظه في المخازن بالحزم والتدبير: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾[2]، حتّى إذا دهمتهم السنون المجدبة، قسّم فيهم الأرزاق والطعام إلى أن تنتهت هذه المخمصة: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾[3]. وفي تلك المرحلة، تولّى النبيّ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مسؤوليّة الوزارة في أرض مصر، فأصبح عزيز مصر: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[4]. وفي بعض السنين المجدبة، دخل عليه إخوته، طالبين الحصول على الطعام بعد أنْ أصابهم القحط في أرض كنعان، فعرفهم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم له منكرون: ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[5]، فاستفسرهم عن حالهم وديارهم، فأجابوه بأنّهم أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ الشيخ الكبير، وأنّ عددهم أحد عشر، آخرهم أصغرهم، وهو في أرض كنعان مع أبيهم يستأنس به، فطلب منهم أنْ يأتوه به إذا حضروا في المرّة الثانية: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ

(1) سورة يوسف، الآية 55.
(2) سورة يوسف، الآية 47.
(3) سورة يوسف، الآيتان 48-49.
(4) سورة يوسف، الآيتان 56-57.
(5) سورة يوسف، الآية 58.

أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾[1]، فأعطوه العهد بذلك: ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾[2]، وأمر فتيانه بإكرامهم وإيفاء كيلهم والزيادة لهم، وجعل بضاعتهم التي جاءوا بها في رحالهم، حتّى إذا ما رجعوا وجدوها، فيطمعون بالرجوع من جديد، ففعلوا ذلك: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3]. ولمّا رجعوا إلى أبيهم، أخبروه بما جرى عليهم وإكرام الملك لهم. ثمّ بعد أن نفدت مؤونتهم، طلبوا من أبيهم السماح لهم بالذهاب من جديد إلى أرض مصر ومعهم أخوهم بنيامن: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4]، فلم يسمح يعقوب عليه السلام بذلك: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[5]، ولكنّهم ألحّوا عليه كثيراً مقدّمين له التطمينات والضمانات بأنّ الملك لا يريد بهم وبأخيهم سوءاً، وأنّهم سوف يبذلون كلّ الجهد في حفظه وصيانته: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾[6]، حتّى سمح لهم بأخذه معهم، بعد أن أخذ منهم موثقاً بأن يأتوا به معهم عندما يرجعون، إلّا أن يُحاط بهم: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[7]، وأوصاهم بدخول أرض مصر من أبواب متفرّقة: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ

(1) سورة يوسف، الآيتان 59-60.
(2) سورة يوسف، الآية 61.
(3) سورة يوسف، الآية 62.
(4) سورة يوسف، الآية 63.
(5) سورة يوسف، الآية 64.
(6) سورة يوسف، الآية 65.
(7) سورة يوسف، الآية 66.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. ولمّا تجهزوا للسفر ثانية إلى أرض مصر ومعهم أخوهم بنيامين، دخلوا على أخيهم يوسف عليه السلام، فأكرمهم وأحسن ضيافتهم، وآوى إليه أخاه بنيامين وعرّفه بنفسه، وقال له إنّي أنا أخوك يوسف، وأخبره بما يريد أن يفعله بإخوته بحبسه عنده: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]. ولمّا جهّزهم بجهازهم، جعل السقاية في رحل أخيه بنيامين: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾[3]، وناداهم أحد فتيان الملك مستوقفاً إيّاهم، ومتّهمهم بسرقة صواع الملك: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾[4]، فأجابوه بأنّهم ليسوا سارقين، وأنّهم لا يبغون الفساد في أرض مصر: ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾[5]، فما كان من الملك إلا أنْ أنزلهم على الحكم المعمول به في أرض مصر، وأنّه من تثبت عليه جريمة السرقة، فإنّه يُستَرقّ للمَلك: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6]. فبدأ بتفتيش أمتعتهم قبل متاع أخيه، ثمّ استخرجها منه، فقبض عليه واسترقّه: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[7]، فقال إخوته: إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل؛

(1) سورة يوسف، الآيتان 67-68.
(2) سورة يوسف، الآية 69.
(3) سورة يوسف، الآية 70.
(4) سورة يوسف، الآية 70.
(5) سورة يوسف، الآيات 71-73.
(6) سورة يوسف، الآيتان 74-75.
(7) سورة يوسف، الآية 76.

ويقصدون بذلك يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[1]، ورجَوه مليّاً في أمر أخيهم بنيامين، حتى طلبوا منه أن يأخذ أحدهم مكانه: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2]، فلم يقبل منهم: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾[3]، فقرّروا الرجوع إلى أبيهم بعد أن يئسوا من استرجاع أخيهم، إلّا كبيرهم الذي بقي في أرض مصر؛ التزاماً منه بميثاق أبيه الذي أخذه عليهم: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[4]. فلمّا رجعوا إلى أبيهم، وأخبروه بما حصل، حزن حزناً شديداً، وانطفأ بصره، وقال لهم: بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً، ودعا الله تعالى أن يصبّره ويعينه، ويمنّ عليه بعودة أولاده: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[5]. ثمّ أمرهم بالذهاب إلى أرض مصر من جديد للتفتيش عن أخويهما، وأن لا ييأسوا من رحمة الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[6]، فامتثل

---

(1) سورة يوسف، الآية 77.
(2) سورة يوسف، الآية 78.
(3) سورة يوسف، الآية 79.
(4) سورة يوسف، الآيات 80-82.
(5) سورة يوسف، الآيات 83-86.
(6) سورة يوسف، الآية 87.

أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لأمر أبيهم، وساروا من جديد إلى أرض مصر، فلمّا وصلوا استأذنوا النبيّ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأذن لهم بالدخول، فاسترحموه، وتضرّعوا إليه في أمر أخيهم وأنفسهم وأهليهم: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾[1]، عندها بدأ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكشف لهم من خلال مساءلتهم عن نفسه، وتأنيبهم على ما فعلوا به وبأبيه، حتّى عرفوه: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ۝٨٩ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وقال لهم: إنَّ الله تعالى يحفظ عباده ويصونهم من السوء، ويعوّضهم لصبرهم على المكاره: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]، فعندها أقرّوا أمامه بجرمهم وخطيئتهم: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ﴾[4]، عفا عنهم، ودعا لهم بالاستغفار والقبول: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[5]، وطلب منهم أن يرجعوا إلى أرض كنعان، ويُلقوا قميصه على وجه أبيهم، فيُردّ إليه بصره، وأن يأتوا به وبأهله أجمعين إلى أرض مصر: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[6]. فلمّا رجعوا إلى أبيهم، تحسّس وصولهم قبل أن يصلوا إليه، وذكر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾[7]، فما لبث أن وصلوا إليه، وألقوا قميص يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على وجهه، فارتدّ له بصره: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ

(1) سورة يوسف، الآية 88.
(2) سورة يوسف، الآيتان 89-90.
(3) سورة يوسف، الآية 90.
(4) سورة يوسف، الآية 91.
(5) سورة يوسف، الآية 92.
(6) سورة يوسف، الآية 93.
(7) سورة يوسف، الآيتان 94-95.

﴿أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، فاعترف أبناء يعقوب له بخطيئتهم، وتضرّعوا إليه بأنْ يدعو لهم بالمغفرة، فأجابهم بعدما أحسّ منهم الندم على ما فعلوه، وصدق النيّة على التوبة والرجوع عن خطيئتهم: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]. ثمّ حملوا أباهم وأهلهم جميعاً، ورجعوا إلى أرض مصر من جديد، فلمّا حضروا، أجلس يوسف عليه السلام أباه وأمّه (أي خالته) على العرش: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[3]، ومن ثمّ أمر النبيّ يعقوب عليه السلام أبناءه الأحد عشر وزوجته بالسجود لله، تكريماً ليوسف عليه السلام، وسجد معهم: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾[4]، ثمّ قال يوسف عليه السلام لأبيه عليه السلام: إنّ ما حصل هو تأويل رؤياه في صغره، فقد جعلها الله تعالى حقّاً، ومنّ عليه، وعلى آل يعقوب بالملك والعلم، فشكر الله تعالى على نعمه: ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5]، وقرّب إليه إخوته، وأعطاهم الأمان، وأسكنهم أرضَ مصر: ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[6]، وقد بقي بنو إسرائيل فيها إلى أنْ أرسل الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام، فأخرجهم منها إلى أرض فلسطين.

(1) سورة يوسف، الآية 96.
(2) سورة يوسف، الآيتان 97-98.
(3) سورة يوسف، الآيتان 99-100.
(4) سورة يوسف، الآية 100.
(5) سورة يوسف، الآيتان 100-101.
(6) سورة يوسف، الآية 99.

سيرة النبيّ يوسف عليه السلام التبليغيّة

أثنى القرآن الكريم على النبيّ يوسف عليه السلام، كما أثنى على نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وآل إبراهيم عليه السلام، الذين آتاهم الله تعالى العلم والكتاب والحكم والنبوّة، وأتمّ نعمته عليهم، واجتباهم، وهداهم إلى صراط مستقيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[1]، ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾[2]، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[3]، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4]، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[5]، وعدّه الله تعالى من المحسنين: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6]، ومن المخلصين: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[7]، ومن الصدّيقين: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[8]، ومن المسلمين: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾[9]، وعلّمه من تأويل الأحاديث: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ﴾[10]، ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ﴾[11]، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[12]، وألحقه في الآخرة بالصالحين: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[13].

---

(1) سورة الأنعام، الآيات 84، 87، 89.
(2) سورة يوسف، الآية 101.
(3) سورة يوسف، الآية 22.
(4) سورة يوسف، الآية 21.
(5) سورة يوسف، الآية 6.
(6) سورة الأنعام، الآية 84؛ سورة يوسف، الآية 22.
(7) سورة يوسف، الآية 24.
(8) سورة يوسف، الآية 46.
(9) سورة يوسف، الآية 101.
(10) سورة يوسف، الآية 21.
(11) سورة يوسف، الآية 101.
(12) سورة يوسف، الآية 6.
(13) سورة يوسف، الآية 101.

وقد اجتهد النبيّ يوسف عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى وتوحيده، في بيئة كانت عاكفة على عبادة الأصنام، موقظاً فيهم الفطرة، ومستثيراً فيهم العقل بأسلوب حكيم وموعظة حسنة، فاستطاع أن يحوّلها إلى بيئة توحيد لله تعالى، وأقام حكم الله تعالى فيها على شريعة النبيّ إبراهيم عليه السلام، إلى أنْ اختاره الله تعالى لجواره: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. وحكى القرآن الكريم عن أتباعه من بني إسرائيل ظنّهم بعدم إرسال الله تعالى رسولاً بعد يوسف عليه السلام، وذَمَّهم على ذلك: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[2].

دروس وعبر من قصّة النبيّ يوسف عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، يمكن استخلاص جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-الرؤيا الحقّة تحكي عن أمر واقع في مستقبل الأيّام، وتأويلُها هو وقوع هذا الأمر: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾، ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾.

-تأويل الرؤيا والمنام علم إلهيّ، يؤتيه الله تعالى خواصّ عباده: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ

(1) سورة يوسف، الآيات 37-40.
(2) سورة غافر، الآية 34.

ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾، ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾.

-على الإنسان أن يكتم بعض أمره؛ حرصاً على عدم استثارة مكامن الحسد في نفوس الآخرين: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

-عندما يسيطر الحسد على النفس، تنقلب المفاهيم والقيم الفطريّة والمنطقيّة لدى الحاسد، فلا تنفعه قرابة نسبيّة ولا رقابة إلهيّة: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾، ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾.

-الله تعالى يتولّى عباده المخلصين، ويتعهّدهم برعايته، ويدفع عنهم الأذى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

-الخوض في رذيلة يستتبع الوقوع في أخرى: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾.

-الإذعان للشهوات يُورث الذلّ والمهانة: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ

ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

-الله تعالى يدفع السوء عن عباده المُخلَصين برحمته ولطفه: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

-الإنسان الإلهيّ جُلُّ همّه رضا الله تعالى، لا راحة نفسه ورضاها: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

-على الداعي أن يستفيد من جميع الظروف في الدعوة إلى الله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

-على الداعي أن ينظر بعين الحكمة والبصيرة إلى طبيعة الابتلاء ومدّته، ودورهما في تهيئة الظروف المؤاتية؛ للدعوة إلى الله تعالى: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾.

-الالتزام بتوجيهات المعصوم عليه السلام يحول دون هلاك الحرث والنسل: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾.

-ضرورة التخطيط الاستراتيجيّ في مواجهة الحوادث المستقبليّة: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾.

-على المظلوم أن يَنشد إثبات الحقيقة، لا رفع العقوبة عنه فحسب: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾.

-على الإنسان أن يقرّ بشمول لطف الله تعالى له في التزامه بالطاعة، واجتنابه المعصية، ويشكره على التوفيق لهما، ولا يغترّ بذلك: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

-الله تعالى ينصر المظلوم الصابر والمتّقي، ولو بعد حين: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾، ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾.

-الجري في الأمور وفق الأسباب، مع التوكّل على الله تعالى في كلّ أمر: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

-تبعات الذنب تلاحق المذنب طيلة حياته، وتنغّص عيشه: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ

أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾.

-على الإنسان أن لا ينسى مظلوميّة أخيه الإنسان مع مرور الزمن: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

-على الإنسان أن لا يقنط من رحمة الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

-عفو المظلوم عن الظالم التائب من كمال النفس: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ. . . قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

-من كمال العفو نسبة الظلم الواقع إلى الشيطان، وتبرئة الظالم منه: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾.

-الملك والسلطة والجاه لا يحولان دون إخفاض الجناح للوالدين: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

-على الإنسان أن يشكر الله تعالى على بلائه ونعمائه: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

-على الإنسان البصير أن يعتبر وينتفع من أحوال الأنبياء عليهم السلام وأممهم: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. النبيّ يوسف عليه السلام هو الابـن الحادي عشر من الأبناء الاثني عشر للنبيّ يعقوب عليه السلام، اجتباه الله تعالى منذ صغره، واختصّه بعنايته، فبّشره في صغره برؤيا، رأى فيها أنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له، فقصّها على أبيه، فأوصاه بكتم هذه الرؤيا عن إخوته؛ لكي لا يحسدوه، وقد أوّلها له بأنّ الله تعالى سيجتبيه، ويعلّمه من تأويل الأحاديث، ويتمّ نعمته عليه، كما أتمّها على آبائه عليهم السلام.
2. أضمر إخوة يوسف عليه السلام له حسداً، وقرّروا قتله، ثمّ استقرّ أمرهم على إبعاده عن أبيهم، فعمدوا إلى إلقائه في بئر، ثمّ بيعه لقافلة متوجّهة إلى أرض مصر.
3. عاش يوسف عليه السلام في مصر في قصر العزيز، ثمّ ما لبث أنْ لحقه أذى من زوجة العزيز التي ألقته في السجن ظلماً وعدواناً، فلبث فيه بضع سنين، ثمّ خرج منه بعد تأويله رؤيا الملك وثبوت براءته؛ فمنّ الله تعالى عليه بمنصب وزارة مصر.
4. مكّن الله تعالى لنبيّه يوسف عليه السلام في أرض مصر، وانتصر له على ظلم إخوته، وحقّق له رؤيته بعد أنْ جاء بأهله وإخوته من أرض كنعان إلى أرض مصر.

فكّر وأجب

1. تكلّم عن رؤية النبيّ يوسف عليه السلام وتأويلها.
2. ما رؤية الملك؟ وكيف أوّلها النبيّ يوسف عليه السلام له؟
3. بيّن كيف انتصر الله تعالى لنبيّه يوسف عليه السلام على زليخا وإخوته.

مطالعة

عن الصفّار، عن أيوب بن نوح، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، قال: قلت لأبي عبد الله صلوات الله عليه: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: «**حُزن سبعين ثكلى، قال: ولمّا كان يوسف صلوات الله عليه في السجن، دخل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال: إنّ الله تعالى ابتلاك وابتلى أباك، وإنّ الله ينجيك من هذا السجن، فاسأل الله بحقّ محمّد وأهل بيته أنْ يخلّصك ممّا أنت فيه، فقال يوسف: اللهمّ إنّي أسألك بحق محمّد وأهل بيته، إلّا عجّلت فرجي، وأرحتني ممّا أنا فيه، قال جبرئيل عليه السلام: فأبشر أيّها الصدّيق، فإنّ الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة، بأنّه يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيام، ويملّكك مصر وأهلها، تخدمك أشرافها، ويجمع إليك إخوتك وأباك، فأبشر أيّها الصدّيق، إنّك صفيّ الله وابن صفيّه. فلم يلبث يوسف عليه السلام إلّا تلك الليلة حتّى رأى الملك رؤيا أفزعته، فقصّها على أعوانه، فلم يدروا ما تأويلها. فذكر الغلام الذي نجا من السجن يوسفَ، فقال له: أيّها الملك، أرسلني إلى السجن، فإنّ فيه رجلاً لم يُرَ مثله حلماً وعلماً وتفسيراً، وقد كنت أنا وفلان، غضبت علينا، وأمرت بحبسنا، رأينا رؤيا، فعبّرها لنا، وكان كما قال، ففلان صُلب، وأمّا أنا فنجوت، فقال له الملك: انطلق إليه، فدخل وقال: يا يوسف: ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾. فلمّا بلغ رسالة يوسف الملك، قال: ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾، فلمّا بلغ يوسف رسالة الملك، قال: كيف أرجو كرامته وقد عرف براءتي وحبسني سنين. فلمّا سمع الملك، أرسل إلى النسوة، فقال: ما خطبكنّ، ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾، فأرسل إليه وأخرجه من السجن. فلمّا كلّمه، أعجبه كماله وعقله، فقال له: أقصص رؤياي، فإنّي أريد أنْ اسمعها منك، فذكره يوسف كما رأى وفسّرها. قال الملك: صدقت، فمَن لي بجمع ذلك وحفظه؟ فقال يوسف: إنّ الله تعالى أوحى إليّ إنّي مدبّره والقيّم به في تلك السنين، فقال له الملك: صدقت، دونك خاتمي وسريري وتاجي. فأقبل يوسف على جمع الطعام في السنين السبع الخصيبة يكبسه في الخزائن في سنبله، ثمّ أقبلت السنون المجدبة، أقبل يوسف عليه السلام على بيع**

الطعام، فباعه في السنة الأولى بالدراهم والدينار، حتّى لم يبقَ بمصر وما حولها دينار ولا درهم إلّا صار في مملكة يوسف، وباعه في السنة الثانية بالحلي والجواهر، حتّى لم يبقَ بمصر حليّ ولا جوهر إلّا صار في مملكته، وباعه في السنة الثالثة بالدوابّ والمواشي حتّى لم يبقَ بمصر وما حولها دابّة ولا ماشية إلّا صارت في مملكة يوسف، وباعه في السنة الرابعة بالعبيد والإماء، حتّى لم يبقَ بمصر وما حولها عبد ولا أَمَة إلّا وصار في مملكة يوسف، وباعه في السنة الخامسة بالدور والعقار حتّى لم يبقَ بمصر وما حولها دار ولا عقار إلّا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار، حتّى لم يبقَ بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة إلّا صار في مملكة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وباعه في السنة السابعة برقابهم، حتّى لم يبقَ بمصر وما حولها عبد ولا حرّ إلّا صار في مملكة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصاروا عبيداً له. فقال يوسف للملك: ما ترى فيما خوّلني ربّي؟ قال: الرأي رأيك، قال: إنّي أشهد الله وأشهدك أيّها الملك أنّي أعتقت أهل مصر كلّهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت عليك خاتمك وسريرك وتاجك، على أنْ لا تسير إلّا بسيرتي، ولا تحكم إلّا بحكمي، فالله أنجاهم على يدَي، فقال الملك: إنّ ذلك لديني وفخري، وأنا أشهد أنْ لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأنّك رسوله، وكان من إخوة يوسف وأبيه ما ذكرته»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مصدر سابق، ص134-136.

الدرس الثامن

النبيّ أيّوب عليه السلام
النبيّ هارون عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصص النبيَّين أيّوب عليه السلام وهارون عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيَّين أيّوب عليه السلام وهارون عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصص النبيَّين أيّوب عليه السلام وهارون عليه السلام.

قصّة النبيّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

هو أيوب بن موص بن رزاح (وقيل بن رعويل) بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.
كان كثير الأولاد والمال من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتّسعة بأرض الثنية من أرض حوران، في بلاد الشام[1]، وهو من أنبياء بني إسرائيل. وقد ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة، هي:

-﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

-﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[3].

-﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[4].

(1) انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج1، ص226؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج1، ص360.
(2) سورة النساء، الآيتان 163، 165.
(3) سورة الأنعام، الآيات 84، 87، 89.
(4) سورة الأنبياء، الآيتان 83-84.

-﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[1].

اختار الله تعالى أيوب عليه السلام للنبوّة وللرسالة: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ... رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[2]، واجتباه وهداه إلى صراط مستقيم: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ...وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[3]، وعدّه من المحسنين: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4]، وأثنى عليه؛ لصبره في جنب الله، وانقطاعه إليه: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[5]. وحكى القرآن الكريم شمول البلاء له في نفسه وماله وولده، فذهبت أمواله، ومات أولاده، وابتلي في بدنه بمرض شديد مدّة طويلة من الزمن، حتى أصبح ضعيفاً، لا معين له من نفسه وماله وولده، فهجره قومه ورغبوا عنه، حتّى اتّهموه في دينه بسبب شدّة البلاء الذي أصابه، وقد دعا اللهَ تعالى، وشكا إليه ما ألمّ به من بلاء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[6]، وما لحقه من الناس من اتّهام بالسوء، وبالتفريط في جنب الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾[7]، فاستحباب الله تعالى له، وورفع عنه بلاءه في

(1) سورة ص، الآيات 41-44.
(2) سورة النساء، الآيتان 163، 165.
(3) سورة الأنعام، الآيتان 84، 87.
(4) سورة الأنعام، الآية 84.
(5) سورة ص، الآية 44.
(6) سورة الأنبياء، الآية 83.
(7) سورة ص، الآية 41.

نفسه وماله وولده، فأمره بأن يضرب برجله الأرض، فيخرج منها ماء بارد؛ ليغسل بدنه به ويشرب منه فيُشفى، وأعاد له ماله وأولاده الذين ماتوا، ورزقه ضعفهم: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1]، ودحض بذلك تُهَم قومه له. وقد كان للنبيّ أيّوب زوجة لازمته أثناء محنته وابتلائه، ولكنّها فعلت أمراً ساء زوجَها أثناء مرضه، لم يذكره القرآن، تأدّباً ورعاية للنبيّ أيوب عليه السلام، الذي حلف أنْ يعاقبها عليه، بعد أن يمنّ الله تعالى عليه بالشفاء والعافية. ولصلاحها وصبرها مع زوجها، ورعاية لحفظ الأيمان، أمره الله تعالى بعد شفائه أنْ يأخذ ملء كفّه خليطاً من الحشيش وأوراق الأشجار والعيدان وما شابهها، ويرميها به: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[2].

دروس وعبر من قصّة النبيّ أيّوب عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد في القرآن الكريم من قصّة النبيّ أيوب عليه السلام، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-البلاء اختبار وامتحان إلهيّ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

-على الإنسان أن يصبر على البلاء في جنب الله تعالى، وينقطع إليه ولا يجزع: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

-الله تعالى يستجيب دعوة المبتلى الصابر المنقطع إليه، ويرفع عنه البلاء، ويجزيه على صبره: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾، ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

---

(1) سورة ص، الآيتان 42-43.
(2) سورة ص، الآية 43.

-الشيطان يسوّل للناس سوء الظنّ بالمبتلى الصابر؛ لثنيه عن صبره: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾.

-إعانة المبتلى الصابر على بلواه لا تضيع عند الله تعالى: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

قصّة النبيّ هارون عليه السلام

هو هارون بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام[1]. ورد ذكره في القرآن الكريم مقترناً بذكر قصّة أخيه النبيّ موسى عليه السلام، وسوف يجري تفصيل الكلام فيها[2]. ومن المواضع التي ذُكر فيها، قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾[3].

اختار الله تعالى النبيّ هارون بن عمران عليه السلام للنبوّة، واختصّه في من اختصّه

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج1، ص210.

(2) سورة النساء، الآيات 163-165؛ سورة الأعراف، الآيات 142، 150-151؛ سورة يونس، الآية 75؛ سورة طه، الآيات 29-36، 42-48، 90-94؛ سورة الشعراء، الآيات 12-17، 47-48؛ سورة القصص، الآيات 33-35. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ موسى عليه السلام والنبيّ هارون عليه السلام.

(3) سورة طه، الآيات 29-36، 42-48، 90-94.

بوحيه: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ﴾[1]، وجعله وزيراً لأخيه موسى عليه السلام، ومعيناً له في دعوته، فكان نعم الأخ المواسي والمعين لأخيه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ۝٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[2]. وقد رافقه في رحلته التبليغيّة في أرض مصر، حيث آزره في الدعوة إلى الله تعالى، وواجه معه فرعون وقومه: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۝٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[3]. ثمّ رافقه في خروجه منها إلى أرض سيناء، وهناك استخلفه موسى عليه السلام في قومه عند ذهابه إلى الميقات: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[4]، فنصحهم وواجههم بعدما عبدوا العجل، وبذل جهده في صدّهم عن ذلك: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾[5]، ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ

(1) سورة النساء، الآية 163.
(2) سورة طه، الآيات 29-36.
(3) سورة طه، الآيات 42-48.
(4) سورة الأعراف، الآية 142.
(5) سورة طه، الآيات 90-94.

ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1]، ثمّ عزم معه على دخول أرض فلسطين: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[2]. وسوف يأتي مزيد تفصيل وبيان لقصّته عليه السلام عندما نتناول قصّة أخيه النبيّ موسى عليه السلام.

دروس وعبر من قصّة النبيّ هارون عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ هارون عليه السلام، يمكن استخلاص مجموعة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-سنّة الاستخلاف في المجتمع الإنسانيّ وعدم ترك الناس من دون مرجع في أمر دينهم ودنياهم: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

-ضرورة حفظ أمانة المستخلف: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾.

-المؤازرة في الدعوة أبلغ في التأثير، وآكد في إتمام الحجّة: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾.

-على الداعي أن يصبر على نصرة الحقّ، حتّى لو خالفه كثير من الناس: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾.

-على الداعي أن يبذل قصارى جهده في ثني الناس عن الباطل: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾، ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾.

-على الداعي أن لا يستوحش طريق الحقّ لقلّة سالكيه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

(1) سورة الأعراف، الآيتان 150-151.
(2) سورة المائدة، الآية 25.

الأفكار الرئيسة

1. النبيّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ هو من أنبياء بني إسرائيل. يرجع نسبه إلى إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ. كان كثير الأولاد والمال من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتّسعة بأرض الثنية من أرض حوران في بلاد الشام. وقد ابتلاه الله تعالى في نفسه وماله وولده، فذهبت أمواله، ومات أولاده، وابتلي في بدنه بمرض شديد مدّة طويلة من الزمن، حتى أصبح ضعيفاً، لا معين له من نفسه وماله وولده، فهجره قومه، ورغبوا عنه، واتّهموه في دينه بسبب شدّة البلاء الذي أصابه، وقد دعا الله تعالى، وشكى إليه ما ألمّ به من بلاء، فكشف عنه ذلك، وردّ عليه عافيته وماله وولده، وبارك له فيهم.
2. اختار الله تعالى النبيّ هارون بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبوّة، واختصّه في من اختصّه بوحيه، وجعله وزيراً لأخيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومعيناً له في دعوته، فكان نعم الأخ المواسي والمعين لأخيه. وقد رافقه إلى أرض مصر، وفي خروجه منها إلى أرض سيناء.

فكّر وأجب

1. بماذا ابتلى الله تعالى نبيّه أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وما موقف قومه من ابتلائه؟
2. كيف كشف الله تعالى البلاء عن النبيّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ؟
3. كيف عاون النبيّ هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ أخاه النبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوته؟

مطالعة

عن السيّد المرتضى بن الداعي الحسينيّ، عن جعفر الدوريستي، عن أبيه، عن ابن بابويه، عن أبيه، حدّثنا سعد بن عبد الله، حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي الخزّاز، عن فضل الأشعريّ، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه، قال: «**ابتُلي أيّوب عليه السلام سبعَ سنين بلا ذنب. وقال: ما سأل أيّوب عليه السلام العافية في شيء من بلائه. وقال: قال أبي عليه السلام: إنّ أيّوب ابتلي من غير ذنب، وإنّ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يذنبون؛ لأنّهم معصومون، ولا يزيغون، ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً. وقال: «إنّ الله تعالى ابتلى أيوب بلا ذنب، فصبر حتّى عُيِّر، والأنبياء لا يصبرون على التعيير**».

وعن سعد بن عبد الله، حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن عليّ، عن داوود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ذُكر أيّوب عليه السلام، فقال: قال الله جلّ جلاله: «**إنّ عبدي أيّوب ما أُنعِم عليه بنعمه- إلّا ازداد شكراً، فقال الشيطان: لو نصبت له البلاء، فابتليته كيف صبره؟! فسلّطه على إبله ورقيقه، فلم يترك له شيئاً غير غلام واحد. فأتاه الغلام، فقال: يا أيّوب، ما بقي من إبلك ولا من رقيقك أحد إلّا وقد مات، فقال أيّوب: الحمد لله الذي أعطى، والحمد لله الذي أخذ، فقال الشيطان: إنّ خيله أعجب إليه، فسلّط عليها، فلم يبقَ منها شيء إلّا هلك، فقال أيّوب: الحمد لله الذي أعطى، والحمد لله الذي أخذ. وكذلك بقره، وغنمه، ومزارعه، وأرضه، وأهله، وولده، حتّى مرض مرضاً شديداً، فأتاه أصحاب له، فقالوا: يا أيّوب، ما كان أحد من الناس في أنفسنا، ولا خير علانية خيراً عندنا منك، فلعلّ هذا لشيء كنت أسررته فيما بينك وبين ربّك، لم تُطْلع عليه أحداً، فابتلاك الله من أجله، فجزع جزعاً شديداً، ودعا ربّه، فشفاه الله تعالى، وردّ عليه ما كان له من قليل أو كثير في الدنيا. قال: وسألته عن قوله تعالى:** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً﴾، **فقال: الذين كانوا ماتوا**»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص142-143.

الدرس التاسع

النبيّ موسى عليه السلام (1)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصّة النبيّ موسى عليه السلام الواردة في القرآن الكريم منذ ولادته إلى خروجه مع بني إسرائيل من مصر.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيّ موسى عليه السلام في هذه المحطّات من دعوته.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من هذه المحطّات من قصّة النبيّ موسى عليه السلام.

قصّة النبيّ موسى عليه السلام

هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب[4] بن إسحاق[4] بن إبراهيم عليه السلام[1]. وقد ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[2]، منها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[3].

---

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج1، ص210.

(2) سورة البقرة، الآيات 50-61، 63-64، 67-73، 92-93؛ سورة النساء، الآيات 153-154، 164-165؛ سورة المائدة، الآيات 20-26، 44-45؛ سورة الأعراف، الآيات 103-155؛ سورة يونس، الآيات 75-93؛ سورة الإسراء، الآيات 101-103؛ سورة الكهف، الآيات 60-82؛ سورة طه، الآيات 9-89؛ سورة الشعراء، الآيات 10-66؛ سورة النمل، الآيات 7-14؛ سورة القصص، الآيات 7-48؛ سورة غافر، الآيات 23-27، 53-54؛ سورة الزخرف، الآيات 46-56؛ سورة الدخان، الآيات 17-24؛ سورة النازعات، الآيات 15-25؛ سورة الأعلى، الآيات 14-19. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ موسى عليه السلام.

(3) سورة الأعراف، الآيات 103-122.

وبالتأمّل في هذه الآيات التي ورد فيها ذِكْر النبيّ موسى عليه السلام، يمكن استخلاص قصّته وفق المحطّات التالية:

ولادة النبيّ موسى عليه السلام ونشأته

بعد أنْ أحضر النبيّ يوسف عليه السلام بني إسرائيل إلى أرض مصر، وآمنهم فيها: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1]، تكاثروا كثرة خاف على إثرها الأقباط من أهل مصر، فاستعبدوهم واسترقّوهم، وقتلوا أبناءَهم: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[2]، ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[3]، إلى أنْ منّ الله تعالى على بني إسرائيل بولادة النبيّ موسى عليه السلام؛ ليرفع عنهم هذا الاستعباد والظلم الحاصل بهم: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ﴾[4]. وقد علم فرعون ملك مصر بنبوءة ولادة مخلّص بني إسرائيل، فخاف على ملكه منه، فأمر جنوده بأنْ يقتلوا كلّ مولود ذكر يُولَد[5]. ولمّا أولدت أمّ موسى عليه السلام وَلَدها موسى عليه السلام، خافت عليه من القتل، فألهمها الله تعالى أن ترضعه، وتضعه في تابوت، وتلقيه في البحر، وربط على قلبها وطمأنها بأنّه حافظه ومنجّيه من كلّ سوء، وجاعله رسولاً: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[6]، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ

(1) سورة يوسف، الآية 99.
(2) سورة البقرة، الآية 49.
(3) سورة الأعراف، الآية 141.
(4) سورة طه، الآية 47.
(5) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق، ص147-148.
(6) سورة طه، الآيتان 38-39.

﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، ففعلت ذلك، فسار التابوت وفيه موسى عليه السلام، ورسا على ضفاف البحر، فالتقطته خادمات قصر فرعون، وجئن به إليه، فأقنعته زوجته بأنْ يحتفظا به ويربياه، فقبل بذلك: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[2]. وقد أرسلت أمّ موسى عليه السلام أخته لتحرّي أمره في قصر فرعون، من دون أن يعلم بها أحد: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[3]، فوجدته لا يرتضي الارتضاع من النساء: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾[4]. ولمّا وجدت القائمين عليه متحيّرين في أمره، أقبلت إليهم، وعرضت عليهم إرشادهم إلى مرضعة: ﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ﴾[5]، ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾[6]، فقبلوا بذلك، فردّ الله تعالى موسى عليه السلام بمنّه ولطفه إلى أمّه: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ﴾، ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[7].

ثمّ ترعرع موسى عليه السلام، وبلغ أشدّه في قصر فرعون، وقد آتاه الله تعالى القدرة على الحكم السديد في الأمور، والعلم المصيب بحقائق الأشياء: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[8]، فلم يتأثّر في تربيته ببيئة القصر الفاسدة والظالمة، وكان ينقم على فرعون وقومه الذين عاثوا فساداً وظلماً واستعباداً لبني إسرائيل. وذات يوم، خرج في المدينة، فصادف رجلين يقتتلان، أحدهما من الأقباط،

(1) سورة القصص، الآيتان 7، 10.
(2) سورة القصص، الآيتان 8-9.
(3) سورة القصص، الآية 11.
(4) سورة القصص، الآية 12.
(5) سورة طه، الآية 40.
(6) سورة القصص، الآية 12.
(7) سورة القصص، الآية 13.
(8) سورة القصص، الآية 14.

والآخر من بني إسرائيل، فاستغاثه الذي من بني إسرائيل، مستنصراً إيّاه على القبطيّ الذي يريد أن يبطش به ظلماً: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[1]، فقام موسى عليه السلام بدفع القبطي بملء كفّه، ممّا أدّى إلى قتله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾[2]. ولم يقصد النبيّ موسى عليه السلام أن تفضي وكزته للقبطيّ إلى قتله، فعدّ ذلك من عمل الشيطان الذي يريد أن يقلّب عليه الأمور في هذا الوقت العصيب: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، فاستعظم ما صدر منه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]، وشكر الله تعالى على تجنيبه السوء، وجعله إيّاه نصيراً للمظلومين، ودعاه أن لا يجعله نصيراً للمجرمين، وهم فرعون وأعوانه وجنوده: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[5].

وفي اليوم الثاني، كان النبيّ موسى عليه السلام يمشي في المدينة خائفاً من انكشاف أمره: ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[6]، فلقي الرجل الذي استغاثه بالأمس يستنجده على رجل آخر من الأقباط: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ﴾[7]، فلامه موسى عليه السلام على هذه التصرّفات غير المسؤولة التي تثير المشاكل، وتستفزّ الأعداء: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾[8]، ولكنّه ما لبث أنْ أراد دفع ظلم القبطيّ عنه، فظنّ الرجل أنّه يريد أن يقتله، فقال له أتريد أن تقتلني كما قتلت الرجل القبطيّ بالأمس: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ

(1) سورة القصص، الآية 15.
(2) سورة القصص، الآية 15.
(3) سورة القصص، الآية 15.
(4) سورة القصص، الآية 16.
(5) سورة القصص، الآية 17.
(6) سورة القصص، الآية 18.
(7) سورة القصص، الآية 18.
(8) سورة القصص، الآية 18.

﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[1]، فعرف القبطيّ الآخر بالأمر، فذهب مسرعاً إلى فرعون وأخبره بالأمر، فبعث فرعون جنوده يبحثون عن موسى عليه السلام، وطلب منهم إحضاره إليه، فجاءه رجل مؤمن ناصحاً له بالخروج من أرض مصر؛ لأنّ فرعون وجنوده يريدون به سوءاً: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[2]، ففرّ موسى عليه السلام هارباً متوجّهاً إلى أرض مَدْيَن، يدعو الله تعالى أن ينجّيه من القوم الظالمين: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[3]، فأنجاه الله تعالى برحمته ولطفه: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾[4]

هجرته عليه السلام إلى مَدْيَن

لمّا وصل موسى عليه السلام إلى مدين، وهي مدينة قوم النبيّ شعيب عليه السلام، على الساحل الغربيّ للبحر الأحمر، وجد مجموعة من الرجال الرعاة يستقون مواشيهم على ماء البئر، ومن دونهم امرأتانِ تنتظران جانباً، فسألهما عن حاجتهما، فأجابتاه بأنّ لهما أباً شيخاً كبيراً[5]، وهما تنتظران حتّى ينفضّ الرعاة عن الماء لتَرِداه وتستقيا مواشيهما: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[6]، فأعانهما بسقايته مواشيهما: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾[7]، ثمّ تولّى عنهما إلى مكان ليستريح فيه ويستظلّ من شدّة الحرّ، حامداً لله تعالى، وشاكراً له على إعانته إيّاه، وتكفّله برحمته:

---

(1) سورة القصص، الآية 19.
(2) سورة القصص، الآية 20.
(3) سورة القصص، الآية 21-22.
(4) سورة طه، الآية 40.
(5) قيل: هو النبيّ شعيب عليه السلام، وقيل: هو ابن أخيه، وقيل: هو شيخ من أهل مدين، انظر: الطوسيّ، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العامليّ، ط1، طهران، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1409هـ.ق، ج8، ص143. والأظهر أنّه ليس شعيباً عليه السلام؛ لأنّ بينه وبين موسى عليه السلام زمناً معتدّاً به، بحسب ما أورده القرآن من سياق قصصهما وقصص غيرهما من الأنبياء عليهم السلام.
(6) سورة القصص، الآية 23.
(7) سورة القصص، الآية 24.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾[1].وبعد أن عادت بنات الشيخ الكبير، قصّتا عليه ما جرى معهما، فما كان منه إلّا أن أرسل إليه إحدى ابنتيه لدعوته، وشكره على مساعدته وإعانته لابنتيه: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾[2]، فلمّا أتى النبيّ موسى عليه السلام، قصّ عليه أمره، وما جرى عليه في مصر، فقال له الشيخ الكبير: لقد أنجاك الله تعالى بلطفه من القوم الظالمين: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]. وقد طلبت إحدى ابنتيه منه أن يستأجر موسى عليه السلام، ويزوّجه من إحداهما: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[4]، فعرض الشيخ عليه أنْ يزوّجه إحدى ابنتيه، وطلب منه مهراً لها بأنْ يخدمه ويتولّى رعاية مواشيه ثماني سنين، فإنْ أتمّ عشراً فمن عنده تفضّلاً وتكرّماً: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5]، فقبل موسى عليه السلام بذلك، مع تعليقه قبولَ الزيادة على قادم الأيّام: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾[6].

عودته عليه السلام إلى مصر

وبعد انقضاء مدّة العقد الذي أبرمه النبيّ موسى عليه السلام مع الشيخ الكبير، ومكوثه في مدين تلك السنين: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾[7]، تهيّأ واستعدّ لتلقّي التكليف الإلهيّ ومسؤوليّة الدعوة: ﴿فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ۝ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ

(1) سورة القصص، الآية 24.
(2) سورة القصص، الآية 25.
(3) سورة القصص، الآية 25.
(4) سورة القصص، الآية 26.
(5) سورة القصص، الآية 27.
(6) سورة القصص، الآية 28.
(7) سورة القصص، الآية 29.

لِنَفۡسِي﴾[1]، فرجع مع أهله إلى أرض مصر عبر الصحراء، فتاهَ فيها ليلاً، وكانت ليلة مظلمة شاتية، فوجد ناراً تضيء من جانب الجبل، فطلب من أهله المكوث؛ ليسير باتّجاه النار، مستطلعاً: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾[2]، ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾[3]، ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾[4]، فلمّا اقترب منها، أتاه النداء الإلهيّ من ناحية الشجرة الكائنة في الجانب الأيمن من الوادي المقدّس طوى، وأمره بخلع نعليه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾[5]، ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[6]، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[7]، ثمّ منحه معجزتين خارقتين؛ هما: العصا المتحوّلة إلى أفعى، واليد البيضاء المنيرة: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ

(1) سورة طه، الآيتان 40-41.
(2) سورة طه، الآيتان 9-10.
(3) سورة النمل الآية 7.
(4) سورة القصص، الآية 29.
(5) سورة طه، الآيات 11-16.
(6) سورة النمل، الآيتان 8-9.
(7) سورة القصص، الآية 30.

﴿٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾[1]، ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾[2]، ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ٣١ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾[3]، وأمره بأنْ يذهب إلى فرعون وقومه؛ ليدعوهم إليه: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[4]، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[5]، ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾[6]. طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يتفضّل عليه، ويزيل من أمامه العقبات التي تعترض دعوته، ولا سيما أنه قتل منهم نفساً، وأنْ يجعل معه أخاه هارون عليه السلام وزيراً ومعيناً له في دعوته: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[7]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ٢٨ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ٢٩ هَٰرُونَ أَخِى ٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ٣٢ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[8]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ٣٣ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[9]، فاستجاب الله تعالى له ذلك: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً

(1) سورة طه، الآيات 17-23.
(2) سورة النمل، الآيات 10-12.
(3) سورة القصص، الآيتان 31-32.
(4) سورة الشعراء، الآية 10.
(5) سورة طه، الآية 24.
(6) سورة القصص، الآية 32.
(7) سورة الشعراء، الآيات 12-14.
(8) سورة طه، الآيات 25-35.
(9) سورة القصص، الآيتان 33-34.

أُخۡرَىٰ﴾[1]، ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[2]، وأوحى إليه وإلى أخيه هارون عليه السلام بالذهاب إلى فرعون، ودعوته إلى الله تعالى بأسلوب ليّن: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۝٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[3]، ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾[4]، وطمأنهما بأنّه معهما يحميهما ويسدّدهما: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[5]، ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[6]، فقصد موسى عليه السلام أرض مصر، ثمّ دخل مع أخيه هارون عليه السلام على فرعون، داعياً إيّاه وقومَه إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وحده، وفكّ أسر بني إسرائيل، ومحذّراً إيّاه من عاقبة الكفر والتكذيب: ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[7]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[8]، ولكنّ فرعون وكبار قومه أظهروا جهلاً بدعوته، وأثاروا الشكوك عليه وعلى دعوته، فواجههم النبيّ موسى بحكمة وبصيرة نافذة: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢١ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ

---

(1) سورة طه، الآيتان 36-37.
(2) سورة القصص، الآية 35.
(3) سورة طه، الآيات 42-44.
(4) سورة النازعات، الآيتان 18-19.
(5) سورة طه، الآيتان 45-46.
(6) سورة الشعراء، الآيات 15-17.
(7) سورة طه، الآيتان 47-48.
(8) سورة الأعراف، الآيتان 104-105.

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن
كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦
قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن
كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[1]، ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ
ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا
يَنسَى ٥٢ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ
فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ٥٣ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ
٥٤ ۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾[2]، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم
مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3]، وقد عملوا على تضليل الناس والاستخفاف بعقولهم: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي
قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠
خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ
مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾[4]، ﴿فَقَالَ
أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[5]، ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ
ٱلرَّشَادِ﴾[6]، ثمّ إنّهم سخروا من موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا
يَضۡحَكُونَ﴾[7]، ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[8]، واتّهموه بالكذب:
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ

(1) سورة الشعراء، الآيات 18-28.
(2) سورة طه، الآيات 49-55.
(3) سورة القصص، الآيتان 36-37.
(4) سورة الزخرف، الآيات 51-54.
(5) سورة النازعات، الآية 24.
(6) سورة غافر، الآية 29.
(7) سورة الزخرف، الآية 47.
(8) سورة الزخرف، الآية 52.

كَذَّابٌ﴾[1]، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّفۡتَرًى﴾[2]، وبصدّه عن سيرة آبائهم: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾[3]، وبطلب السلطة والجاه: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[4]، وبأنّه ومَن آمن معه سبب ابتلائهم ومعاناتهم: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[5]، وواجهوه بالتهديد: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾[6]، فتحدّاهم بقدرته على الإتيان بالبيّنة: ﴿قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴾[7]، فطلبوا منه الإتيان بها إنْ كان صادقاً في دعواه: ﴿قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[8]، ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[9]، فأتاهم بها، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان كبير مهيب: ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾[10]، وأخرج يده فإذا هي بيضاء تسطع بالنور: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾[11]، ولكنّهم مع ذلك لم يؤمنوا له، وكذّبوا بدعوته: ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾[12]، ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾[13]، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[14]، فأجابهم موسى عليه السلام بأنّ ما أتى به هو الحقّ،

(1) سورة غافر، الآيتان 23-24.
(2) سورة القصص، الآية 36.
(3) سورة يونس، الآية 78.
(4) سورة يونس، الآية 78.
(5) سورة الأعراف، الآية 131.
(6) سورة الشعراء، الآية 29.
(7) سورة الشعراء، الآية 30.
(8) سورة الشعراء، الآية 31.
(9) سورة الأعراف، الآية 106.
(10) سورة الشعراء، الآية 32.
(11) سورة الشعراء، الآية 33.
(12) سورة يونس، الآية 78.
(13) سورة طه، الآية 56.
(14) سورة يونس، الآية 76.

وليس سحراً: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[1]، وحذّرهم من عذاب الاستئصال إذا ما أصرّوا على كفرهم وجحودهم: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[2]. وقد أشار أعوان فرعون عليه بأنْ يجمعوا له السحرة الماهرين من أرض مصر؛ ليتحدّى بهم موسى عليه السلام: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾[3]، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾[4]، ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[5]، فوافق فرعون على فكرتهم، وطلب إتيانَه بجميع السحرة الماهرين: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾[6]، فلمّا جاءه السحرة طلب منهم أن يتحدّوا موسى عليه السلام، وأن يأتوا بأعظم ممّا أتى به، فوافقوا على ذلك، وطلبوا الحظوة عند الملك، فتعهّد لهم بذلك: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[7]، ثمّ اختاروا أنْ يُجمع الناس في يوم عيد من أعياد أهل مصر؛ وهو يوم الزينة؛ ليشهدوا لعبة الملك وسَحَرته على موسى عليه السلام: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾[8]، ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ

(1) سورة يونس، الآية 77.
(2) سورة طه، الآية 61.
(3) سورة طه، الآيات 62-64.
(4) سورة الأعراف، الآيات 109-112.
(5) سورة الشعراء، الآيات 34-37.
(6) سورة يونس، الآية 79.
(7) سورة الأعراف، الآيتان 113-114.
(8) سورة الشعراء، الآيات 38-40.

﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾[1]. ولمّا جُمِع الناس، طلب السحرة من موسى عليه السلام الإلقاء، أو أن يكونوا هم الملقين أوّلاً: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾[2]، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾[3]، فأجابهم بأنْ يُلقوا هم أوّلاً: ﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾[4]، ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ﴾[5]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾[6]، فلمّا ألقوا حبالهم، سحروا أعين الناس، وجعلوهم يتخيّلون أنّها تتحرّك: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[7]، ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[8]، فخاف موسى عليه السلام في نفسه من افتتان الناس بهم، وأشفق من غلبة الجهّال والضلّال[9]: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[10]، ودعا اللهَ تعالى أن يُبطل سحرهم، ويردّ كيدهم ومكرهم: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[11]، ثمّ أمره الله تعالى بإلقاء عصاه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾[12]، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا

---

(1) سورة طه، الآيات 58-60.
(2) سورة الأعراف، الآية 115.
(3) سورة طه، الآية 65.
(4) سورة الأعراف، الآية 116.
(5) سورة طه، الآية 66.
(6) سورة يونس، الآية 80.
(7) سورة الأعراف، الآية 116.
(8) سورة طه، الآية 66.
(9) انظر: الشريف الرضي، محمّد بن الحسين، نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه)، شرح محمّد عبده، ط1، قم المقدّسة، دار الذخائر، مطبعة النهضة، 1412هـ.ق/ 1370هـ.ش، ج1، خطبة 4، ص39.
(10) سورة طه، الآية 67.
(11) سورة يونس، الآيتان 81-82.
(12) سورة الأعراف، الآية 117.

صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[1]، فلمّا ألقاها، تحوّلت إلى ثعبان كبير مهيب، أخذ يلقف ما ألقاه السحرة جميعَه: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾[2]، فتعجّب السحرة من ذلك، وأيقنوا أنّ ما فعله موسى عليه السلام ليس سحراً، بل آية ربّانيّة مُعجِزَة، فخرّوا سجّداً لله، مؤمنين بدعوة موسى عليه السلام: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[3]، ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[4]، فلمّا رأى فرعون منهم هذا الموقف، عنّف بهم في القول، وتوعّدهم بالعذاب: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٞ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5]، ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبْقَىٰ﴾[6]، ولكنّهم لم يكترثوا لتهديداته، وتوجّهوا بالانقطاع إلى ربّهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرٗا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[7]، ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٞ وَأَبْقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنٗا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[8]، ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا

(1) سورة طه، الآيتان 68-69.
(2) سورة الأعراف، الآيات 117-119.
(3) سورة الأعراف، الآيات 120-122.
(4) سورة طه، الآية 70.
(5) سورة الأعراف، الآيتان 123-124.
(6) سورة طه، الآية 71.
(7) سورة الأعراف، الآيتان 125-126.
(8) سورة طه، الآيات 72-76.

مُنقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، فما كان منه إلّا أنْ أمر بصلبهم وتقطيع أيديهم وأرجلهم. ولم يؤمن لموسى عليه السلام إلّا قليل من قومه على خوف من فرعون وجنوده: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٍ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[2]، وقد عمل النبيّ موسى عليه السلام على تثبيت إيمانهم، وحثّهم على الصبر، ودعا الله تعالى لهم بذلك وبخزي عدوهم: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3]. وتسرّب الإيمان بدعوته إلى داخل القصر، فآمنت به زوجة فرعون (آسية بنت مزاحم)، فنهاها فرعون عن ذلك، فلم تنته، وأعلنت براءتها من الشرك، فأمر بتعذيبها وقتلها، فأوكلت أمرها إلى الله تعالى وأسلمت له، وطلبت منه أن ينجّيها من ظلم فرعون: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]. وبعد أنْ ذاع خبر إيمان ثلّة من الناس بموسى عليه السلام، قام أعوان فرعون باستفزازه على موسى عليه السلام ومَن آمن معه: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾[5]،

(1) سورة الشعراء، الآيتان 50-51.
(2) سورة يونس، الآية 83.
(3) سورة يونس، الآيات 84-89.
(4) سورة التحريم، الآية 11.
(5) سورة الأعراف، الآية 127.

فتملّك بني إسرائيل الخوف والجزع: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾(1)، فدعاهم موسى عليه السلام إلى الاستعانة بالله تعالى والصبر، وطمأنهم إلى حسن العاقبة: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾(2)، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾(3)، وبعد أنْ وجد موسى عليه السلام من فرعون وقومه الكفرَ والجحود: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾(4)، أعرض عنهم، وأنذرهم بوقوع آيات من العذاب بهم ابتلاءً لهم، لعلّهم يرجعون: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾(5)، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ﴾(6)، ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾(7)، فأصابهم الجدب والقحط، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد والقمّل، والضفادع، والدم في مياههم: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾(8)، ولكنّهم لم يعتبروا منها: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾(9)، ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(10)، وكانوا بعد كلّ آية يدعون موسى عليه السلام ليدعو ربّه كي يرفع عنهم العذاب، على أن يؤمنوا له ويُرسلوا معه بني إسرائيل: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ

(1) سورة الأعراف، الآية 129.
(2) سورة الأعراف، الآية 128.
(3) سورة الأعراف، الآية 129.
(4) سورة الأعراف، الآية 132.
(5) سورة الأعراف، الآية 130.
(6) سورة الإسراء، الآية 101.
(7) سورة النمل، الآية 12.
(8) سورة الأعراف، الآية 133.
(9) سورة الإسراء، الآية 101.
(10) سورة النمل، الآيتان 13-14.

بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[1]، ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾[2]، وعند ارتفاع العذاب كانوا ينقضون عهدهم في كلّ مرّة: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[3]، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[4]. وقد بلغ حقد فرعون ومن معه مبلغاً إلى أنْ قرّروا القضاء على موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل، فانبرى مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه عنهم؛ لنصحهم وصرفهم عن ذلك: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[5]، ولكنّهم لم ينتصحوا بكلامه، بل عمد فرعون إلى تضليل الناس، وحرفهم عن مقولة مؤمن آل فرعون، فأمر وزيره هامان ببناء برج عالٍ ليرتقيه، باحثاً عن إله موسى عليه السلام، مع حكمه المسبق بكذب موسى عليه السلام في دعواه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ

(1) سورة الأعراف، الآية 134.
(2) سورة الزخرف، الآية 49.
(3) سورة الأعراف، الآية 135.
(4) سورة الزخرف، الآية 50.
(5) سورة غافر، الآيات 28-35.

مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾[1].

ومع إصرار فرعون وأعوانه على ارتكاب قتل موسى عليه السلام ومن آمن معه: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾[2]، ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾[3]، أوحى الله تعالى إلى نبيّه موسى عليه السلام بالمسير بهم ليلاً إلى أرض سيناء: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾[4]، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[5]، فلمّا توجّه عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل، ووصلوا إلى البحر، لحقهم فرعون وجنوده: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ﴾[6]، ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾[7]، ﴿فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ﴾[8]، وظنّ قوم موسى عليه السلام أنّهم حُصروا وقُضي عليهم من قِبَل فرعون وقومه، ولكنّه طمأنهم بأنّ الله تعالى دافعُهم ومعذّبهم: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾[9]، فأوحى الله تعالى لنبيّه موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك البحر: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾[10]، فلمّا فعل ذلك انفلق البحر قسمين، فعلا الماء عن الجانبين، وانكشفت بينهما أرض البحر: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[11]، فأمر من معه بالمسير فيه، ولحقه فرعون وجنوده، ودخلوا وراءهم البحر، فلمّا جاوزه

(1) سورة القصص، الآيتان 38-39.
(2) سورة غافر، الآية 26.
(3) سورة الشعراء، الآيات 53-56.
(4) سورة طه، الآية 77.
(5) سورة الشعراء، الآية 52.
(6) سورة يونس، الآية 90.
(7) سورة طه، الآية 78.
(8) سورة الشعراء، الآية 60.
(9) سورة الشعراء، الآيتان 61-62.
(10) سورة الشعراء، الآية 63.
(11) سورة الشعراء، الآية 63.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه، انطبق الماء على فرعون وجنوده، فماتوا غرقاً، وجعلهم الله تعالى آية للعالمين: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1]، ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[2]، ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾[3]، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾[4]، فأتمّت الحجّة على فرعون وقومه بالتبليغ والإنذار: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[5]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[6]، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾[7].

(1) سورة البقرة، الآية 50.
(2) سورة طه، الآية 78.
(3) سورة الشعراء، الآيات 64-66.
(4) سورة القصص، الآيات 40-42.
(5) سورة يونس، الآية 75.
(6) سورة يونس، الآيات 90-92.
(7) سورة طه، الآية 79.

الأفكار الرئيسة

1. النبيّ موسى بن عمران عليه السلام، هو من أنبياء بني إسرائيل، من وِلْد لاوي بن يعقوب عليه السلام، ومن الأنبياء أولي العزم، وصاحب شريعة التوراة.
2. حكى القرآن الكريم قصّة ولادته وإلقاء أمّه إيّاه في البحر، والتقاط آل فرعون له، وتربيته، إلى أنْ بلغ أشدّه واستوى.
3. خرج النبيّ موسى عليه السلام من أرض مصر، متوجّهاً إلى أرض مدين، بعد أنْ قضى على رجل ظالم من الأقباط، كان يهمّ بقتل رجل من بني إسرائيل.
4. عاد النبيّ موسى عليه السلام إلى أرض مصر، بعد أنْ أرسله الله تعالى إليها مع أخيه هارون عليه السلام؛ لدعوة فرعون وقومه إلى رسالته التوراة، وأتاهم من البيّنات والمعاجز المصدّقة له، ولكنّهم كفروا بدعوته، وتحدّوه بسَحَرتهم، فنصره الله تعالى عليهم، ولحقهم -بسبب كفرهم- البلاءُ. ولمّا رفعه الله تعالى عنهم، قرّروا قتل موسى عليه السلام ومن معه، فأوحى الله تعالى إليه بالخروج ببني إسرائيل من أرض مصر إلى سيناء، فلحقه فرعون وقومه، وغرقوا في البحر، بعد أنْ شقّ الله تعالى له البحر، وجاوزه ومن آمن معه، وأهلك فرعون وجنوده.

فكّر وأجب

1. ما مجرياتُ ولادة النبيّ موسى عليه السلام ونشأته وفق ما ذكره القرآن الكريم؟
2. تكلّم عن هجرة النبيّ موسى عليه السلام من مصر إلى مدين.
3. ما المعاجزُ التي أجراها الله تعالى على يدَي النبيّ موسى عليه السلام؟

مطالعة

أخبرنا الشيخ عليّ بن عبد الصمد، عن أبيه، حدثنا السيّد أبو البركات الخوزيّ، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن بابويه، عن أبيه، حدّثنا سعد بن عبد الله، حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى، حدّثنا أحمد بن أبي نصر البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه، قال: «**إنّ يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب؛ وهم ثمانون رجلاً، فقال: إنّ هؤلاء القبط سيظهرون عليكم، ويسومونكم سوء العذاب، إنّما ينجّيكم الله برجل من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه موسى بن عمران بن فاهث بن لاوي، غلام طوال، جعد الشعر، آدم اللون، فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمّي ابنه عمران، ويسمّي عمران ابنه موسى**».

فذكر أبان، عن أبي الحصين، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه أنه قال: «**ما خرج موسى حتّى خرج ثمانون كذّاباً من بني إسرائيل، كلّهم يدّعي أنّه موسى بن عمران، فبلغ فرعون أنّهم يرجفون به، ويطلبون هذا الغلام، فقال له كهنته وسحرته: إنّ هلاك دينك وقومك على يدَي هذا الغلام الذي يولد العام من بني إسرائيل، قال: فوضع القوابل على النساء، فلمّا رأى ذلك بنو إسرائيل، قالوا: تعالوا لا نقرب النساء، فقال عمران أبو موسى: آتوهن، فإنّ أمر الله واقع ولو كره المشركون. اللهمّ من تركه فإنّي لا أتركه. ووقع على أمّ موسى فحملت، فوُضع على أمّ موسى قابلة تحرسها، فإذا قامت قامت وإذا قعدت قعدت. قال: فلمّا حملته أمّه وقعت عليها المحبّة. وكذلك حجج الله على خلقه، فقالت لها القابلة: ما لك يا بنت، تصفرّين وتذوبين؟ فقالت: لا تلوميني، فإنّي إذا ولدت أُخذ ولدي فذُبح، قالت: فلا تحزني فإنّي سوف أكتم عليك، فلم تصدّقها، فلمّا أنْ ولدت، التفتت إليها وهي مقبلة، فقالت: ما شاء الله، فقالت: ألم أقل: إنّي سوف أكتم عليك! ثمّ حملته فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثمّ خرجت إلى الحرس وكانوا على الباب، فقالت: انصرفوا، فإنّما خرج دم مقطع، فانصرفوا، فأرضعته، فلمّا خافت عليه، أوحى الله إليها: اجعليه في تابوت، ثمّ أخرجيه ليلاً، فاطرحيه في نيل**

مصر، فوضعته في التابوت، ثمّ دفعته في اليمّ، فجعل يرجع إليها، وجعلت تدفعه في الغمر، وإنّ الريح ضربته، فانطلقت به، فلمّا رأته قد ذهب به الماء، فهمَّت أنْ تصيح، فربط الله على قلبها. وقد كانت الصالحة امرأة فرعون، وهي من بني إسرائيل، قالت: إنّها أيّام الربيع، فأخرجني، فاضرب لي قبّة على شاطئ البحر حتّى أتنزّه هذه الأيّام، فضرب لها قبّة على شطّ النيل، إذ أقبل التابوت يريدها، فقالت: هل ترون ما أرى على الماء؟ قالوا: إي والله يا سيّدتنا، إنّا لنرى شيئاً، فلمّا دنا منها ثارت إلى الماء فتناولته بيدها، وكاد الماء يغمرها حتّى صاحوا عليها، فجذبته، فأخرجته من الماء، فأخذته، فوضعته في حجرها، فإذا غلام أجمل الناس، فوقعت عليها له محبّة، وقالت: هذا ابني، فقالوا: إي والله يا سيّدتنا، ما لك ولد ولا للملك، فاتّخذي هذا ولداً، فقالت لفرعون: إنّي أصبت غلاماً طيّباً نتّخذه ولداً، فيكون قرّة عين لي ولك، ولا تقتله، قال: ومن أين هذا الغلام؟ قالت: ما أدري إلّا أنّ الماء جاء به، فلم تزل به حتّى رضي. . . »[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص151-152.

الدرس العاشر

النبيّ موسى عليه السلام (2)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصّة النبيّ موسى عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، منذ خروجه مع بني إسرائيل من مصر إلى آخر عمره الشريف.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيّ موسى عليه السلام في هذه المحطّات من دعوته.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من هذه المحطّات من قصّة النبيّ موسى عليه السلام .

هجرة النبيّ موسى عليه السلام إلى سيناء

بعد أن اجتاز النبيّ موسى عليه السلام مع بني إسرائيل البحرَ قاصدين سيناء، مرّوا على قوم يعبدون أصناماً لهم، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كآلهة هؤلاء القوم: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ﴾[1]، فانتهرهم موسى عليه السلام، ووبّخهم على جهلهم وكفرهم بأنعم الله تعالى عليهم: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[2]. ثمّ أصابهم الحرّ والجوع أثناء الطريق، فشكَوا ذلك إلى النبيّ موسى عليه السلام، فدعا الله تعالى لهم، فأظلّهم بالغمام، فوقاهم حرّ الشمس: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾[3]، وأنزل عليهم السلوى؛ وهو طائر برّيّ مشويّ طعمه لذيذ، والمنّ، وهو طعام صمغيّ ينبت على الشجر طعمه حلو: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4]، فأكلوا وشبعوا.

ولمّا وصلوا إلى ساحل البحر الشرقيّ، ونزلوا به، طلبوا من موسى عليه السلام السقاية، فدعا الله تعالى لهم، فأمره تعالى أنْ يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت اثنتا عشرة عيناً، بعدد

---

(1) سورة الأعراف، الآية 138.

(2) سورة الأعراف، الآيات 138-141.

(3) سورة البقرة، الآية 57.

(4) سورة البقرة، الآية 57.

فروع بني إسرائيل من أبناء يعقوب عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1]، فشربوا واستقوا. وبعد أن حطّ بنو إسرائيل رحالهم في هذه المنطقة، وتأمّنت لهم البيئة الاجتماعيّة الآمنة، أمر الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام بالذهاب إلى ميقاته؛ لتلقّي شريعة التوراة: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2]، فلمّا أخبرهم بأنّ الله تعالى قرّبه وناجاه: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾[3]، قالوا له لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه تعالى كما سمعته[4]. وقد اختار موسى عليه السلام سبعين رجلاً من قومه وأخذهم معه إلى ميقات ربّه؛ ليشهدوا تلقّيه التوراة: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ﴾[5]، وكان الميقات ثلاثين ليلة، ثمّ أُتمّ إلى أربعين ليلة: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ﴾[6]. ولمّا كلّم الله تعالى موسى عليه السلام، وأوحى إليه التوراة، شكّكوا في ذلك، وطلبوا منه أمراً ممتنعاً ومحالاً، وهو رؤية الله عياناً؛ لتصديقه في ما أُوحي إليه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[7]، فأصابتهم صاعقة أرجفتهم، فخرّوا صرعى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[8]، ثمّ سأل موسى عليه السلام ربّه أنْ يعيد إحياء مَنْ هلك من قومه: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى

(1) سورة البقرة، الآية 60.
(2) سورة البقرة، الآية 53.
(3) سورة مريم، الآية 52.
(4) انظر: الصدوق، الشيخ محمد بن علي، التوحيد، تصحيح وتعليق هاشم الحسيني الطهراني، لا ط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، لا ت، ص122.
(5) سورة الأعراف، الآية 155.
(6) سورة الأعراف، الآية 142.
(7) سورة البقرة، الآية 55.
(8) سورة البقرة، الآية 55.

مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾[1]، فاستجاب الله تعالى له: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[2]. وبعد أنْ أحياهم الله تعالى، عادوا إلى جهلهم، وسألوا موسى عليه السلام أن يتوجّه إلى ربّه بسؤاله الرؤية لنفس. ومع إيقانه عليه السلام باستحالة رؤيته تعالى وفق ما يريدون[3]، توجّه إليه تعالى بالسؤال؛ لإتمام الحجّة عليهم، فأجابه الله تعالى بالنفي، وأعطاه علامة على عدم تحمّل ذلك، واستحالته باندكاك الجبل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾[4]، فلمّا تجلّى الله تعالى بارتفاع بعض حُجُب العوالم العلويّة، اندكّ الجبل، وخرّ موسى عليه السلام مغشيّاً عليه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾[5]، فلمّا أفاق عاين بعين اليقين، بعد أنْ كان عالماً بعلم اليقين استحالة رؤيته تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[6]، فاصطفاه الله تعالى برسالته، وأنزل عليه شريعة التوراة: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾[7]. وكان موسى عليه السلام قد استخلف أخاه هارون عليه السلام في بني إسرائيل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[8]، فلمّا ذهب إلى الميقات الذي طال غيابه فيه أربعين ليلة، قام السامريّ بصنع عجل من ذهب، وجعل له خواراً، فافتُتن به بنو إسرائيل، وعبدوه من دون الله تعالى: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ

(1) سورة الأعراف، الآية 155.
(2) سورة البقرة، الآية 56.
(3) انظر: الشيخ الصدوق، التوحيد، مصدر سابق، ص121-122.
(4) سورة الأعراف، الآية 143.
(5) سورة الأعراف، الآية 143.
(6) سورة الأعراف، الآية 143.
(7) سورة الأعراف، الآيتان 144-145.
(8) سورة الأعراف، الآية 142.

تَشۡكُرُونَ﴾[1]، ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[2]، ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾[3]. وحاول هارون عليه السلام ردعهم عن فعلتهم، وبالغ في تنبيههم على خطورة ما قاموا به من كفر، ولكنّهم لم يطيعوا أوامره: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾[4]. وقد أوحى الله تعالى لموسى عليه السلام ارتداد قومه وعبادتهم العجل، فرجع موسى عليه السلام سابقاً في سيره لمن كان معه من بني إسرائيل في الميقات: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[5]، متوجّهاً إلى قومه، غضبانَ ساخطاً عليهم: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾[6]، ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾[7]، فأجابوه بأنّهم افتتنوا بما صنع لهم السامريّ من الذهب الذي حملوه معهم من أرض مصر: ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٧ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾[8]، ثمّ عاتب أخاه هارون عليه السلام على عدم اتّخاذه الموقف الحاسم من ارتدادهم: ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ

(1) سورة البقرة، الآيتان 51-52.
(2) سورة البقرة، الآية 93.
(3) سورة الأعراف، الآية 148.
(4) سورة طه، الآيتان 90-91.
(5) سورة طه، الآيات 83-85.
(6) سورة الأعراف، الآية 150.
(7) سورة طه، الآية 86.
(8) سورة طه، الآيات 87-89.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾[1]، فأجابه هارون عليه السلام بأنّه بذل جهده في نصحهم ومنعهم من فعلتهم، حتّى همّوا يريدون قتله لإنكاره ذلك عليهم، وخشي أن تقع الفرقة بين بني إسرائيل: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝٩٣ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾[3]، فقبل موسى عليه السلام عذره، ودعا له: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[4]، ثمّ سأل موسى عليه السلام السامريَّ عن عمله الشيطانيّ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾[5]، فأجابه بأنّه قد سوّلت له نفسه ذلك، وافتتن به: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾[6]، فقضى عليه بالطرد والإبعاد عن المجتمع: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ﴾[7]، وبحرق العجل وذرْيه في البحر: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[8]. ولمّا وقف الذين عبدوا العجل عند ظلمهم، ندموا على فعلتهم، وتوجّهوا إلى الله تعالى بطلب العفو والمغفرة: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[9]، فقضى الله تعالى فيهم القتل شرطاً لقبوله توبتهم، فكان كلّ رجل لم يعبد العجل يتولّى قتل رجلٍ ممّن عبدوا العجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ

(1) سورة الأعراف، الآية 150.
(2) سورة الأعراف، الآية 150.
(3) سورة طه، الآيات 92-94.
(4) سورة الأعراف، الآية 151.
(5) سورة طه، الآية 95.
(6) سورة طه، الآية 96.
(7) سورة طه، الآية 97.
(8) سورة طه، الآية 97.
(9) سورة الأعراف، الآية 149.

ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾[1]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].وبعد أنْ قُتلَ جمع منهم، عفا الله تعالى عن الباقين: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]. ثمّ أمر الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام بتلاوة التوراة عليهم، وإيضاحها لهم، وحثّهم على الالتزام والعمل بما ورد فيها من تعاليم وأحكام: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[4]، ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[5]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[6]، ورفع فوقهم الجبل؛ تقوية لإيمانهم، وتثبيتاً له، ودفعاً لهم إلى الأخذ بالتوراة بقوّة واجتهاد: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[7]، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ

(1) سورة الأعراف، الآية 152.
(2) سورة البقرة، الآية 54.
(3) سورة الأعراف، الآية 153.
(4) سورة الأعراف، الآية 154.
(5) سورة الأعراف، الآيتان 145-146.
(6) سورة المائدة، الآيتان 44-45.
(7) سورة البقرة، الآية 63.

وَٱسۡمَعُواْۖ﴾[1]، ولكنّهم سرعان ما نبذوا العهد المأخوذ عليهم: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ﴾[2]، ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾[3]، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[4]، ثمّ عفا الله تعالى عنهم بفضله ومنّه، ولم يأخذهم بألوان العذاب: ﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[5].

وحكى القرآن الكريم قصّة القتيل من بني إسرائيل، وكان قد قتله أحد أقربائه ليرثه، ودارَ الاتّهام والتدافع في دمه بين بني إسرائيل، وكادت الأمور تذهب إلى الاقتتال في ما بينهم: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾[6]، ولكنّهم ذهبوا إلى موسى عليه السلام، وحكّموه في القضيّة[7]، فطلب منهم أن يذبحوا بقرة: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾[8]، ولكنّهم استبطأوا في تنفيذ الأمر لجاجاً وعناداً، وراحوا يصعّبون المهمّة على أنفسهم بتضييق الخيارات، حتّى أوقعوا أنفسهم في خيار صعب ومُكْلِف، وهو أن يذبحوا بقرة ليست بكبيرة مسنّة ولا صغيرة، وأن تكون صفراء شديدة الصفرة، ليس فيها لون آخر غير الصفرة، وأن لا تكون مستهلكة في حرث الأرض والسقاية، وأن تكون مُبرّأة من العيوب: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ

---

(1) سورة البقرة، الآية 93.
(2) سورة البقرة، الآية 64.
(3) سورة البقرة، الآية 93.
(4) سورة الأعراف، الآية 146.
(5) سورة البقرة، الآية 64.
(6) سورة البقرة، الآية 72.
(7) القمّيّ، علي بن إبراهيم، تفسير القمّيّ، ط3، تصحيح وتعليق وتقديم طيب الموسويّ الجزائري، قمّ المقدّسة، مؤسّسة دار الكتاب، 1404هـ.ق، ج1، ص49.
(8) سورة البقرة، الآية 67.

إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1]. ولمّا ذبحوها، أمرهم موسى عليه السلام أن يضربوا بعض البقرة ببعض القتيل، فلمّا فعلوا عادت الحياة إلى القتيل، فأخبرهم بمن قتله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

العزم على الهجرة إلى الأرض المقدّسة فلسطين

بعد أن وصل موسى عليه السلام مع بني إسرائيل إلى مشارف الأرض المقدّسة في فلسطين، أخذ يذكّرهم بأنعُم الله تعالى عليهم؛ ليحثّهم على شكرها عمليًّا بتنفيذ أوامره، ودخولهم الأرض المقدّسة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾[3]، ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[4]، ولكنّهم تحجّجوا بأنّهم ضعاف لا قدرة لهم على قتال جبّاريها: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[5]، وبرز منهم قلّة يحضّون القوم على الجهاد وامتثال الأمر الإلهيّ بالدخول: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[6]، ولكنّهم لم يكترثوا إليهم، وأبدوا انهزاميّة في الموقف، وأجابوا النبيّ موسى عليه السلام بصلافة ووقاحة بأنّهم لن يدخلوها ما دام الجبّارون فيها، فإذا

(1) سورة البقرة، الآيات 67-71.
(2) سورة البقرة، الآية 73.
(3) سورة المائدة، الآيتان 20-21.
(4) سورة طه، الآيات 80-82.
(5) سورة المائدة، الآية 22.
(6) سورة المائدة، الآية 23.

كان لا بدّ من الدخول، فليدعُ الله تعالى بأنْ يدفع عنه أذى الجبّارين وليدخلها: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[1].

وكانوا قد طلبوا من موسى عليه السلام أنْ يدعو الله تعالى بأن ينزّل عليهم شيئاً ممّا تنبته الأرض من البقوليّات والخُضَر والحبوب من القمح والعدس، بدلاً من المنّ والسلوى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾[2]، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير بجهلهم وظلمهم لأنفسهم: ﴿قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾[3]، فأشار إليهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدّسة، ففيها ما سألوه من الأطعمة، وزيادة لهم في الرزق، ومغفرة من الله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾[4]، ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[5]، ولكنّهم رفضوا: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾[6]، فدعا موسى عليه السلام ربّه شاكياً عصيان قومه له: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[7]، فلحقهم بعدها ذلّ وهوان، ورجعوا بغضب من الله تعالى عليهم: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[8]، ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[9]، وحرّم الله تعالى عليهم دخول الأرض المقدّسة أربعين سنة، يتيهون في أرض سيناء، لا

---

(1) سورة المائدة، الآية 24.
(2) سورة البقرة، الآية 61.
(3) سورة البقرة، الآية 61.
(4) سورة البقرة، الآية 61.
(5) سورة البقرة، الآية 58.
(6) سورة البقرة، الآية 59.
(7) سورة المائدة، الآية 25.
(8) سورة البقرة، الآية 61.
(9) سورة البقرة، الآية 59.

يهتدون سبيلاً: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[1].

لقاء النبيّ موسى عليه السلام بالعبد الصالح عليه السلام

حكى القرآن الكريم قصّة لقاء النبيّ موسى عليه السلام بالعبد الصالح (وهو الخضر عليه السلام)، ولم يُشِرْ إلى الفترة الزمنيّة (ولعلّها فترة مكوث بني إسرائيل في منطقة سيناء بعد خروجهم من مصر)، حيث أوحى الله تعالى إلى نبيّه موسى عليه السلام أن اذهب إلى عبدٍ من عبادي، واتّبعه، وتعلّم منه علماً اختصصتُه به[2]، فامتثل موسى عليه السلام لأمر الله تعالى، وأخذ معه فتاه (وهو وصيّه النبيّ يوشع بن نون عليه السلام)[3]، فقصدا مجمع البحرين (ولعلّ المراد بهما البحر المتوسّط والبحر الحمر عند قناة السويس الجامعة بينهما والقريبة من موطن بني إسرائيل في منطقة سيناء) للقاء العبد الصالح، عند علامة حدّدها الله تعالى له، وهي فقدانه للسمكة الكبيرة التي يحملانها طعاماً في سفرهما، فعندها سيجدان العبد الصالح. فلمّا سارا كثيراً، وشعرا بالتعب، استراحا عند صخرة على البحر، فنام موسى عليه السلام، وبقي فتاه مستيقظاً، فما كان من السمكة الكبيرة إلّا أنْ تحرّكت وغارت في البحر، وفتى موسى ينظر إلى المشهد متعجّباً ممّا يجري: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾[4]. ولمّا أفاق موسى عليه السلام، أكملا رحلتهما، فلمّا شعرا بالجوع، طلب موسى عليه السلام من فتاه الإتيان بالسمكة ليأكلاها: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾[5]، فأخبره بأنّها ذهبت في البحر عندما كانا يستريحان عند الصخرة، وقد أنساه الشيطان أن يخبره: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ

(1) سورة المائدة، الآية 26.
(2) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، مصدر سابق، ج1، ص59-60.
(3) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج6، ص362.
(4) سورة الكهف، الآية 60-61.
(5) سورة الكهف، الآية 62.

﴿ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾[1]، فرجعا فوراً إلى مكان الصخرة، فوجدا العبد الصالح: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾[2]، فطلب منه موسى عليه السلام أن يرافقه ويعلمه ممّا علّمه الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾[3]، فأجابه بأنّه لا يستطيع أن يصبر على ما يواجهه من أحداث أثناء مرافقته له؛ لعدم علمه بتأويلها وحقيقتها: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾[4]، ثمّ وافق العبد الصالح على مرافقته وتعليمه، واشترط عليه أنْ لا يُحدِّثه طيلة مرافقته إيّاه، ولا ينكر عليه فعلاً ولا قولاً، إلى أن يبادر هو بكشف حقيقته له: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾[5]، فأجابه موسى عليه السلام بأنّه سيحاول أنْ يصبر ولا ينكر عليه أمراً: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾[6]. فلمّا سارا، اختبره العبد الصالح بالاختبار الأوّل، حيث قام بخرق سفينة: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ﴾[7]، فأنكر عليه موسى عليه السلام هذا الفعل: ﴿قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾[8]، فأجابه العبد الصالح مذكّراً إيّاه بما اخبره به من عدم صبره على ما يواجهه من أحداث: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾[9]، فاعتذر موسى عليه السلام منه: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾[10].ثمّ جاء الاختبار الثاني، فقام العبد الصالح

(1) سورة الكهف، الآية 63.
(2) سورة الكهف، الآيتان 64-65.
(3) سورة الكهف، الآية 66.
(4) سورة الكهف، الآيتان 67-68.
(5) سورة الكهف، الآية 70.
(6) سورة الكهف، الآية 69.
(7) سورة الكهف، الآية 71.
(8) سورة الكهف، الآية 71.
(9) سورة الكهف، الآية 72.
(10) سورة الكهف، الآية 73.

بقتل غلام: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾[1]، فأنكر عليه موسى عليه السلام ذلك: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾[2]، فذكّره العبد الصالح بما أخبره به سابقاً من عدم صبره: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾[3]، فاعتذر موسى عليه السلام ثانية منه طالباً منه عدم مصاحبته إنْ سأله عن شيء بعد ذلك: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾[4]، ثمّ جاء الاختبار الثالث، فقام العبد الصالح ببناء حائط آيل إلى سقوط والهدم: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ﴾[5]، فأنكر عليه موسى عليه السلام ذلك: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[6]، فطلب العبد الصالح مفارقته له: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ﴾[7]، ولكنّه قَبْلَ أن يفارقه، أنبأه بحقيقة ما قام به من أفعال لم يصبر عليها: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[8]، فأمّا خرق السفينة فكان ضمان عدم أخذ الملك لها، حيث كانت لمساكين يعملون في البحر، وكان الملك يأخذ كلّ سفينة سليمة غصباً من أصحابها: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[9]، وأمّا الغلام الذي قتله، فقد كان أبواه مؤمنين، وكان ولدهما غير صالح، فأراد الله تعالى أن يجنّبهما سوء أعماله، ويبدلهما خيراً منه: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[10]، وأمّا

(1) سورة الكهف، الآية 74.
(2) سورة الكهف، الآية 74.
(3) سورة الكهف، الآية 75.
(4) سورة الكهف، الآية 76.
(5) سورة الكهف، الآية 77.
(6) سورة الكهف، الآية 77.
(7) سورة الكهف، الآية 78.
(8) سورة الكهف، الآية 78.
(9) سورة الكهف، الآية 79.
(10) سورة الكهف، الآيتان 80-81.

الحائط، فكان لغلامين يتيمين، وكان أبوهما صالحاً، قد ترك لهما كنز تحته، فأراد الله تعالى أنْ يكبرا ويستخرجا كنزهما: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[1]. ثمّ أبلغه أنّ ما فعله من أفعال لم يكن عن أمره، بل كان عن أمر الله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2].

سيرة النبيّ موسى عليه السلام التبليغيّة

اصطفى الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام بالرسالة: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3]، وأرسله بشريعة التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[4]، وهو أحد الأنبياء أولي العزم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[5]. ومن خصائص شريعته أنّها هدى ونور: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[6]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[7]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[8]، وأنّها تتضمّن بياناً ووعظاً وتفصيلاً للعقائد والقيم والتشريعات: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ

(1) سورة الكهف، الآية 82.
(2) سورة الكهف، الآية 82.
(3) سورة الأعراف، الآية 144.
(4) سورة الأعراف، الآيتان 145-154.
(5) سورة الشورى، الآية 13.
(6) سورة البقرة، الآية 53.
(7) سورة المائدة، الآية 44.
(8) سورة غافر، الآيتان 53-54.

فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[1]، ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]، ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[3]، وأنّها تشهد على الشرائع اللاحقة، ولا سيّما الشريعة الخاتمة ورسولها الخاتم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[4].

وقد واجه النبيّ موسى عليه السلام في دعوته ثلاثيّ الكفر والجحود، وهم: فرعون ممثّلاً لتسلّط الحكم وبطشه، وهامان لخداع السياسة وتحكّمها برقاب الناس، وقارون لاحتكار المال والاقتصاد، فكذّبوه وكالوا له صنوف التهم الباطلة والزائفة؛ ليصدّوا الناس عن دعوته، ولمّا يئسوا من ذلك، همّوا بقتله ومن آمن معه، فأنجاه الله تعالى منهم، وأظهر الحقّ وأهله، وأدحض الباطل وأهله، وردّ كيدهم، وعذّبهم في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾[5]، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾[6]، ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ

(1) سورة الأعراف، الآية 145.
(2) سورة المائدة، الآية 45.
(3) سورة آل عمران، الآية 93.
(4) سورة الأعراف، الآية 157.
(5) سورة غافر، الآيات 23-25.
(6) سورة القصص، الآيتان 5-6.

﴿إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ٧٦ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[1].

دروس وعبر من قصّة النبيّ موسى عليه السلام

بعد التأمّل في قصّة النبيّ موسى عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-على الإنسان أن يشكر الله تعالى على إنجائه من البلاء، وعفوه عن ظلمه وجهله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ٥٠ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ٥١ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

-على الإنسان أن يتذكّر نعم الله تعالى عليه، ويؤدّي حقّها بالشكر له: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

-على الإنسان أن يقنع بما رزقه الله تعالى، ولا يكفر بنعمته: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾.

(1) سورة القصص، الآيات 76-81.

-الإنسان الجاهل هو الذي يتسرّع بالحكم على الأشياء: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

-الإنسان الجاهل المعاند يصعّب على نفسه الأمور: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ ٦٨ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ ٦٩ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ٧٠﴾.

-الإتيان بمعاجز بيّنات على أيدي الرسل عليهم السلام هو من السنن الإلهيّة في إرسالهم إلى أقوامهم: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

-في الإتيان بالآيات البيّنات تثبيتٌ وتقوية لإيمان المؤمنين: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

-في الإتيان بالآيات البيّنات إلقاءُ حجّة على الجاحدين المنكرين: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

-من السنن الجارية في دعوات الرسل الإلهيّين عليهم السلام مواجهة أكابر القوم لهم، والتحريض على قتلهم ونفيهم: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾.

-استراتيجيّة تحويل التهديد إلى فرصة في الدعوة إلى الله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.

-استسلام الأمّة للذلّ والاستبداد طويلاً، يصيّرها خاضعة مستعبَدة، لا تستسيغ إرادة التغيير والثورة: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾.

-ضعف الإيمان، والخوف والجبن، وعدم إطاعة الأوامر الإلهيّة، تعرّض الإنسان للخسران والهلاك: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

-بعض الابتلاءات طريق لنيل الكرامات: ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.

-المؤمن المُوقن لا يخاف ولا يتراجع عن إيمانه أمام البلاء: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾، ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾، ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

-الصبر والاستعانة بالله عامل له الأثر البالغ في تجاوز المحن والابتلاءات والفوز بالمواهب الإلهيّة: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾، ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾.

-من دوافع الابتلاء التأديبُ والإيقاظ من الغفلة: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾.

-الجهل وضعف الإيمان يُسقطان الإنسان عند الابتلاءات: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾، ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

-سوء فهم الإنسان، وقصر نظره يجعلانه يلقي باللوم على الآخرين في بلواه: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

-الاسترسال في العناد والكفر يخمد صوت العقل والمنطق في الإنسان: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

-تكرّر الغفلة يعمي القلب، ويدفع الإنسان نحو الهلاك: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾.

-وقوع البداء في الأشياء: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾.

-تلقّي مسؤوليّة الدعوة والقيامَ بواجباتها، يحتاج إلى تهيئة الاستعدادات والقابليّات: ﴿١٤٢ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

-التقليد الأعمى للآباء يصدّ الإنسان عن رؤية الحقّ: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾.

-التوبة عن خوف دون إيمان غير مقبولة: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

-على طالب العلم أن لا ييأس ولا يملّ في طريق طلب العلم والمعرفة: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾.

-على طالب العلم أن يتواضع في ما اكتسبه من علم، ويسعى لطلب المزيد من أهله: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾.

-على طالب العلم أن لا يجزم في أمر مستقبليّ خافٍ عنه: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾.

-على طالب العلم الصبر على التعلّم: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤ ۞قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ

إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾.

-على المعلّم أن يبيّن لطلابه بيانا مفصَّلاً في ما يعلّمهم، ووجهَ الحكمة في ما يؤدّي إليهم: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾.

-إزالة العقبات من أمام الدعوة عاملٌ مهمّ في نجاح تبليغها: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

-الله تعالى يعتني بأوليائه، ويتعهّدهم بالرعاية والحفظ: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾.

-الإنسان الموقن لا يخشى تهديد الكافرين، ولا مكرهم وبطشهم: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾.

-على الإنسان أن تصدر أقواله وأفعاله عن بصيرة ورؤية للواقع، واستشراف للمستقبل لتفادي الخسائر: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

-الحياء قيمة فطريّة تصون المجتمعات من الانحراف: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾.

-الحياء لا يمنع من طلب حلال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾.

-الاستكبار وحبّ النفس يدفعان الإنسان لادّعاء الربوبيّة لنفسه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

-المستكبرون والمتجبّرون يتسلّطون على رقاب الناس باستخفاف عقولهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾، ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

-الله تعالى للكافرين بالمرصاد: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. خرج النبيّ موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى سيناء، وهيّأ لهم البيئة المناسبة لتلقّي دعوته، والعمل بها، والتخلّص من رواسب الشرك والوثنيّة.
2. أجرى الله تعالى على يدَي نبيّه موسى عليه السلام معاجز عدّة لبني إسرائيل، كإنزال المنّ والسلوى، وشقّ اثني عشر نبعاً لهم بعدد أسباطهم، وإحياء الميت في قصّة البقرة.
3. واجه النبيّ موسى عليه السلام تحجّراً وصلافة وعصياناً من بني إسرائيل، فحرّم الله تعالى عليهم دخول الأرض المقدّسة، وتاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة.
4. لقي النبيُّ موسى عليه السلام العبدَ الصالح عليه السلام، ورافقه للتعلّم منه ممّا آتاه الله تعالى من العلم.

فكّر وأجب

1. ما المعاجزُ التي أجراها الله تعالى على يدَي نبيّه موسى عليه السلام في صحراء سيناء؟
2. ما قصّة البقرة؟ وما علاقتها بالقتيل من بني إسرائيل؟
3. بيّن أحداثَ لقاء النبيّ موسى عليه السلام بالعبد الصالح عليه السلام.

مطالعة

عن ابن بابويه، حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، عن الحسين بن إسحاق التاجر، عن عليّ بن مهزيار، وعن الحسين بن سعيد، عن عثمان بن عيسى، عن ابن مسكان، عن منذر، عن أبي جعفر صلوات الله قال: «**لمّا لقي موسى العالمَ** عليه السلام، **وكلّمه وسأله، نظر إلى خطّاف يصفرّ ويرتفع في الماء ويسفل في البحر، فقال العالم لموسى: أتدري ما تقول هذه الخطّافة؟ قال: وما تقول؟ قال، تقول: وربّ السماوات والأرض، وربّ البحر، ما علمكما من علم الله، إلّا قدر ما أخذت بمنقاري من هذا البحر وأكثر. ولمّا فارقه موسى، قال له موسى: أوصني، فقال الخضر: الزم ما لا يضرّك معه شيء، كما لا ينفعك من غيره شيء، وإيّاك واللجاجة، والمشي إلى غير حاجة، والضحك في غير تعجّب. يا بنَ عمران لا تعيِّرَنَّ أحداً بخطيئة، وابكِ على خطيئتك**»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص160.

الدرس الحادي عشر

النبيّ يوشع عليه السلام
النبيّ إسماعيل عليه السلام
النبيّ إشموئيل عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصص الأنبياء يوشع عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وإشموئيل عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للأنبياء يوشع عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وإشموئيل عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصص الأنبياء يوشع عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وإشموئيل عليه السلام.

قصّة النبيّ يوشع بن نون عليه السلام

هو يوشع بن نون بن أفراثيم (أفرائيم) بن يوسف بن يعقوب[1]، وهو وصيّ النبيّ موسى عليه السلام[2]. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في سياق حكاية قصّة النبيّ موسى عليه السلام مع العبد الصالح عليه السلام، وفي مورد حثّ النبيّ موسى عليه السلام قومَه على دخول أرض فلسطين. والموردان هما:

-﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[3].

-﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4].

-تقدّم ذِكْر ما حصل في رحلة يوشع بن نون عليه السلام مع النبيّ موسى عليه السلام، للقاء العبد الصالح عليه السلام. وذكر القرآن الكريم أنّ يوشع بن نون عليه السلام مع رجل آخر[5] حثّا

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج6، ص362.
(2) العياشيّ، تفسير العياشيّ، مصدر سابق، ج2، ص330.
(3) سورة الكهف، الآيات 60-65.
(4) سورة المائدة، الآية 23.
(5) الشيخ الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج3، ص486.

قوم النبيّ موسى عليه السلام على دخول أرض فلسطين: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]. وقد استخلفه النبيّ موسى عليه السلام من بعده في بني إسرائيل، وهو الذي دخل بهم إلى الأرض المقدّسة[2] بعدما تاهوا في أرض سيناء أربعين سنة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3].

دروس وعبر من قصّة النبيّ يوشع بن نون عليه السلام

بعد التأمّل في قصّة النبيّ يوشع بن نون عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، يمكن استخلاص جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-الصحبة في الله تورث المُصَاحب أخلاقيّات صاحبه وشمائله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

-الصحبة تجعل المتصاحبين يعيشون وحدة الهمّ والمسؤوليّة: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

-المؤمن المُوقن يخاف الله تعالى، ويخشاه خشية استعظام: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾.

-المؤمن المُوقن بدعوة الحقّ لا يخاف القتل في سبيل الله، ولا يهاب النوازل: ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ﴾.

-المؤمن المُوقن حَسَنُ الظنّ بالله، ويتوكّل عليه في كلّ أمر: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

(1) سورة المائدة، الآية 23.
(2) الشيخ الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج3، ص491؛ ج4، ص515.
(3) سورة المائدة، الآية 26.

قصّة النبيّ إسماعيل بن حزقيل عليه السلام

هو إسماعيل بن حزقيل[1]، عليه السلام بن بوذى، وهو من أنبياء بني إسرائيل. وقد ورد ذِكْره في القرآن الكريم في هذا الموضع؛ وهو قوله تعالى:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾[2].

لم يتعرّض القرآن لذِكْر تفاصيل حياة النبيّ إسماعيل بن حزقيل[3] عليه السلام، وحكى اصطفاء الله تعالى له للنبوّة والرسالة: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[4]، وارتضاءه له: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾[5]، وثناءه عليه؛ لصدقه ووفائه بوعده[6]: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾[7]، وأمره قومه وعشيرته وعترته بالصلاة والزكاة: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾[8].

قصّة النبيّ إشموئيل عليه السلام

هو إشموئيل (أي إسماعيل بالعربيّة). وقيل: اسمه شمعون بن صفية، وهو من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام، وهو من أنبياء بني إسرائيل. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في موضع واحد، وهو:

---

(1) النبيّ حزقيل عليه السلام هو ثالث أوصياء النبيّ موسى عليه السلام من بعده في بني إسرائيل. ويُقال له -أيضاً- حزقيل بن العجوز، نسبة إلى أمّه التي كانت عجوزا، فدعت الله تعالى بأنْ يرزقها ولدا، فرزقها بحزقيل. وقيل: هو الذي أحيا الله تعالى على يديه الألوف الذين أماتهم الله تعالى من بني إسرائيل. وحكى القرآن الكريم قصّتهم: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية 243). (راجع: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج2، ص133؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج2، ص248).

(2) سورة مريم، الآيتان 54-55.

(3) ورد في الروايات أنّ الله تعالى أرسله إلى قومه من بني إسرائيل، فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فخيّره الله فيما شاء من عذابهم، فاستعفاه، ورضي بثوابه، وفوّض أمرهم إلى الله تعالى في عفوه، وتأسّى بما سيجري على الإمام الحسين عليه السلام. (انظر: الشيخ الصدوق، علل الشرائع، مصدر سابق، ج1، ص78؛ الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج6، ص429).

(4) سورة مريم، الآية 54.

(5) سورة مريم، الآية 55.

(6) ورد في الروايات أنّه واعد رجلاً للقياه، فانتظره في مكانه حتى مرّ عليه الحول، وهو ينتظره. (انظر: القمي، تفسير القمي، مصدر سابق، ج2، ص51؛ الشيخ الصدوق، علل الشرائع، مصدر سابق، ج1، ص77).

(7) سورة مريم، الآية 54.

(8) سورة مريم، الآية 55.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

كانت النبوّة في بني إسرائيل من بعد النبيّ يوشع بن نون عليه السلام، وصيّ النبيّ موسى عليه السلام، في بيت من بيوتهم، والملك والسلطان في بيت آخر، ولم يجمع الله لهم الملك والنبوّة من بعده في بيت واحد، فكانت النبوّة في ولد لاوي، والملك في ولد يوسف[2]. ولمّا بعث الله تعالى إليهم النبيَّ إشموئيل عليه السلام، سألوه أن يبعث الله تعالى عليهم ملكاً يقاتلون معه لرفع الظلم والقهر عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ﴾[3]، فأجابهم إلى ذلك، مستشرفاً حالهم في التقاعس عن القتال: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، فما كان منهم إلّا إن أنكروا تقاعسهم؛ معلّلين ذلك بما هم عليه من مبرّرات اندفاعهم إلى القتال لرفع الظلم عنهم: ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ﴾[5]، ولمّا أخبرهم نبيّهم بأنّ الله تعالى ارتضى لهم طالوت مَلِكاً عليهم، وكان من ولد بنيامين

(1) سورة البقرة، الآيات 246-248.
(2) القميّ، تفسير القميّ، مصدر سابق، ج1، ص81.
(3) سورة البقرة، الآية 246.
(4) سورة البقرة، الآية 246.
(5) سورة البقرة، الآية 246.

أخي يوسف لأبيه وأمّه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[1]، ولمّا لم يكن ممّا عهدوه من بيت الملك وبيت النبوّة، أظهروا اعتراضهم على ذلك، وعمدوا إلى إثارة الشكوك في لياقته للملك، لجهة أنّه ليس من بيت النبوّة ولا بيت الملك، ولم يؤتَ سعة في المال، وبالتالي ليس وجيهاً عند بنيّ إسرائيل؛ وهذان شرطان ضروريان بنظرهم في اللياقة للملك: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾[2]، ولكنّ النبيّ إشموئيل عليه السلام أجابهم بأنّ الله تعالى أهلّه للملك؛ للياقته له بما آتاه من القوّة الجسميّة والقوّة العقليّة والفكريّة: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]، ولكنّهم مع ذلك أضمروا في أنفسهم رفضاً لملكه عليهم، وطلبوا من نبيّهم إعطاءهم آية على أحقّيّته بالملك، فأجابهم بأنّه سوف يأتيهم ومعه تابوت السكينة الذي فقده بنو إسرائيل، وتسلّط عليه عدوّهم، وكان هذا التابوت هو الذي وُضِع فيه موسى عليه السلام عندما ألقته أمّه في البحر، ويحوي مجموعة من مقتنيات ومختصّات النبوّة من موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام، وكان بنو إسرائيل يستبشرون به في حروبهم، فيضعونه أمامهم، فيهزمون عدوّهم، وقد فقدوه بفعل استخفافهم وإهمالهم له، فتسلّط عليه عدوّهم وأخذه منهم[4]: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5].

(1) سورة البقرة، الآية 247.
(2) سورة البقرة، الآية 247.
(3) سورة البقرة، الآية 247.
(4) القمّي، تفسير القمّي، مصدر سابق، ج1، ص81-82.
(5) سورة البقرة، الآية 248.

دروس وعبر من قصّة النبيّ إشموئيل عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ إشموئيل في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-المقاومة والوقوف في وجه الظلم والاستبداد مطلبٌ فطريّ يصدر عنه المظلوم بأدنى التفات إلى فطرته: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾.

-الفهم العميق للتجارب السابقة، والوعي والتبصّر في الواقع، يمكّنان الإنسان من استشراف الموقف المستقبليّ: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟... فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

-الملك والحكم وإدارة المجتمع تحتاج إلى شرطين أساسيّين؛ هما: القدرة الجسميّة، والقدرة العلميّة: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.

-النبوّة والملك جَعْلٌ إلهيّ مختصّ به وحده: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

-انصياع المجتمع لحكومة أصحاب المال والجاه سبب لتخلّفه ومذلّته: ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. كان النبيّ يوشع بن نون عليه السلام أوّل أوصياء النبيّ موسى عليه السلام من بعده في بني إسرائيل. وقد حكى القرآن الكريم قصّة مرافقته له في رحلته للقاء العبد الصالح عليه السلام. وهو الذي أدخل بني إسرائيل إلى أرض فلسطين بعد التيه أربعين سنة في صحراء سيناء.
2. أرسل الله تعالى نبيّه إسماعيل بن حزقيل عليه السلام إلى بني إسرائيل، وهو ثالث أوصياء النبيّ موسى عليه السلام من بعده فيهم. وقد أثنى القرآن الكريم عليه؛ لصدقه ووفائه بوعده، وأمرِه قومَه وعشيرته وعترته بالصلاة والزكاة.
3. أرسل الله تعالى نبيّه إشموئيل إلى بني إسرائيل، بعد الذلّ الذي أصابهم في أرض فلسطين، فطلبوا منه أن يدعو الله تعالى؛ ليرسل إليهم ملكاً يقاتلون معه لرفع الظلم عنهم، فأجابهم بأنّ الله تعالى اختار لهم طالوت، وجعل معه آية بأنْ يأتيهم بتابوت السكينة الذي فُقِدَ منهم، وكانوا يستبشرون به في حروبهم.

فكّر وأجب

1. ما قصّةُ النبيّ يوشع بن نون عليه السلام؟ وما الدروس والعِبَر المستفادة منها؟
2. ما قصّة النبيّ إسماعيل بن حزقيل عليه السلام؟ وما الدروس والعِبَر المستفادة منها؟
3. ما قصّة النبيّ إشموئيل عليه السلام؟ وما الدروس والعِبَر المستفادة منها؟

مطالعة

عن ابن بابويه، حدّثنا أحمد بن الحسن العطار، حدّثنا الحسن بن عليّ السكريّ، حدّثنا محمّد بن زكريا البصريّ، حدّثنا جعفر بن محمّد بن عمارة، عن أبيه، قال: قال الصادق عليه السلام: «**إنّ يُوشع بن نون قام بالأمر بعد موسى، صابراً من الطواغيت على اللأواء والضرّاء والجهد والبلاء، حتّى مضى منهم ثلاثة طواغيت، فقوي بعدهم أمره، فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى بصفراء امرأة موسى في مئة ألف رجل، فقاتلوا يُوشع، فغلبهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وهرب الباقون بإذن الله، وأسر صفراء، وقال: قد عفوت عنك في الدنيا إلى أنْ ألقى نبيّ الله موسى، فأشكو إليه ما لقيت منك، فقالت صفراء: واويلاه، والله لو أُبيحت لي الجنّة لاستحييت أنْ أرى رسول الله، وقد هتكت حجابه على وصيّه بعده**»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص179.

الدرس الثاني عشر

النبيّ داوود عليه السلام
النبيّ سليمان عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصص النبيَّين داوود عليه السلام وسليمان عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيَّين داوود عليه السلام وسليمان عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصص النبيَّين داوود عليه السلام وسليمان عليه السلام.

قصّة النبيّ داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ

هو داوود بن آسي، من وِلْد لاوي بن يعقوب[1] عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو من أنبياء بني إسرائيل.

ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[2]، منها: قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[3].

(1) انظر: القميّ، تفسير القميّ، مصدر سابق، ج1، ص82.

(2) انظر: سورة البقرة، الآية 251؛ سورة النساء، الآيتان 163، 165؛ سورة المائدة، الآية 78؛ سورة الأنعام، الآيات 84، 87، 89؛ سورة الإسراء، الآية 55؛ سورة الأنبياء، الآيات 78-80؛ سورة النمل، الآيتان 15-16؛ سورة سبأ، الآيتان 10-11؛ سورة ص، الآيات 17-26، 30. وقد أوردنا نصّ هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، النبيّ داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(3) سورة ص، الآيات 17-26، 30.

وبالتأمّل في هذه الآيات التي ورد فيها ذِكْر النبيّ داوود عليه السلام، يمكن استخلاص قصّته وفق التالي:

قتل داوود عليه السلام لجالوت

لمّا سار طالوت ببني إسرائيل لمواجهة الجبابرة من الكنعانيّين في أرض فلسطين: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، وكان داوود عليه السلام غلاماً صغيراً من بين هذه القلّة المؤمنة الممتحَنة من بني إسرائيل، دنا من جالوت، ورماه وجنده بمقلاعه بالحصى، فقضى عليه، وانهزم جنده[2]، فدفع الله تعالى بداوود الظلم والاستعباد عن بني إسرائيل: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

إيتاء داوود عليه السلام الملك والحكم والنبوّة

بعد أنْ قتل داوود جالوت، جمع الله تعالى لبني إسرائيل من جديد الملك والنبوّة، فجعلهما في داوود عليه السلام: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[4]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا

---

(1) سورة البقرة، الآيتان 249-250.
(2) انظر: القمّيّ، تفسير القمّيّ، مصدر سابق، ج1، ص82-83.
(3) سورة البقرة، الآية 251.
(4) سورة البقرة، الآية 251.

﴿لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[1]، ومكّن الله تعالى له ملكه فيهم: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾[2]، واستخلفه في الأرض: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[3]، وأثنى عليه، فعدّه من الأوّابين الدائمي الرجوع والانقطاع إلى الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[4]، ومن المحسنين: ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[5]، فقرّبه منه: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾[6]، وجعله على صراط مستقيم: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[7].

وقد لقي داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ من بعض قومه الذين كفروا عناداً وعصياناً، حتّى استوجبوا لعنه لهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[8].

إيتاء النبيّ داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ الزبور

كان داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ على شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد اختصّ الله تعالى نبيّه داوود بكتاب الزبور: ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[9]، وهو كتاب لا يشتمل على الأحكام والتشريعات، وفيه ذِكْر سنن إلهيّة، ومواعظ وزواجر، وأمور وحوادث مستقبليّة: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾[10].

---

(1) سورة الأنعام، الآيات 84، 87، 89.
(2) سورة ص، الآية 20.
(3) سورة ص، الآية 26.
(4) سورة ص، الآية 17.
(5) سورة الأنعام، الآية 84.
(6) سورة ص، الآية 25.
(7) سورة الأنعام، الآية 87.
(8) سورة المائدة، الآية 78.
(9) سورة الإسراء، الآية 55.
(10) سورة الأنبياء، الآيتان 105-106.

معاجز النبيّ داوود عليه السلام

منّ الله تعالى على نبيّه داوود بسعة العلم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، واختصّه بجملة من المعاجز، منها: تسخير الجبال والطير له، تسبّح معه للهَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾[2]، ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[3]، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[4]، وتليين الحديد له؛ لاستخدامه في صناعة الدروع الحربيّة الواسعة المتناسقة النسج والمناسبة لمواجهة الأعداء: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[5]، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[6].

قضاء النبيّ داوود عليه السلام بين الناس

أمر الله تعالى نبيّه داوود بالحكم بين الناس بالحقّ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[7]. وقد حكى القرآن الكريم قضاء داوود عليه السلام في قضيّتين، كانتا امتحاناً له من الله تعالى، الأولى: قضيّة التنازع في النعاج، وحقيقتها أنّ الله تعالى أرسل ملكين من الملائكة متمثّلين في رجلين[8]، فبينما النبيّ داوود عليه السلام جالساً في محرابه،

(1) سورة النمل، الآيتان 15-16.
(2) سورة سبأ، الآية 10.
(3) سورة الأنبياء، الآية 79.
(4) سورة ص، الآيات 17-19.
(5) سورة سبأ، الآيتان 10-11.
(6) سورة الأنبياء، الآية 80.
(7) سورة ص، الآية 26.
(8) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح وتعليق وتقديم حسين الأعلميّ، لا ط، بيروت، مؤسّسة العلميّ للمطبوعات، 1404هـ.ق/ 1984م، ج1، ص172.

إذ دخل عليه الرجلان، وقد تخطّيا سور قصره من دون أن يراهما أحد من حرّاسه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾[1]، فبادرا إلى طمأنته وطلبا منه الحكم في قضيّة يتنازعا فيها بالحقّ: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾[2]، فشرع أحدهما في تفصيل القضية بأسلوب يستثير العاطفة؛ بأنّه يملك نعجة واحدة، ويملك أخوه تسعاً وتسعين نعجة، فطلب منه أخوه أن يضمّ نعجته إلى نعاجه، وألحّ عليه في طلبه، حتّى غلبه في الجدال، وأخذها منه: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[3]، فانفعل النبيّ داوود عليه السلام بكلامه، وأصدر موقفاً أوّليّاً على فرض السؤال، من دون الرجوع إلى سؤال المدّعى عليه: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[4]. ولمّا صدر من داوود عليه السلام هذا الموقف الأوّلي قبل اختتام الدعوى، علم عندها أنّ الله تعالى امتحنه وابتلاه بها، فاستغفر الله تعالى على تسرّعه في الموقف منها قبل سؤال المدّعى عليه، ورجع إلى الله تعالى في أمره: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[5]، فتقبّله الله تعالى وقرّبه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[6].

والاختبار الثاني في قضيّة الحرث والغنم، حيث جاء رجلان متخاصمان يتقاضيان لديه، أحدهما صاحب زرع، والآخر صاحب غنم، فشكا صاحب الزرع ما حلّ بزرعه بفعل ما قامت به غنم الرجل الآخر: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ

(1) سورة ص، الآيتان 21-22.
(2) سورة ص، الآية 22.
(3) سورة ص، الآية 23.
(4) سورة ص، الآية 24.
(5) سورة ص، الآية 24.
(6) سورة ص، الآية 25.

﴿ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾[1]، فرأى داوود عليه السلام أن يأخذ صاحب الزرع غنم الآخر عوض زرعه التالف، ورأى ابنه سليمان عليه السلام أن يأخذ صاحب الزرع الغنم، وصاحب الغنم الأرض، فينتفع صاحب الزرع بالغنم، ويتعهّد الثاني الأرض حتّى ينبت الزرع من جديد، ثمّ يسترجع كلّ منهما ما له من الأرض والغنم[2]. وقد تناظرا في ذلك، ثمّ وافق النبيّ داوود عليه السلام على ما ذهب إليه ابنه سليمان عليه السلام؛ وهو ما أوحاه الله تعالى لسليمان[3] عليه السلام: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾[4].

وتجدر الإشارة إلى أنّ كلا الحُكْمَين الصادرَين هما حقّ[5]: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[6]، والفارق أنّ الثاني الذي حكم به سليمان عليه السلام فيه رفق ولين في التعويض للحرث التالف، مع بقاء كلّ من ملكيّة الغنم والأرض على الأصل، وانتقال منافعهما في فترة التعويض.

دروس وعبر من قصّة النبيّ داوود عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ داوود عليه السلام في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-النصر والهزيمة من عند الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

-التدافع بين الناس سنّة إلهيّة رادعة للفساد في الأرض: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

-المقاومة ودفع الفساد أمر فطريّ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية 78.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص301.
(3) الصدوق، محمّد بن عليّ، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، ط2، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1404هـ.ق، ج3، ص100-101.
(4) سورة الأنبياء، الآية 79.
(5) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص302.
(6) سورة الأنبياء، الآية 79.

-التفاضل بين الأنبياء والرسل عليهم السلام عند الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ﴾.

-الله تعالى يبتلي أنبياءه عليهم السلام ويمتحنهم: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾، ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

-وليُّ الله يسلّم للرأي الأصْوب الصادر عن غيره، ويُذعن له، وإنْ كان له رأيٌ صائبٌ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾.

-الله تعالى يجري المعاجز على أيدي أنبيائه عليهم السلام: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

قصّة النبيّ سليمان عليه السلام

هو سليمان بن داوود عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾، وهو من أنبياء بني إسرائيل.

ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[1]، منها: قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ

(1) سورة البقرة، الآية 102؛ سورة النساء، الآيتان 163، 165؛ سورة الأنعام، الآيات 84، 87، 89؛ سورة الأنبياء، الآيات 78-79، 81-82؛ سورة النمل، الآيات 15-44؛ سورة سبأ، الآيات 12-14؛ سورة ص، الآيات 30-40. وقد أوردنا نصّ هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ سليمان عليه السلام.

مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾[1].

وبالتأمّل في هذه الآيات التي ورد فيها ذِكْر النبيّ سليمان عليه السلام، يمكن استخلاص قصّته وفق التفصيل التالي:

نشأة النبيّ سليمان عليه السلام وترعرعه

نشأ النبيّ سليمان عليه السلام في بيت النبوّة والحكم، وترعرع في كنف أبيه النبيّ داوود عليه السلام، فتعهّده بالتربية والتعليم، حتّى بلغ مبلغاً يناظر فيه أباه عليه السلام في القضاء في الخصومات بين الناس. وقد تقدّم ذِكْر ذلك في قصّة النبيّ داوود عليه السلام: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ﴾[2].

وراثة النبيّ سليمان عليه السلام لأبيه عليه السلام

أثنى القرآن الكريم على النبيّ سليمان عليه السلام، فعدّه من الأوّابين، الدائمي الرجوع والانقطاع إلى الله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[3]، ومن المحسنين: ﴿وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4]، فقرّبه الله تعالى منه: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ﴾[5]، واصطفاه لوحيه: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[6]، وجعله على صراط مستقيم: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[7]، وآتاه الكتاب والحكم والنبوّة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ

(1) سورة سبأ، الآيات 12-14.
(2) سورة الأنبياء، الآيتان 78-79.
(3) سورة ص، الآية 30.
(4) سورة الأنعام، الآية 84.
(5) سورة ص، الآية 25.
(6) سورة النساء، الآية 163.
(7) سورة الأنعام، الآية 87.

وَٱلنُّبُوَّةَ﴾[1]، وأورثه أباه داوود عليه السلام في نبوّته ورسالته وملكه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾[2].

اختبار الله تعالى لسليمان عليه السلام

اختبر الله تعالى نبيّه سليمان في ولد من أولاده، أحبّه حبّاً كبيراً، وكان شديد الحرص عليه، فتوفّاه الله تعالى، وجعله على كرسيّ عرشه[3]: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾[4]، فسلّم سليمان عليه السلام لمشيئة ربّه في ولده، وانقطع إليه تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾[5]، وسأله أن يتفضّل عليه، ويهبه ملكاً مختصّاً به من عنده، لكنْ لا بالغلبة والجور[6]، فآتاه الله تعالى ملكاً عظيماً: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[7].

ملك النبيّ سليمان عليه السلام الواسع، وقوّته العسكريّة

كرّم الله تعالى نبيّه سليمان عليه السلام، واستجاب دعاءه، فآتاه ملكاً واسعاً واقتداراً لا نظير له، ليكون ذلك بيّنة واضحة على صدق نبوّته: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[8]. ولم يكن في ما أُوتي من الملك مستنداً إلى السحر، بحسب ما زعم بعض بني إسرائيل: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ...﴾[9]. وقد حكى القرآن الكريم مشهدَين من هذا الاقتدار: الأوّل: استعراض الخيول مساءً في مشهد مهيب، حيث شغف النبيّ سليمان عليه السلام بمشاهدتها واستعراضها حبّاً لله تعالى؛ لكونها خيولاً للجهاد في سبيله...،

(1) سورة الأنعام، الآية 89.
(2) سورة النمل، الآية 16.
(3) انظر: الشيخ الطبرسيّ، التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج8، ص563.
(4) سورة ص، الآية 34.
(5) سورة ص، الآيتان 34-35.
(6) انظر: الشيخ الصدوق، علل الشرائع، مصدر سابق، ج1، ص71.
(7) سورة ص، الآية 35.
(8) سورة ص، الآية 35.
(9) سورة البقرة، الآية 102.

وقيل إنّه عليه السلام أحبّ الخيل؛ لأنّها خيل الجهاد في سبيل الله، وهي تذكّره بالله، فأمر باستعراضها حتّى غابت عنه، فأمر بردّها إليه، حتّى إذا جاءت قام بمسح أعناقها وسيقانها، واشتغل بتهيئتها وتحضيرها للجهاد[1]، ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾[2]. والثاني: عبور الجيش وادي النمل، حيث جمع النبيّ سليمان عليه السلام جنوده من الإنس والجنّ والطير، فعبّأهم وسار بهم في مهمّة جهاديّة: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾[3]، فلمّا مرّوا في وادي النمل، سارعت نملة إلى إنذار بني جنسها من النمل بدخول مساكنهم حتّى لا يهلكوا تحت أقدام جيش سليمان عليه السلام وهم لا يشعرون بهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[4]، فسمع سليمان عليه السلام مقولتها، وتبسّم لذلك، وشكر الله تعالى على النعم التي أنعم بها عليه وعلى والديه، ودعاه أن يوفّقه لشكره ومرضاته فيها: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5].

مختصّات النبيّ سليمان عليه السلام ومعاجزه

اختصّ الله تعالى نبيّه سليمان بجملة من الخصائص والمعاجز: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[6]؛ حيث سخّر له الرّياح تحمله حيث شاء: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾[7]، ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ

(1) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج1، ص202.
(2) سورة ص، الآيات 30-33.
(3) سورة النمل، الآية 17.
(4) سورة النمل، الآية 18.
(5) سورة النمل، الآية 19.
(6) سورة ص، الآية 39.
(7) سورة الأنبياء، الآية 81.

﴿ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾[1]، ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾[2]، وعلّمه منطق الطير: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾[3]، ولغة النمل: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4]، وأذاب له النحاس، وجعله نابعاً من الأرض في عيون: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾[5]، وسخّر له الجنّ للقيام بأعمال تحتاج إلى مهارة وقوّة وسرعة، كبناء القصور الكبيرة، واستخراج خيرات البحر وكنوزه: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾[6]، ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[7]، ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾[8].

دعوة النبيّ سليمان عليه السلام مملكة سبأ إلى الحقّ

قام النبيّ سليمان عليه السلام ذات يوم بتفقّد الطير التي تحت ملكه، فلم يجد الهدهد الذي غاب من دون استئذان منه: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾[9]، فتوعّده بالعذاب أو الذبح إن لم يبرّر غيابه بحجّة مقنعة: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا

(1) سورة سبأ، الآية 12.
(2) سورة ص، الآية 36.
(3) سورة النمل، الآية 16.
(4) سورة النمل، الآيتان 18-19.
(5) سورة سبأ، الآية 12.
(6) سورة الأنبياء، الآية 82.
(7) سورة سبأ، الآيتان 12 ـ 13.
(8) سورة ص، الآيتان 37-38.
(9) سورة النمل، الآية 20.

﴿شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[1]، فما لبث أن جاءه الهدهد، ووقف بين يديه، وأخبره عن قوم. وهم قوم سبأ في اليمن، تحكمهم امرأة، وقد أوتيت من كلّ أسباب القوّة ومظاهر الرفاه، ولديها عرش عظيم: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[2]، وهم يعبدون الشمس من دون الله تعالى، وقد زيّن لهم الشيطان عملهم، فصدّهم عن الحقّ: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

فما كان من سليمان عليه السلام إلّا أنْ طلب تحرّي مقولة الهدهد، فأرسل معه رسالة إلى ملكة سبأ، يدعوها وقومها إلى عدم التعالي عليه، والتسليم لما يدعو إليه من الحقّ، وطلب منه تحرّي ردّ فعلهم على الرسالة: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٧ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[4]. فقامت ملكة سبأ باستشارة كبار قومها في هذا الأمر: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝٣١ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾[5]، فأشاروا عليها بالمواجهة، وتركوا الخيار لها في الحكم النهائيّ: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[6]، ولكنّها أعرضت عن فكرة المواجهة، لما فيها من إزهاق للنفوس وخسران ومالت إلى الموادعة وإرسال هدية إلى سليمان عليه السلام؛ لينتظروا ردّ فعله عليها: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ

---

(1) سورة النمل، الآية 21.
(2) سورة النمل، الآيتان 22-23.
(3) سورة النمل، الآيات 24-26.
(4) سورة النمل، الآيتان 27-28.
(5) سورة النمل، الآيات 29-32.
(6) سورة النمل، الآية 33.

يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[1]. فلمّا جاء رسل ملكة سبأ إلى النبيّ سليمان بالهدايا؛ لاستمالته وثنيه عن مهاجمة مملكتهم، لم يقبلها منهم، وأخبرهم أنّه لا يتراجع عن موقفه الحقّ، وسوف يغزوهم في عقر دارهم إذا ما أصرّوا على الكفر: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[2]، فما كان من ملكة سبأ إلّا أن رضخت لطلب النبيّ سليمان عليه السلام، وسارت إليه. وقبل وصولها إلى أرض فلسطين، طلب النبيّ سليمان عليه السلام من أعوانه الإتيان بعرشها من اليمن إلى فلسطين: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾[3]، فأجابه مارد من الجنّ بأنّه قادرٌ على الإتيان به قبل أن يقوم عليه السلام من مجلسه: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾[4]، وقام وصيّ النبيّ سليمان؛ وهو آصف بن برخيا[5]- وكان من الذين أنعم الله تعالى عليهم، وآتاهم علماً من الكتاب- بالإتيان به قبل أن يرتدّ نظر سليمان عليه السلام إليه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[6]. فلمّا رأى سليمان عليه السلام ذلك، استشعر العظمة، وشكر الله تعالى على نعمه عليه: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[7]، ثمّ أمر أعوانه بتغيير معالم عرشها ببعض التغييرات؛ ليختبرها في معرفتها له، وينبّهها على هذا الأمر الخارق: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾[8]، فلمّا دخلت سُئلت عن عرشها

---

(1) سورة النمل، الآيتان 34-35.
(2) سورة النمل، الآيات 36-37.
(3) سورة النمل، الآية 38.
(4) سورة النمل، الآية 39.
(5) تنزيه الأنبياء، ص99.
(6) سورة النمل، الآية 40.
(7) سورة النمل، الآية 40.
(8) سورة النمل، الآية 41.

هل هو كهذا العرش؟ فتأمّلته وأجابت بأنّه يشبهه كثيراً، وعلمت عند رؤيتها العرش أنّ النبيّ سليمان عليه السلام أراد أن ينبّهها على هذا الأمر المعجز؛ تصديقاً لدعواه النبوّة: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾[1]، فأجابته بإيمانها به، وتسليمها له قبل هذه المعجزة: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾[2]. ثمّ أُمِرَت بدخول قصر سليمان عليه السلام، فلمّا دخلت خالت أرضَ بهو القصر ماءً، فرفعت أذيال ثوبها خوفاً من البلل: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ﴾[3]، فقال لها سليمان عليه السلام إنّ الأرض من زجاج شفّاف صافٍ، لا من ماء كما تظنّ: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ﴾[4]، فكانت هذه آية أخرى باهرة لها، فاعترفت بظلمها في عبادة غير الله تعالى، وأعلنت إسلامها له: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

وفاة النبيّ سليمان عليه السلام

شاء الله تعالى لنبيّه سليمان عليه السلام الوفاة، وهو جالس على كرسي عرشه، متّكئاً على عصاه. وبقي أمر وفاته خافياً على أعوانه من الإنس والجنّ، حتى أتت نملة، وبدأت تأكل في عصاه، فلمّا انكسرت عصاه، وقع على الأرض، فعُرِفَ بذلك موته: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾[6].

(1) سورة النمل، الآية 42.
(2) سورة النمل، الآيتان 42-43.
(3) سورة النمل، الآية 44.
(4) سورة النمل، الآية 44.
(5) سورة النمل، الآية 44.
(6) سورة سبأ، الآية 14.

دروس وعبر من قصّة النبيّ سليمان عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-الله تعالى يسخّر الأشياء لعباده المخلصين: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾.

-القوّة والاقتدار لا يتنافيان مع الرحمة والرفق: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾.

-على الإنسان أن يذكر الله تعالى دوماً، ويشكره على أنعمه ومواهبه، ويسأله العون والتسديد وحسن العاقبة: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

-القائد دائم التفقّد لجنده، لجهة جاهزيّتهم: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾.

-مراعاة مبدأ الحزم واللين في الحكم: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

-ضرورة التثبّت من الأخبار، وعدم ترتيب أثر عليها قبل ذلك: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

-الإتيان بالأخبار المهمّة، لا يجعل القائد الإلهيّ يُعرِض عن موارد التقصير: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

-القائد الإلهيّ لا يأخذ الناس بالعذاب قبل إلقاء الحجّة: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

-القائد الإلهيّ يدعو إلى الله تعالى، لا إلى نفسه: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾.

-المشورة في القيادة أمر راجح في اتّخاذ القرارات المناسبة: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾.

-بعد الاستشارة، ينبغي أن يصدر الحكم من القائد: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

-القائد الإلهيّ لا يساوم في دعوته إلى الحقّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

-الله تعالى يجري المعاجز على أيدي أوليائه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

-في بعض الموارد يكون الأسلوب غير المباشر أبلغ في الدعوة إلى الحقّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

-عِلْمُ المنايا من الغيب الذي لا يطّلع عليه أحد من الخَلق إلّا من أذن الله تعالى له في ذلك: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

-وليّ الله يحرص على أن لا تفوته عبادة مفروضة أو مندوبة: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾.

-الله تعالى يبتلي أولياءه ويمتحنهم: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾.

-وليّ الله يحبّ أن يقيم حكم الله تعالى في الأرض: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. بعد أنْ قتل داوود جالوت، جمع الله تعالى لبني إسرائيل من جديد الملك والنبوّة، فجعلهما في داوود عليه السلام. ومكّن الله تعالى له ملكه فيهم، واستخلفه في الأرض. وكان داوود عليه السلام على شريعة موسى عليه السلام، وقد اختصّه الله تعالى بكتاب الزبور، وهو كتاب لا يشتمل على الأحكام والتشريعات، وفيه ذِكْر سنن إلهيّة، ومواعظ وزواجر، وأمور وحوادث مستقبليّة. وقد اختصّه الله بجملة من المعاجز، منها: تسخير الجبال والطير له تسبّح معه لله تعالى، وتليين الحديد له. وحكى القرآن الكريم قضاء داوود عليه السلام في قضيّتين، كانتا امتحاناً له من الله تعالى قضيّة التنازع في النعاج، وقضيّة الغنم التي نفشت في الزرع.
2. نشأ النبيّ سليمان عليه السلام في بيت النبوّة والحكم، وترعرع في كنف أبيه النبيّ داوود عليه السلام، فتعهّده بالتربية والتعليم، حتّى بلغ مبلغاً يناظر فيه أباه عليه السلام في قضاء الخصومات بين الناس. وأورثه الله تعالى أباه داوود عليه السلام في نبوّته ورسالته وملكه. وآتاه ملكاً واسعاً واقتداراً لا نظير له؛ ليكون ذلك بيّنة واضحة على صدق نبوّته. وقد حكى القرآن الكريم مشهدين من هذا الاقتدار، الأوّل: استعراض الخيول، والثاني: عبور جيشه على وادي النمل. واختصّه الله تعالى بجملة من الخصائص والمعاجز، فسخّر له الرياح تحمله حيث يشاء، وعلّمه منطق الطير، ولغة النمل، وأذاب له النحاس، وجعله نابعاً من الأرض في عيون، وسخّر له الجنّ، وأخضع له مملكة سبأ.

فكّر وأجب

1. تكلّم عن قضاء النبيّ داوود عليه السلام وابنه النبيّ سليمان عليه السلام بحسب ما أورده القرآن. وما الدروسُ والعِبَر المستفادة منها؟
2. ما المعاجزُ التي اختصّ الله تعالى بها نبيَّيه داوود عليه السلام وسليمان عليه السلام ؟
3. ما قصّةُ النبيّ سليمان عليه السلام مع مملكة سبأ؟

مطالعة

عن ابن بابويه، حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمّد بن أورمة، عن محمّد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير، حدّثنا أبو الخطّاب، عن العبد الصالح عليه السلام، قال: «**إنّ الله تعالى أوحى إلى داوود عليه السلام أنْ استخلِف سليمان على قومك، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله أوحى إليّ أنْ استخلِف سليمان عليكم، فضجّت رؤوس أسباط بني إسرائيل من ذلك، وقالوا: غلام حَدِث يُستخلف علينا وفينا من هو أعلم منه، فقال لهم داوود عليه السلام: أروني عِصِيّكم، فأيّ عصا أثمرت لأحد، فهو وليّ الأمر من بعدي، فقالوا: قد رضينا، فجاؤوا بعِصِيّهم، فقال داوود: ليكتب كلّ رأس منكم اسمه على عصاه، فكتبوا، ثمّ جاء سليمان بعصاه، فكتب عليها اسمه، ثمّ أُدخِلَت بيتاً، وأُغلِقَ الباب، وشُدّ بالأقفال، وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل، فلمّا أصبح صلّى بهم الغداة، ثمّ أقبل، ففتح الباب، فأخرج عِصِيّهم قد أورقت، وعصا سليمان قد أثمرت، قال: فسلّموا ذلك لداوود، ولمّا أراد أنْ يُعلِم حكمة سليمان، قال: يا بنيّ، أي شيء أبرد؟ قال: عفو الله عن الناس، وعفو بعضهم عن بعض، فقال: يا بنيّ، أيّ شيء أحلى؟ قال: المحبّة؛ وهو روح الله في عباده، فافترّ داوود ضاحكاً**»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص208-209.

الدرس الثالث عشر

الأنبياء عليهم السلام
إلياس ذو الكفل
اليسع يونس
زكريّا يحيى

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصص الأنبياء إلياس وذي الكفل واليسع ويونس وزكريّا ويحيى عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للأنبياء إلياس وذي الكفل واليسع ويونس وزكريّا ويحيى عليهم السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصص الأنبياء إلياس وذي الكفل واليسع ويونس وزكريّا ويحيى عليهم السلام.

قصّة النبيّ إلياس عليه السلام

هو إلياس بن بستر، بن فنحاص، بن العيزار، بن هارون عليه السلام[1]، وهو من أنبياء بني إسرائيل. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة، هي:

-﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

-﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

لم يتعرّض القرآن الكريم لذِكْر قصّته مفصّلاً، وقيل إنّ الله تعالى بعثه بعد النبيّ حزقيل عليه السلام، لمّا عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وكان النبيّ يوشع بن نون عليه السلام قد فتح الشام وبوّأها بني إسرائيل، وقسّمها بينهم، فأحلّ سبطاً منهم بعلبك؛ وهم سبط إلياس، وبعث فيهم إلياس عليه السلام نبيّاً، فأجابه المَلِك. ثمّ إنّ امرأة الملك حملته على مخالفة إلياس عليه السلام، إلى أنْ ارتدّ عن التوحيد، وقرّر قتل إلياس عليه السلام، فهرب عليه السلام إلى الجبال والبراري، واستخلف اليسع عليه السلام على بني إسرائيل، ثمّ رفعه الله تعالى من بين أظهرهم[4].

---

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، ص104.

(2) سورة الأنعام، الآيتان 85، 87.

(3) سورة الصافات، الآيات 123-132.

(4) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج8، ص329.

وقد اصطفى الله تعالى نبيّه إلياس للرسالة: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]، وقد بالغ في النصح لقومه، ونهيهم عن الشرك بالله تعالى، ودعوتهم إلى التوحيد وعبادته تعالى وحده، وتقواه، مستثيراً فيهم مكامن الفطرة ومنطق العقل: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[2]، ولكنّهم لم يستجيبوا له، وكذّبوه، فسلّط الله تعالى عليهم عدوّاً، أذاقهم العذاب[3]، وأنجاه الله تعالى ومن آمن معه منهم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[4]، وأبقى دعوته إلى الحقّ باقية إلى زمن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة من أهل بيته[5] عليهم السلام: ﴿۝١٢٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[6].

أثنى القرآن الكريم على النبيّ إلياس عليه السلام؛ فعدّه من الصالحين: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[7]، ومن المحسنين: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[8]، ومن عباد الله المؤمنين: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[9]، المهتدين إلى صراط مستقيم: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[10].

دروس وعبر من قصّة النبيّ إلياس عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ إلياس عليه السلام في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-لا يوجد انفكاك بين الخالقيّة والربوبيّة: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

---

(1) سورة الصافات، الآية 123.
(2) سورة الصافات، الآيات 124-126.
(3) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج8، ص329.
(4) سورة الصافات، الآيتان 127-128.
(5) الصدوق، الشيخ محمد بن علي، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، ط1، قمّ المقدّسة، مؤسّسة البعثة، 1417هـ.ق، ص558-559.
(6) سورة الصافات، الآيتان 129-130.
(7) سورة الأنعام، الآية 85.
(8) سورة الصافات، الآية 131.
(9) سورة الصافات، الآية 132.
(10) سورة الأنعام، الآية 87.

-توحيد الله تعالى وعبادته وتقواه أمان من الخسران: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

-كلمة الحقّ باقية وظاهرة، ولو كره الكافرون: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾.

قصّة النبيّ ذي الكفل عليه السلام

هو عدويا بن أدارين، من أنبياء بني إسرائيل. كان بعد سليمان بن داوود عليه السلام، وكان يقضي بين الناس. سمّي بذي الكفل؛ لأنّه تكفّل لملك جبّار، إنْ هو تاب دخل الجنّة، ودفع إليه كتاباً بذلك، فتاب الملك؛ وكان اسمه كنعان، فسمّي ذا الكفل. والكفل في اللغة هو الخطّ. وقيل: سمّي بذلك، بمعنى أنّه ذو الضعف، فله ضعف ثواب غيره ممّن هو في زمانه؛ لشرف عمله[1]. وقد ورد ذكْره في القرآن الكريم في موضعين، هما:

-﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2].

-﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[3].

لم يتعرّض القرآن لذِكْر تفاصيل حياة النبيّ ذي الكفل عليه السلام، وحكى ثناء الله تعالى عليه؛ لصبره في جنبه تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4]، وقد أدخله في رحمته الخاصّة بعباده الصالحين: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5]، وعدّه من الأخيار: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[6].

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج7، ص107.
(2) سورة الأنبياء، الآيتان 85-86.
(3) سورة ص، الآية 48.
(4) سورة الأنبياء، الآية 85.
(5) سورة الأنبياء، الآية 86.
(6) سورة ص، الآية 48.

قصّة النبيّ اليسع عليه السلام

هو اليسع بن أخطوب، بن العجوز، وهو من أنبياء بني إسرائيل. استخلفه النبيّ إلياس عليه السلام من بعده في بني إسرائيل[1]. وقد ورد ذكْره في القرآن الكريم في موضعين، هما:

-﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[2].

-﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[3].

لم يتعرّض القرآن لذكْر تفاصيل حياة النبيّ اليسع عليه السلام، وحكى تفضيل الله تعالى له فيمن فضّلهم على العالمين: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]، واصطفاءه للنبوّة والرسالة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾[5]، واجتباءه وهدايته إلى صراط مستقيم: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[6]، وعدّه من الأخيار: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[7].

قصّة النبيّ يونس عليه السلام

هو يونس بن متّى من أبناء يعقوب[8]، وهو من أنبياء بني إسرائيل. ورد ذكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[9]، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، 104؛ ج8، ص329.
(2) سورة الأنعام، الآيات 86-87، 89.
(3) سورة ص، الآية 48.
(4) سورة الأنعام، الآية 86.
(5) سورة الأنعام، الآية 89.
(6) سورة الأنعام، الآية 87.
(7) سورة ص، الآية 48.
(8) انظر: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج4، ص104؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ج1، ص361.
(9) انظر: سورة النساء، الآيتان 163، 165؛ سورة الأنعام، الآيات 86-87، 89؛ سورة يونس، الآية 98؛ سورة الأنبياء، الآيتان 87-88؛ سورة الصافات، الآيات 139-148؛ سورة القلم، الآيات 48-50، وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ يونس عليه السلام.

أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1].

وبالتأمّل في هذه الآيات التي ورد فيها ذِكْر النبيّ يونس عليه السلام، يمكن استخلاص قصّته وفق التالي:

سيرة النبيّ يونس عليه السلام التبليغيّة

أثنى القرآن الكريم على النبيّ يونس عليه السلام، وعدّه ممّن فضّلهم الله تعالى على العالمين: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، واجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]، وجعلهم من الصالحين: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4]، واصطفاهم للوحي والنبوّة والرسالة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ﴾[5]، ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ ﴿١٦٣﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[6]. وقد أرسله الله تعالى إلى قومه؛ لدعوتهم إليه تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[7]، وكانوا يزيدون على مئة ألف: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[8]، ويسكنون بنينوى من أرض الموصل في العراق. وقد جهد وبالغ في دعوتهم ونصحهم،

---

(1) سورة الصافات، الآيات 139-148.
(2) سورة الأنعام، الآيات 86.
(3) سورة الأنعام، الآيات 87.
(4) سورة القلم، الآية 50.
(5) سورة الأنعام، الآيات 89.
(6) سورة النساء، الآيتان 163، 165.
(7) سورة الصافات، الآية 139.
(8) سورة الصافات، الآية 147.

ولكنّهم لم يستجيبوا له، ولمّا وجد فيهم الإصرار على الكفر والجحود، توعّدهم بنزول العذاب، وخرج منهم في جوف الليل من تلقاء نفسه[1]، غاضباً لله تعالى، ساخطاً عليهم، موقناً منه تعالى تكفّله برحمته: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾[2]، فلمّا أصبحوا وجدوا فوق رؤوسهم غيماً أسود هائلاً في السماء، يدخّن دخاناً شديداً، فهبط حتّى غشي مدينتهم، واسودّت سطوحهم، فلمّا رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك، فطلبوا نبيّهم فلم يجدوه، فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم، ونسائهم وصبيانهم ودوابّهم وتضرّعوا إلى الله تعالى، وأظهروا الإيمان والتوبة، وأخلصوا النيّة، فرحمهم الله تعالى، واستجاب دعاءهم، وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلهم[3]: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾[4].

خروجه عليه السلام من أرض قومه، ورحلته في البحر

بعدما خرج النبيّ يونس عليه السلام من قومه، توجّه تلقاء ساحل البحر، فوجد سفينة محمَّلة تهمّ بالإبحار، فسألهم الإبحار معهم، فأبحر: ﴿إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾[5]. وأثناء جريان السفينة، ماج بهم البحر، وكادت تغرق بهم بفعل ثقل حمولتها، فتوافقوا على خيار التقليل منها، وقيل: اعترضهم حوت[6]، فاقترعوا في ما بينهم لهذا الأمر، ووقعت القرعة على يونس عليه السلام: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾[7].

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج5، ص229.
(2) سورة الأنبياء، الآيتان 87.
(3) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج5، ص229-230.
(4) سورة يونس، الآية 98.
(5) سورة الصافات، الآية 140.
(6) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج5، ص230.
(7) سورة الصافات، الآية 141.

التقام الحوت له عليه السلام، ونجاته

بعد أنْ استقرّ أمر القرعة على يونس عليه السلام، علم أنّ الله تعالى ابتلاه بذلك؛ لعدم صبره على دعوة قومه وخروجه منهم: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾[1]، فلام نفسه على التقصير في جنب الله تعالى، وألقى بنفسه في البحر، فالتقمه الحوت: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾[2]، وسار به في عمق البحر ثلاثة أيّام، وقيل: سبعة أيّام، وقيل: أربعين يوماً، وطاف به البحار، فدخل في بحر القلزم، حتّى خرج إلى بحر مصر، ثمّ سار به إلى بحر طبرستان، ثمّ خرج من دجلة[3]. وقد نادى يونس عليه السلام ربّه وناجاه، وهو في ظلمات ثلاث: ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[4]، واستغفره على عدم صبره على دعوة قومه وخروجه منهم، وعلى تقصيره في عبادته له، وحمده على تفريغه للعبادة في بطن الحوت: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]، فاستجاب الله تعالى له، وقَبِلَ توبته، ونجّاه من الغمّ: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[6]، ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[7]، وأمر الحوت بإلقائه على الساحل: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ﴾[8]، ثمّ أنبت عليه شجرة من يقطين تقيه حرّ الشمس، ويتغذّى منها، ويتداوى بها[9]: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾[10].

---

(1) سورة القلم، الآية 48.
(2) سورة الصافات، الآية 142.
(3) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج5، ص231.
(4) سورة الأنبياء، الآيتان 87.
(5) سورة الأنبياء، الآيتان 87.
(6) سورة القلم، الآية 49-50.
(7) سورة الأنبياء، الآيتان 88.
(8) سورة الصافات، الآيات 143-145.
(9) انظر: القمّيّ، تفسير القمّيّ، مصدر سابق، ج1، ص319.
(10) سورة الصافات، الآية 146.

عودته عليه السلام إلى قومه لدعوتهم من جديد

بعد أنْ تعافى النبيّ يونس عليه السلام، رجع إلى قومه من جديد، داعياً إيّاهم: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1]، فاستقبلوه بحفاوة وبشرى، وآمنوا له[2]، فمتّعهم الله تعالى في حياتهم إلى أجل مسمّى؛ وهو أجل موتهم: ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[3]،... ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[4].

دروس وعبر من قصّة النبيّ يونس عليه السلام

بعد التأمّل في قصّة النبيّ يونس عليه السلام الواردة في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-إنّ رحمة الله تعالى تُدرك التائبين ولو كانت توبتهم متأخّرة، بشرط كونها عن اختيار وصدق إيمان منهم، لا عن خوف وإرادة دفع للعذاب فحسب: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

-على الداعي أن يصبر على دعوة الناس، ولا يضيق صدره بعدم استجابتهم له، ولا ييأس من هدايتهم: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾، ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾.

-حسن الظنّ بالله تعالى هو مقتضى الإيمان بالتوحيد الأفعاليّ، وإنّه لا مؤثّر في الوجود إلّا الله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

-على الإنسان أن يتسلّح بذكره الله تعالى بتسبيحه في مواجهة الابتلاءات: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(1) سورة الصافات، الآية 147.
(2) انظر: القمّي، تفسير القمّي، مصدر سابق، ج1، ص320.
(3) سورة الصافات، الآية 148.
(4) سورة يونس، الآية 98.

-تبصّر الإنسان بتقصيره يقتضي المراجعة والإصلاح ومضاعفة الجهود: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

-الله تعالى يبتلي أولياءه؛ ليرفع درجاتهم ومقامهم عنده: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

-الله تعالى يرفق بعباده في ابتلائه لهم: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾، ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾.

قصّة النبيّ زكريا عليه السلام

هو زكريا بن أذن بن بركيا، من وِلْد هارون[1] عليه السلام، وهو من أنبياء بني إسرائيل. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[2]، منها: قوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾[3].

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج6، ص401-402.
(2) سورة آل عمران، الآيات 37-41؛ سورة الأنعام، الآيات 85، 87، 89؛ سورة مريم، الآيات 2-11؛ سورة الأنبياء، الآيتان. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ زكريّا عليه السلام.
(3) سورة مريم، الآيات 2-11.

وبالتأمّل في هذه الآيات التي ورد فيها ذِكْر النبيّ زكريّا عليه السلام، يمكن استخلاص قصّته وفق التفصيل التالي:

سيرة النبيّ زكريّا عليه السلام التبليغيّة

أثنى الله تعالى على النبيّ زكريّا عليه السلام، فعدّه من الصالحين: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(1)، واجتباه وهداه إلى صراط مستقيم: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(2)، واصطفاه للنبوّة والرسالة في بني إسرائيل، يدعوهم على شريعة موسى عليه السلام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾(3).

كفالة النبيّ زكريّا عليه السلام وتعهّده لمريم عليها السلام

بعد أنْ وَفَت أمّ مريم بنذرها لله تعالى بوضع مولودها في خدمة المعبد: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾(4)، حصل اقتراع بين الكهنة والنبيّ زكريّا عليه السلام في مَنْ يكفلها ويتعهّدها بالرعاية: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾(5)، ووقع الأمر على زكريا عليه السلام الذي تعهّدها بالتربية الإلهيّة حتى كبرت: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾(6)، فاصطفاها الله تعالى، وطهّرها، وفضّلها على نساء عالمها: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(7). وذات يوم، دخل عليها زكريا في محرابها الذي كانت تصلّي فيه، فوجد عندها رزقاً سماويّاً، فسألها عن مصدره: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا

(1) سورة الأنعام، الآية 85.
(2) سورة الأنعام، الآية 87.
(3) سورة الأنعام، الآية 89.
(4) سورة آل عمران، الآية 35.
(5) سورة آل عمران، الآية 44.
(6) سورة آل عمران، الآية 37.
(7) سورة آل عمران، الآية 42.

ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾[1]، فأجابته بأنّه رزق إلهيّ: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]. وكان يدخل عليها في الصيف، فيجد عندها من ثمار الشتاء، ويدخل عليها في الشتاء، فيجد عندها من ثمار الصيف[3].

دعاؤه عليه السلام لله تعالى أن يرزقه ولداً

لمّا وجد زكريّا عليه السلام من لطف صنع الله تعالى وعنايته بمريم عليها السلام، توجّه إلى الله تعالى، خاشعاً متضرّعاً سائلاً راجياً إيّاه أنْ يرزقه ولداً صالحاً يكون له عوناً ووريثاً في طاعته تعالى والدعوة إليه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[4]، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[5]، ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[6]، فاستجاب الله تعالى له ذلك، فأتته الملائكة وهو قائم يصلّي في محرابه، تبشّره برزقه بغلام، وتخبره بأنّ الله تعالى اختار له اسماً، فسمّاه يحيى، وأنّه سيكون نبيّاً من الصالحين، مصدّقاً بالحقّ، وداعياً إليه، وعلى قدر عظيم من العلم والعفّة والطهارة: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[7]، ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[8]، فسألهم مستفسراً عن كيفيّة ذلك من طريق الأسباب المعهودة،

(1) سورة آل عمران، الآية 37.
(2) سورة آل عمران، الآية 37.
(3) الشيخ الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج2، ص447.
(4) سورة مريم، الآيات 2-6.
(5) سورة آل عمران، الآية 38.
(6) سورة الأنبياء، الآية 89.
(7) سورة مريم، الآية 7.
(8) سورة آل عمران، الآية 39.

وهو قد أصبح في أواخر العمر، وامرأته عاقر، مع يقينه بقدرته تعالى على كلّ شيء: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[1]، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[2]، فأجابته الملائكة بأنّ الله تعالى قادر على كلّ شيء، وقد شاء أنْ يرزقه ولداً من غير الأسباب المعهودة؛ ليكون آية له ولقومه: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[3]، ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[4]، فطلب من الله تعالى أن يجعل له علامة على قُرب رِزقه بالولد: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾[5]، فأجابه بأنّه سيجد نفسه لا يستطيع الكلام ثلاثة أيّام، وأمره بالانقطاع إليه، وإدامة ذِكْره وتسبيحه صبحاً ومساءً: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[6]، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[7]. وذات يوم، دخل زكريا عليه السلام محراب المعبد، والناس ينتظرون خروجه إليهم، فأوحى الله تعالى إليه، وتحقّق الوعد الإلهيّ، فصمت عن الكلام من دون علّة فيه، فلمّا خرج زكريّا عليه السلام من محراب المعبد، أشار إلى الناس بتسبيح الله تعالى وذِكْره صبحاً ومساءً: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[8]، ثمّ رزقه الله تعالى يحيى عليه السلام، ومنّ عليه بصلاح الأهل والولد؛ لانقطاعه إلى الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[9].

(1) سورة آل عمران، الآية 40.
(2) سورة مريم، الآية 8.
(3) سورة آل عمران، الآية 40.
(4) سورة مريم، الآية 9.
(5) سورة آل عمران، الآية 41؛ سورة مريم، الآية 10.
(6) سورة مريم، الآية 10.
(7) سورة آل عمران، الآية 41.
(8) سورة مريم، الآية 11.
(9) سورة الأنبياء، الآية 90.

دروس وعبر من قصّة النبيّ زكريا عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ زكريّا عليه السلام في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-ما كان لله ينمو: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾.

-الله يتولّى عباده الصالحين بالرعاية والحفظ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾.

-على الإنسان أن لا ييأس ويقطع أمله باستجابة دعائه وقضاء حوائجه: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾.

-طلب قضاء الحوائج من الله بتضرّع وخشوع وابتهال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾.

-الإقرار بالعجز والاحتياج قبل الدعاء: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾.

-طلب رزق الولد الصالح من الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

-توريث الولد الصالح البارّ المعين لأبويه على طاعة الله تعالى فيما يورّثانه: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾.

-محراب الصلاة مهبط الخيرات والألطاف: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

-الله تعالى قادر على ما يشاء: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾، ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾.

-الإنعام يستوجب الشكر: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾.

-الانقطاع إلى الله تعالى مدعاة صلاح للنفس والأهل والولد: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

قصّة النبيّ يحيى عليه السلام

هو يحيى بن زكريّا عليه السلام، وهو من أنبياء بني إسرائيل. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة، هي:

-﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

-﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[2].

-﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[3].

حكى القرآن الكريم قصّة البشارة بولادة يحيى عليه السلام، حيث منّ الله تعالى على نبيّه

(1) سورة آل عمران، الآية 39.
(2) سورة الأنعام، الآيات 85، 87، 89.
(3) سورة مريم، الآيات 7، 12-15.

زكريّا عليه السلام به: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا﴾[1]. وقد تعهّده الله تعالى بالرعاية والتربية، فأفاض عليه من رحمته ومحبّته: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾[2]، وأمره بأنْ يتحقّق بتعاليم الدين في جانبي العلم والعمل، وهو على شريعة التوراة آنذاك، ويُحتمل أنْ يكون له كتاب خاصّ به: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[3]، وآتاه الحكم في صغره: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيًّا﴾[4]، وجعله مبشّراً بمجيء النبيّ عيسى عليه السلام، ومصدّقاً له في دعوته: ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[5]، ومَقصداً للناس في أمورهم: ﴿وَسَيِّدًا﴾[6]، واجتباه تعالى وهداه إلى صراط مستقيم: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾[7]، واصطفاه للنبوّة والرسالة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ...﴾[8]، وعدّه من الصالحين: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[9]، ومن الزاهدين: ﴿وَحَصُورًا﴾[10]، وأثنى عليه؛ لتقواه في علاقته مع الله تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾[11]، وبرّه بوالديه: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾[12]، ورحمته ورأفته بالناس، وتواضعه لهم: ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[13]، فارتضاه الله تعالى، وآمنه من كلّ مكروه يحزنه ويغمّه في حياته الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا﴾[14].

---

(1) سورة مريم، الآية 7.
(2) سورة مريم، الآية 13.
(3) سورة مريم، الآية 12.
(4) سورة مريم، الآية 12.
(5) سورة آل عمران، الآية 39.
(6) سورة آل عمران، الآية 39.
(7) سورة الأنعام، الآية 87.
(8) سورة الأنعام، الآية 89.
(9) سورة الأنعام، الآية 85.
(10) سورة آل عمران، الآية 39.
(11) سورة مريم، الآية 13.
(12) سورة مريم، الآية 14.
(13) سورة مريم، الآية 14.
(14) سورة مريم، الآية 15.

دروس وعبر من قصّة النبيّ يحيى عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ يحيى عليه السلام في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-من نعَم الله تعالى على الإنسان أن يرزقه ولداً صالحاً مُرْضياً لله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

-أولياء الله تعالى ينتهجون الدين، ويسعون للتحقّق به في جانبي العلم والعمل: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾.

-الله تعالى يتعهّد أولياءه بالتربية والرعاية: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾.

-الله تعالى يدفع عن أوليائه السوء، ويؤمنهم من المكاره: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

-العمر ليس شرطاً في لياقة الإنسان للحكم، إذا ما توافر على الحكمة والبصيرة والمدد الإلهيّ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

-على الإنسان أن يرتبط مع الله تعالى بعلاقة التقوى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾.

-على الإنسان أن يرتبط مع أبويه بعلاقة البرّ والإحسان: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾.

-على الإنسان أن يرتبط بمجتمعه بعلاقة الرحمة والرأفة والتواضع: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.

الأفكار الرئيسة

1. بعث الله تعالى نبيّه إلياس عليه السلام إلى سبط من بني إسرائيل، كانوا يقطنون في بعلبك، فأجابه المَلِك، ثمّ إنّ امرأة الملك حملته على مخالفة إلياس عليه السلام، إلى أنْ ارتدّ عن التوحيد، وقرّر قتل إلياس عليه السلام، فهرب عليه السلام إلى الجبال والبراري، واستخلف اليسع عليه السلام على بني إسرائيل، ثمّ رفعه الله تعالى من بين أظهرهم.
2. أرسل الله نبيّه ذا الكفل عليه السلام إلى بني إسرائيل، من بعد سليمان بن داوود عليه السلام، وكان يقضي بينهم. وسمّي بذي الكفل؛ لأنّه تكفّل لملك جبّار، إنْ هو تاب دخل الجنّة، ودفع إليه كتاباً بذلك، فتاب الملك.
3. أرسل الله تعالى نبيّه يونس عليه السلام إلى قومه؛ لدعوتهم إليه، وكانوا يزيدون على مئة ألف، ويسكنون بنينوى من أرض الموصل في العراق. ولمّا لم يستجيبوا له، خرج منهم غاضباً مستنزلاً العذاب عليهم، ثمّ ركب السفينة، والتهمه الحوت، وسار به في البحر، حتّى ألقاه على الشاطىء، ثمّ عاد من جديد إلى قومه، فوجدهم آمنين، بعد أنْ تضرّعوا إلى الله، فقَبِل توبتهم، ورفع عنهم العذاب.
4. تكفّل النبيّ زكريا عليه السلام مريم عليها السلام، وتولّى رعايتها وتربيتها، ثمّ دعا الله تعالى أن يرزقه الولد، فاستجاب له ورزقه يحيى عليه السلام.

فكّر وأجب

1. ما قصص الأنبياء إلياس عليه السلام وذي الكفل عليه السلام واليسع عليه السلام الواردة في القرآن؟ وما الدروس والعبَر المستفادة منها؟
2. ما قصّة النبي يونس عليه السلام الواردة في القرآن؟ وما الدروس والعبَر المستفادة منها؟
3. ما قصص النبيّين زكريا عليه السلام ويحيى عليه السلام الواردة في القرآن؟ وما الدروس والعِبَر المستفادة منها؟

مطالعة

عن الحسن بن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**وجدنا في بعض كتب عليّ عليه السلام أنّه قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ جبرئيل عليه السلام حدّثه أنّ يونس بن متّى بعثه الله تعالى إلى قومه، وهو ابن ثلاثين سنة، وأنّه أقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى، فلم يؤمن به إلّا رجلان، أحدهما: روبيل؛ وكان من أهل بيت العلم والحلم، وكان قديم الصحبة ليونس عليه السلام قبل أنْ يبعثه الله بالنبوّة، وكان صاحب غنم يرعاها ويتقوّت منها. والثاني: تنّوخا؛ رجل عابد زاهد، ليس له علم ولا حكمة، وكان يحتَطِب ويأكل من كسبه، فلمّا رأى يونس أنّ قومه لا يجيبونه، وخاف أنْ يقتلوه، شكا ذلك إلى ربّه تعالى، فأوحى الله تعالى إليه: أنّ فيهم الحبلى والجنين والطفل الصغير والشيخ الكبير والمرأة الضعيفة، أحبّ أنْ أرفق بهم، وأنتظر توبتهم، كهيئة الطبيب المداوي العالمَ بمداواة الداء، فإنّي أُنزل العذاب يوم الأربعاء في وسط شوّال بعد طلوع الشمس. فأخبر يونس عليه السلام تنوخا العابد به وروبيل ليعلماهم، فقال تنّوخا: أرى لكم أنْ تعزلوا الأطفال عن الأمّهات في أسفل الجبل في طريق الأودية، فإذا رأيتم ريحاً صفراء أقبلت من المشرق، فعجّوا بالصراخ والتوبة إلى الله تعالى، جلّت قدرته بالاستغفار، وارفعوا رؤوسكم إلى السماء، وقولوا: ربّنا ظلمنا أنفسنا، فاقبل توبتنا. ولا تملّنّ من التضرّع إلى الله جلّت عظمته، والبكاء، حتى تتوارى الشمس بالحجاب، ويكشف الله عنكم العذاب، ففعلوا ذلك، فتاب عليهم، ولم يكن الله اشترط على يونس أنّه يُهلِكهم بالعذاب إذا أنزله، فأوحى الله جلّ جلاله إلى إسرافيل: أنْ اصرف عنهم ما قد نزل بهم من العذاب، فهبط إسرافيل عليهم، فنشر أجنحته، فاستاق بها العذاب حتّى ضرب بها الجبال التي بناحية الموصل، فصارت حديداً إلى يوم القيامة، فلمّا رأى قوم يونس أنّ العذاب صُرِفَ عنهم، حمدوا الله، وهبطوا**

إلى منازلهم، وضمّوا إليهم نساءهم وأولادهم. وغاب يونس عليه السلام عن قومه ثمانية وعشرين يوماً، سبعة في ذهابه، وسبعة في بطن الحوت، وسبعة بالعراء، وسبعة في رجوعه إلى قومه، فأتاهم، فآمنوا به، وصدّقوه واتّبعوه عليه السلام»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص251.

الدرس الرابع عشر

النبيّ عيسى عليه السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصّة النبيّ عيسى عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيّ عيسى عليه السلام.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصّة النبيّ عيسى عليه السلام.

قصّة النبيّ عيسى عليه السلام

هو عيسى بن مريم بنت عمران، بن الهشم (وقيل: بن ماثان) بن أمون بن حزقيا، من وِلْد سليمان بن داوود[1] عليه السلام، وهو من أنبياء بني إسرائيل. ورد ذِكْره في القرآن الكريم في مواضع عدّة[2]، منها: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ
بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾
وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ
يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم
بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ
وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى
بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا

---

(1) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج2، ص278، 280؛ ج4، ص104.

(2) سورة البقرة، الآيات 87، 136، 253؛ سورة آل عمران، الآيات 45-61؛ سورة النساء، الآيات 157-159، 163، 165، 171-172؛ سورة المائدة، الآيات 17، 46-47، 72-73، 75، 78، 110-118؛ سورة الأنعام، الآيات 85، 87، 89؛ سورة التوبة، الآيتان 30-31؛ سورة مريم، الآيات 27-34؛ سورة المؤمنون، الآية 50؛ سورة الأحزاب، الآية 7؛ سورة الشورى، الآية 13؛ سورة الزخرف، الآيات 57-64؛ سورة الحديد، الآية 27؛ سورة الصف، الآيتان 6، 14، وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ عيسى عليه السلام.

مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

وبالتأمّل في الآيات التي ورد فيها ذِكْر النبيّ عيسى عليه السلام، يمكن استخلاص قصّته وفق التفصيل التالي:

معجزة ولادة النبيّ عيسى عليه السلام

بعد أنْ نشأت السيّدة مريم عليها السلام في المعبد، وترعرعت فيه، ضرب لها النبيّ زكريّا عليه السلام حجاباً في مكان في المعبد، من دون الكهنة: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾[2]، فكانت تعبد الله تعالى فيه، لا يدخل عليها أحد، إلّا زكريا عليه السلام، وكان يأتيها فيه رزقها من السماء: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، فعصمها الله تعالى، واصطفاها على نساء العالمين في عصرها، وحدّثتها الملائكة بذلك: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، وقد أرسل الله تعالى إليها الروح القدس، وهي محتجبَة في هذا المكان من المعبد، فتمثّل لها في صورة بشر: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[5]، فهالها ما رأت من مشاهدتها إيّاه في محتجَبها، واستعاذت بالله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[6]، فطمأنها وأخبرها أنّه رسول من عند الله تعالى؛ ليهب لها ولداً من غير أب، يكون كلمة منه، يتكلّم في مهده،

(1) سورة آل عمران، الآيات 45-55.
(2) سورة مريم، الآيتان 16-17.
(3) سورة آل عمران، الآية 37.
(4) سورة آل عمران، الآية 42.
(5) سورة مريم، الآية 17.
(6) سورة مريم، الآية 18.

وهو من المقرّبين والصالحين: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[1]، ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]، فاستعجبت من ذلك، وهي لم يمسسها بشر قطّ: ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ﴾[3]، ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾[4]، فأجابها بأنّ الله تعالى قادر على كلّ شيء، ويخلق ما يشاء، وقد قضى ذلك الأمر: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5]، ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾[6]، ثمّ نفخ الروح فيها، فحملت بولدها، ثمّ خرجت بحملها من المعبد إلى مكان بعيد عن أنظار الناس: ﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾[7]، فأتاها المخاض وهي عند جذع نخلة، وقد أصابها الخوف والحزن من اتّهام الناس لها بالفاحشة: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾[8]، فناداها مولودها وطمأنها بأنّ الله تعالى سيحفظها، ويدفع عنها أذى الناس، وقد أجرى لها ماءً من تحتها، وأنبت لها تمراً حلواً من النخلة اليابسة، فلتأكل ولتشرب، ولا تبالِ بكلامهم، ولتنذر الصمت، وإذا ما سألها الناس عن أمرها، فلا تكلّمهم: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ۝٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾[9]، فلمّا جاءت به إلى

---

(1) سورة مريم، الآية 19.
(2) سورة آل عمران، الآيتان 45-46.
(3) سورة آل عمران، الآية 47.
(4) سورة مريم، الآية 20.
(5) سورة آل عمران، الآية 47.
(6) سورة مريم، الآية 21.
(7) سورة مريم، الآية 22.
(8) سورة مريم، الآية 23.
(9) سورة مريم، الآيات 24-26.

قومها، انهالوا عليها بالطعن واللوم؛ لحملها ولداً من غير زواج شرعيّ عهدوه لها فيما بينهم: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1]، فما كان من مريم عليها السلام إلّا أنْ أشارت إليه: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ﴾[2]، فاستعجبوا من ردّها: ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[3]، فأنطق الله تعالى عيسى عليه السلام في مهده، مقرّاً بأنّه عبد الله، وقد آتاه الكتاب، وجعله نبيّاً مباركاً، وأوصاه بالصلاة والزكاة وببرّ والدته، ولم يجعله جبّاراً مستكبراً، وآمنه من المكاره والحزن في حياته الدنيا وفي الآخرة: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[4]، فكانت هذه بيّنة أولى لبني إسرائيل بنبوّته عليه السلام ورسالته فيهم، وجعله وأمّه آية للعالمين: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[5].

معاجز النبيّ عيسى عليه السلام

أجرى الله تعالى على يدَي نبيّه عيسى عليه السلام جملة من المعاجز، كانت بيّنات واضحة وحججاً بالغة على بني إسرائيل في دعوته لهم إلى رسالته. ومن هذه المعاجز: التكلّم في المهد: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ﴾[6]، وخلق طير حيّ من الطين: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ﴾[7]، ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا

(1) سورة مريم، الآيتان 27-28.
(2) سورة مريم، الآية 29.
(3) سورة مريم، الآية 29.
(4) سورة مريم، الآيات 30-33.
(5) سورة المؤمنون، الآية 50.
(6) سورة المائدة، الآية 110.
(7) سورة المائدة، الآية 110.

بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾[1]، وشفاء المرضى؛ كالأبكم والأبرص: ﴿وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ﴾[2]، ﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾[3]، وإحياء الموتى: ﴿وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾[4]، ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾[5]، وإخبار الناس ببعض أسرارهم وخفاياهم: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾[6]، وإنزال مائدة سماويّة على قومه: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[7].

سيرة النبيّ عيسى عليه السلام التبليغيّة

نشأ النبيّ عيسى عليه السلام وترعرع في كنف أمّه مريم عليها السلام التي تعهّدته بالرعاية والعناية إلى أنْ بلغ واستوى، ولم يتحدّث القرآن الكريم عن هذه المحطّة من حياة النبيّ عيسى عليه السلام، بل شرع في حكاية سيرته التبليغيّة، حيث اختاره الله تعالى للنبوّة: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾[8]، وللرسالة: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[9]، وعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾[10]، ﴿وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ﴾[11]، وجعله من الأنبياء أولي العزم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا

(1) سورة آل عمران، الآية 49.
(2) سورة المائدة، الآية 110.
(3) سورة آل عمران، الآية 49.
(4) سورة المائدة، الآية 110.
(5) سورة آل عمران، الآية 49.
(6) سورة آل عمران، الآية 49.
(7) سورة المائدة، الآيتان 114-115.
(8) سورة مريم، الآية 30.
(9) سورة آل عمران، الآية 49.
(10) سورة آل عمران، الآية 48.
(11) سورة المائدة، الآية 110.

وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ﴾[1]، وآتاه الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2]، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾[3]، واصطفاه للإمامة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾[4]، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[5]، وأجرى على يديه المعاجز المصدّقة له في دعواه، وأيّده بروح القدس: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾[6]، وأمره بالدعوة في بني إسرائيل: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[7]، فامتثل النبيّ عيسى عليه السلام الأمر الإلهيّ، ودعاهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته وطاعته وتقواه، وحذّرهم من عاقبة الكفر والشرك: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[8]، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[9]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[10]، وإلى الالتزام بشريعته المصدِّقة لشريعة موسى عليه السلام، والناسخة لبعض ما كان فيها من أحكام وتشريعات؛ رفقاً بهم، وتسهيلاً عليهم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى

(1) سورة الشورى، الآية 13.
(2) سورة المائدة، الآية 46.
(3) سورة الحديد، الآية 27.
(4) سورة الأنعام، الآية 89.
(5) سورة الأحزاب، الآية 7.
(6) سورة البقرة، الآية 87.
(7) سورة آل عمران، الآية 49.
(8) سورة المائدة، الآية 72.
(9) سورة آل عمران، الآيتان 50-51.
(10) سورة الزخرف، الآيات 63-64.

ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾[1]، ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2]، ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3]، وإلى التصديق بالرسالة الخاتمة، ورسولها الخاتم من بعده: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ﴾[4]. وقد بذل جهده في دعوته، وبالغ في نصحهم وإقامة الحجج عليهم: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5]، ولكنّهم أعرضوا عنه، وكذّبوه، وجحدوا برسالته، وعتو واستكبروا عنها، ولا سيّما كهنتهم وأحبارهم الذين شعروا بأنّ دعوته تهدّد مكانتهم بين الناس: ﴿فَوَيْلٞ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيْلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[6]، فاتّهموه بالسحر: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٞ مُّبِينٞ﴾[7]، ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٞ مُّبِينٞ﴾[8]، وأخذوا يصدّون الناس عن دعوته بمكرهم وخداعهم، واستغلّوا جهالتهم لتحقيق مآربهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[9]، فلم يؤمن لعيسى عليه السلام إلّا فئة

(1) سورة الصف، الآية 6.
(2) سورة آل عمران، الآية 50.
(3) سورة المائدة، الآية 47.
(4) سورة الصف، الآية 6.
(5) سورة آل عمران، الآية 49.
(6) سورة البقرة، الآية 79.
(7) سورة الصف، الآية 6.
(8) سورة المائدة، الآية 110.
(9) سورة البقرة، الآية 78.

قليلة منهم، وقد اختار منهم حواريّين له ليكونوا أنصاره في الدعوة إلى الله تعالى[1]: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ﴾[2]، ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[3]، ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[4]، وجعل الله تعالى في قلوب أتباعه رحمة ورأفة: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةٗ وَرَحْمَةٗۚ﴾[5]، ثمّ إنّهم ابتدعوا رهبانيّة في دينهم، لم يكتبها الله تعالى ما عليهم، فلم يراعوها حقّ رعايتها، ما أدّى إلى انحرافهم عن تعاليم الإنجيل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٞ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[6].

وقد أثنى القرآن الكريم على النبيّ عيسى عليه السلام، فذكر أنّ الله تعالى سمّاه المسيح عيسى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[7]، وارتضاه عبداً له: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾[8]، وكان كلمة لله وروحاً منه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[9]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى

(1) أرسل النبيّ عيسى عليه السلام حوارييه للدعوة إلى رسالة الإنجيل في الأقطار المختلفة، فقيل: إنّه أرسل ثلاثة رُسُل منهم إلى إنطاكية؛ وهم الذين ذكرهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ (سورة يس، الآيتان 13-14)، وقيل: إنّهم رُسُل كانوا من بعد عيسى عليه السلام أرسلهم الله تعالى إلى إنطاكية. راجع: الشيخ الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج8، ص448؛ الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج8، ص263).

(2) سورة الصف، الآية 14.

(3) سورة آل عمران، الآيتان 52-53.

(4) سورة المائدة، الآية 111.

(5) سورة الحديد، الآية 27.

(6) سورة الحديد، الآية 27.

(7) سورة آل عمران، الآية 45.

(8) سورة مريم، الآية 30.

(9) سورة آل عمران، الآية 45.

﴿ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾[(1)]، وعدّه من المصطفَين من عباده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(2)]، ومن الصالحين: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[(3)]، واجتباه وهداه إلى صراط مستقيم: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[(4)]، وجعله مباركاً أين ما حلّ، وزاكيا، وآية للناس، ورحمة منه تعالى، وبارّاً بوالدته، وآمناً في الدنيا والآخرة: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ۝١٩ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ۝٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[(5)]، ووجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقرّبين عند ربّه: ﴿وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾[(6)].

حواريّوه عليه السلام ونزول المائدة السماويّة

بعد أنْ اتّخذ النبيّ عيسى عليه السلام حواريّين له، فكانوا أنصار الله تعالى، حكى القرآن الكريم قولهم للنبيّ عيسى عليه السلام: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾[(7)]، وهو في ظاهره سؤال عن القدرة، فأجابهم النبيّ عيسى عليه السلام بمراعاة تقوى الله تعالى في أمرهم، والتأدّب في سؤال الله تعالى؛ لأنّ سؤالهم طَلَبٌ لنزول الآيات والمعاجز يوحي في ظاهره بعدم إيمانهم وتسليمهم لأمره تعالى، وقد كفاهم ما رأوه من المعاجز والآيات التي أجراها الله تعالى من قَبْلُ على يديه عليه السلام: ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[(8)]، فما كان منهم إلّا أنْ أوضحوا

(1) سورة النساء، الآية 171.
(2) سورة آل عمران، الآية 33.
(3) سورة الأنعام، الآية 85.
(4) سورة الأنعام، الآية 87.
(5) سورة مريم، الآيات 19، 31-33.
(6) سورة آل عمران، الآية 45.
(7) سورة المائدة، الآية 112.
(8) سورة المائدة، الآية 112.

مرادهم، وأنّهم يريدون التبرّك بالأكل منها، والاطمئنان بها في إيمانهم، ومشاهدة آية الإعجاز على يديه عليه السلام، والشهادة عليها في الدنيا والآخرة: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(1)، فما كان من عيسى عليه السلام إلّا أنْ توجّه إلى الله تعالى بتضرّع وخشوع وتأدّب في سؤاله تعالى، بما يليق بساحة الألوهيّة والربوبيّة؛ بأن ينزّل عليهم مائدة من السماء تكون بهجة وسروراً للحاضرين، وآية مشهودة لهم، وحجّة عليهم؛ ليأدّوها للناس من بعدهم: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(2)، فاستجاب الله تعالى له دعوته، متوّعداً الكافرين بها بالعذاب الأليم: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(3).

مؤامرة قتله عليه السلام ونجاته منها

بعد أنْ استنفد اليهود كلّ الوسائل لصدّ الناس عن رسالة عيسى عليه السلام، قرّروا التخلّص منه وقتله، ولكنّ الله تعالى أنجاه منهم، فأخذه من بينهم، ورفعه إليه بروحه وجسده إلى السماء، في عالم من العوالم المطهّرة، فطهّره من دنس الكافرين: ﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾(4)، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(5)، وألقى شبهه على رجل منهم، فصلبوه وقتلوه؛ ظنّاً منهم أنّه عيسى عليه السلام: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾(6)، وقد وعده الله تعالى أن يجعل أتباعه بالحقّ -ومنهم المسلمون- ظاهرين على اليهود إلى يوم القيامة:

(1) سورة المائدة، الآية 113.
(2) سورة المائدة، الآية 114.
(3) سورة المائدة، الآية 115.
(4) سورة المائدة، الآية 110.
(5) سورة آل عمران، الآيتان 54-55.
(6) سورة النساء، الآية 157.

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٥٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾[2]. وقد باء اليهود بسخط من الله تعالى، وبلعنة رُسُله؛ بفعل عصيانهم وكفرهم وعدوانهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[3]. ثمّ إنّه سيعيد الله تعالى نبيّه عيسى عليه السلام إلى عالم الدنيا في آخر الزمان؛ ليلقي الحجّة على متّبعيه زمان ظهوره، قبل أنْ يتوفّاه الله تعالى بالموت الدنيويّ: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾[4]، فيكون من أشراط الساعة، واقتراب الوعد الإلهيّ بالمعاد: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[5].

تنازع أتباع عيسى في أمره

حكى القرآن الكريم تنازع أتباع عيسى عليه السلام في أمره، بعد أنْ رفعه الله تعالى إليه، ونجّاه من مكر اليهود، بين قائل بصلبه وقتله، وبين نافٍ لذلك: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[6]، ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾[7]. وقد تفاقم الخلاف بين الموحّدين من أتباع عيسى عليه السلام، والوثنيّين منهم من بعده في تعاليم الإنجيل، إلى أنْ طغت الوثنية على هذه التعاليم في الأجيال اللاحقة، فغلوا في دينهم: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ

(1) سورة آل عمران، الآيات 55-57.
(2) سورة الصف، الآية 14.
(3) سورة المائدة، الآية 78.
(4) سورة النساء، الآية 159.
(5) سورة الزخرف، الآية 61.
(6) سورة النساء، الآيتان 157-158.
(7) سورة مريم، الآية 34.

مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(1)، وحرّفوا الإنجيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾(2)، وذهبوا إلى تأليه المسيح وأمّه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾(3)، ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾(4)، وإلى القول بعقيدة التثليث: الذات والأقانيم الثلاثة (الأب = أقنوم الوجود/ الابن = أقنوم العلم والكلمة/ الروح القدس = أقنوم الحياة): ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾(5). وقد ردّ عليهم القرآن الكريم عقائدهم المنحرفة: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾(6)، باستحالة الولد عليه تعالى في نفسه؛ لعدم كونه جسماً، وعدم احتياجه، وإطلاق ملكه وربوبيّته: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾(7)، ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(8)، وبأنّ عيسى عليه السلام وأمّه عليها السلام مثل باقي البشر، على الطبيعة البشريّة من الأكل والشرب والمرض والموت: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ

(1) سورة المائدة، الآية 77.
(2) سورة المائدة، الآية 14.
(3) سورة التوبة، الآيتان 30-31.
(4) سورة المائدة، الآية 72.
(5) سورة المائدة، الآية 73.
(6) سورة النساء، الآية 171.
(7) سورة النساء، الآية 171.
(8) سورة المائدة، الآية 17.

ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٧٥ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾[3]، والمسيح نفسه يقرّ ويشهد لله تعالى بالألوهيّة والربوبيّة، ويعدّ نفسه وأمّه من عباد الله تعالى، وأنّه قد أمرهم بعبادته تعالى وحده، وأنّه تعالى يشهد على ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾[4]، ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[5]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[6].

شهادته عليه السلام على أمّته

حكى القرآن الكريم شهادة النبيّ عيسى عليه السلام على قومه في الدنيا: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[7]، وشهادَته عليهم في آخر الزمان عندما يعود إليهم، ويقيم الحجّة عليهم باتّباع الدينِ الخاتم، والوصيِ الخاتم (الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف): ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ

(1) سورة آل عمران، الآية 59.
(2) سورة المائدة، الآيتان 75-76.
(3) سورة المائدة، الآية 17.
(4) سورة المائدة، الآيتان 116-117.
(5) سورة النساء، الآية 172.
(6) سورة المائدة، الآية 72.
(7) سورة المائدة، الآية 117.

مَوْتِهِۦۖ﴾[1]، وشهادته عليهم يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[2]، ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

دروس وعبر من قصّة النبيّ عيسى عليه السلام

بعد التأمّل في ما ورد في القرآن الكريم من قصّة النبيّ عيسى عليه السلام، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-تتابع الرسل عليهم السلام من السنن الجارية في الدعوة والتبليغ والإنذار: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾.

-التفاضل أمر واقع بين الرسل الإلهيّين عليهم السلام عند الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾.

-قدرة الله تعالى مطلقة، فلا يعجزه شيء: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

-الله تعالى يتعهّد أنبياءه عليهم السلام بالتربية والتعليم: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

-الله تعالى يُجري المعاجز على يدي أنبيائه عليهم السلام؛ تصديقاً لدعواهم الاتّصال بالغيب وتبليغ تعاليم السماء: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

(1) سورة النساء، الآية 159.
(2) سورة النساء، الآية 159.
(3) سورة المائدة، الآية 118.

-المعاجز والآيات البيّنات شاهد على صدق الدعوة، وتثبيت لإيمان المؤمنين: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

-لا حجّة للناس في كفرهم بعد الإتيان بالمعاجز والآيات: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

-رسل الله تعالى يصدّق اللاحق منهم بالسابق، ويبشّر باللاحق: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾.

-يوجد نسخ بين الشرائع، فاللاحقة تنسخ السابقة: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾.

-الله تعالى يؤيّد رسله عليهم السلام في دعواتهم بالأنصار المؤمنين: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ﴾.

-الله تعالى يحفظ رسله من السوء والمكاره، ويدفع عنهم أذى الظالمين: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

-شهادة الرسل عليهم السلام على أقوامهم في الدنيا والآخرة، وشهادة الله تعالى على جميع خلقه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

-لا تبعيض في الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله عليهم السلام: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

-سيرة بني إسرائيل ودأبهم تكذيبُ الرسل الإلهيّين عليهم السلام وقتلُهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

-شمول السخط الإلهيّ ولعنة الرسل عليهم السلام لبني إسرائيل إلى يوم القيامة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾.

-على العبد أن يتأدّب بأدب العبوديّة مع ربّه في سؤاله: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

-المرأة المؤمنة تُؤْثر الاحتجاب على الاختلاط، وتراعي آداب الاختلاط إذا ما اضطرّت إليه: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

-الله تعالى ينزل سكينته على عباده المؤمنين: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

-الله تعالى يحفظ عباده المؤمنين، ويصونهم من أذى الناس: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

-الله تعالى يرتضي العبادة التي يتبرّع بها العبد من تلقاء نفسه؛ تقرّباً إليه تعالى، ولكنْ من دون أن تؤدّي به إلى الابتداع في الدين، والانحراف عن الحقّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. أجرى الله تعالى على يدي نبيّه عيسى عليه السلام جملة من المعاجز، كانت بيّنات واضحة، وحُججاً بالغة على بني إسرائيل في دعوته لهم إلى رسالته. ومن هذه المعاجز: التكلّم في المهد، وخلق طير حيّ من الطين، وشفاء المرضى؛ كالأبكم والأبرص، وإحياء الموتى، وإخبار الناس ببعض أسرارهم وخفاياهم، وإنزال مائدة سماويّة على قومه.
2. اختار الله تعالى عيسى عليه السلام للنبوّة وللرسالة، وعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة، وآتاه الإنجيل، وجعله من الأنبياء أولي العزم، واصطفاه للإمامة، وأيّده بروح القدس.
3. اتّخذ النبيّ عيسى عليه السلام حواريّين له، فكانوا أنصار الله تعالى. وقد حكى القرآن قصّة سؤالهم إنزال مائدة من السماء.
4. بعد أنْ استنفد اليهود كلّ الوسائل لصدّ الناس عن رسالة عيسى عليه السلام، قرّروا التخلّص منه وقتله، ولكنّ الله تعالى أنجاه منهم، فأخذه من بينهم، ورفعه إليه.
5. تنازع أتباع عيسى عليه السلام في أمره بعد أنْ رفعه الله تعالى إليه ونجّاه من مكر اليهود، بين قائل بصلبه وقتله، وبين نافٍ لذلك. وقد تفاقم الخلاف بين الموحّدين من أتباع عيسى عليه السلام والوثنيّين منهم من بعده في تعاليم الإنجيل، إلى أنْ طغت الوثنية على هذه التعاليم في الأجيال اللاحقة، فغلوا في دينهم.

فكّر وأجب

1. ما أبرز المعاجز التي أجراها الله تعالى على يدي نبيّه عيسى عليه السلام ؟
2. تكلّم عن قصّة طلب الحواريّين من النبيّ عيسى عليه السلام إنزال مائدة من السماء.
3. بيّن مؤامرة قتل اليهود للنبيّ عيسى عليه السلام، وكيف أنجاه الله تعالى منهم؟

مطالعة

عن سعد بن عبد الله، حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن يزيد الكناسي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أكان عيسى حين تكلّم في المهد حجّة الله جلّت عظمته على أهل زمانه؟ قال: «**كان يومئذ نبيّاً حجّة على زكريّا في تلك الحال؛ وهو في المهد. وقال: كان في تلك الحال آية للناس، ورحمة من الله لمريم عليها السلام حين تكلّم وعبّر عنها، ونبيّاً وحجّة على مَنْ سمع كلامه في تلك الحال، ثمّ صمت، فما تكلّم حتّى مضت له سنتان، وكان زكريّا عليه السلام الحجّة على الناس بعد صمت عيسى سنتين. ثمّ مات زكريّا، فورثه يحيى عليه السلام في الكتاب والحكمة، وهو صبيّ صغير، فلمّا بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين، تكلّم بالنبوّة حين أوحى الله تعالى إليه، وكان عيسى الحجّة على يحيى وعلى الناس أجمعين. وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجّة الله على الناس، منذ خلق الله آدم عليه السلام**». قلت: أوكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام حجّة من الله ورسوله إلى هذه الأمّة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: «**نعم، وكانت طاعته واجبة على الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد وفاته، ولكنّه صمت ولم يتكلّم مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمّته، وعلى عليّ معهم في حال حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عليّ حكيماً عالماً**»[1].

(1) الراوندي، قصص الأنبياء عليهم السلام، مصدر سابق، ص265.

الدرس الخامس عشر

النبيّ محمّد ﷺ (1)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصّة النبيّ محمّد ﷺ الواردة في القرآن الكريم، منذ ولادته إلى هجرته من مكّة إلى المدينة.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيّ محمّد ﷺ في هذه المحطّات من دعوته.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من هذه المحطّات من قصّة النبيّ محمّد ﷺ.

قصّة النبيّ محمّد ﷺ

هو محمّد بن عبد الله، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب، وينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو من الأنبياء العرب، ومن قبيلة قريش. وُلدَ في مكّة من العام 570 بعد ميلاد المسيح[1] عليه السلام. ورد ذِكْره في القرآن في مواضع كثيرة جدّاً، نكتفي بذِكْر مواضع منها، ممّا يتناول شخصيّته الشريفة، وصفاته وأخلاقه ومعاجزه، والخطوط العامّة لسيرته التبليغيّة، وخصائص رسالته، على أمل إفراد دراسة تفسيريّة موضوعيّة عن النبيّ محمّد ﷺ في القرآن بنحو مفصّل في كتاب خاصّ. ومن المواضع التي ورد فيها ذِكْر النبيّ محمّد ﷺ في القرآن[2]: قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ

---

(1) انظر: الحميريّ، ابن هشام، السيرة النبويّة، تحقيق وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، لا ط، القاهرة، مطبعة المدني؛ مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، 1383هـ.ق/ 1963م، ج1، ص1.

(2) انظر: سورة البقرة، الآيات 119-120، 151، 285، سورة آل عمران، الآيات 144-145، 164، سورة النساء، الآيات 41-42، 54، 79-80، 163-166، 170، سورة المائدة، الآية 67؛ سورة الأنعام، الآيات 50-52، 87-90، 162-164، سورة الأعراف، الآيات 93، 157-158، 184، 188، 199-200، سورة التوبة، الآيات 33، 28-29، سورة الحجر، الآيات 88، 90-99، سورة النحل، الآية 89، سورة الإسراء، الآيات 1، 47-48، 73-81، سورة الكهف، الآية 110، سورة طه، الآيتان 113-114، سورة الأنبياء، الآيات 34-35، 107-109، سورة الحج، الآية 78، سورة المؤمنون، الآيات 68-96، سورة الفرقان، الآيات 7-11، 20، 41-43، 56-58، سورة الشعراء، الآيات 3، 213-220، سورة القصص، الآيات 85-88، سورة العنكبوت، الآيتان 47-48؛ سورة الأحزاب، الآيات 1-6، 33، 37-40، 45-48، 50-58، سورة سبأ، الآيات 20، 46-50؛ سورة فاطر، الآيات 23-26؛ سورة يس، الآيات 3-11، سورة ص، الآيات 86-88، سورة الزمر، الآيات 11-15، 30-31، سورة فصّلت، الآية 6؛ سورة الشورى، الآيات 24، 51-53، سورة الدخان، الآية 58؛ سورة محمّد، الآية 2، سورة الفتح، الآيات 1-3، 8-10، 28-29، سورة الذرايات، الآيتان 54-55؛ سورة الطور، الآيات 29-31، 48-49؛ سورة النجم، الآيات 1-18، سورة الحديد، الآيتان 8-9، سورة الطلاق، الآية 11، سورة التحريم، الآيات 1-5؛ سورة القلم، الآيات 2-9، 12، سورة الحاقّة، الآيات 38-47؛ سورة الجنّ، الآيات 20-23؛ سورة المزمّل، الآيات 1-10، 20، سورة المدّثر، الآيات 1-7، سورة الإنسان، الآيات 23-24، 26؛ سورة التكوير، الآيات 21-25، سورة الضحى، الآيات 1-11، سورة الشرح، الآيات 1-8، سورة البيّنة، الآيات 1-3، سورة الكوثر، الآيات 1-3. وقد أوردنا هذه الآيات في آخر الكتاب، آيات قصص الأنبياء عليهم السلام، النبيّ محمّد ﷺ.

ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم
مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ
ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ
مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ
وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ
نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ
بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ
مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمٗا﴾[1].

وبالتأمّل في هذه الآيات وغيرها من الآيات التي ورد فيها ذِكْر النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، يمكن استخلاص قصّته وفق التفصيل التالي:

ولادة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ونشأته

لم يتعرّض القرآن الكريم لبيان محطّة ولادة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ونشأته إلى حين بلوغه أربعين سنة قبل بعثته بالرسالة إلّا بنحو إجماليّ، وورد ذِكْرها بنحو مفصّل في المصادر الحديثيّة والتاريخيّة[2]، حيث ذكرت أنّه كان يتيم الأب، وهو في الشهرين من عمره، ثمّ أخذه جدّه عبد المطّلب إلى البادية؛ خوفاً عليه من الكفّار والمشركين واليهود الذين كانوا يتحيّنون ولادته الشريفة من التوراة، ووضعه عند حليمة السعديّة التي اعتنت به، ثمّ أعاده جدّه إلى مكّة، فعاش قليلاً في كنف جدّه وأمّه آمنة بنت وهب، إلى أنْ تُوفّيت أمّه وهو بعمر أربع سنوات، ثمّ تعهّده جدّه بالرعاية إلى أنْ وافته المنيّة،

---

(1) سورة النساء، الآيات 41-42، 54، 79-80، 163-166، 170.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص439-440؛ ابن هشام الحميري، السيرة النبويّة، مصدر سابق، ج1، ص103-152.

وكان النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حينها بعمر ثماني سنوات، فكفله من بعده عمّه أبو طالب: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾[1]، ثمّ ذهب مع عمّه أبي طالب في تجارة إلى الشام، وهو حينها بعمر ثلاث عشرة سنة، فاطّلع الراهب بحيرا عليه، وتوسّم فيه علامات النبوّة التي كانت معهودة عندهم في كتابهم المقدّس لنبيّ آخر الزمان. عُرِف عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صدقه وأمانته وفطنته وتدبيره، فطلبت منه السيّدة خديجة بنت خويلد أنْ يتاجر لها بمالها، فوافق على ذلك: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[2]، ثمّ تزوّجها وأنجب منها السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام. وقد حكى القرآن قصّة هبة الله تعالى السيّدةَ فاطمة لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، بعد أن عيّرته قريشٌ بانقطاع الولد: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[3]. وكان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم نبيّاً منذ ولادته، وكان مسدّداً ومؤيّداً بروح القدس، ومكلّماً من الملائكة، وقد قرن الله تعالى به -منذ أنْ كان فطيماً- ملَكاً من ملائكته، يتعهّده بالحفظ والرعاية والتربية، إلى أنْ بعثه بالرسالة[4]؛ فكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عالماً وعاملاً بروح شريعة الإسلام، وإنْ لم يكن عالماً بتفاصيلها، ومتلبّساً بالعمل بها قبل بعثته الشريفة: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[5]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[6].

---

(1) سورة الضحى، الآية 6. ورد في الرواية المأثورة عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ المراد من الآية: «فرداً لا مثل لك في المخلوقين؛ فآوى الناس إليك»، راجع:الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج10، ص384.

(2) سورة الضحى، الآية 8. ورد في الرواية المأثورة عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ المراد من الآية: «تعول أقواماً بالعلم؛ فأغناهم بك»، راجع: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج10، ص384.

(3) سورة الكوثر، الآيات 1-3.

(4) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ج1، الخطبة192(القاصعة)، ص157.

(5) سورة الضحى، الآية 7. ورد في الرواية المأثورة عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ المراد من الآية: «ضالّة في قوم لا يعرفون فضلك؛ فهداهم إليك»، راجع: الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج10، ص384.

(6) سورة الشورى، الآية 52.

بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

بعد أنْ بلغ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أربعين سنة، وعندما كان يتعبّد ذات يوم في غار حراء، نزل عليه الملك جبرائيل عليه السلام، وبشّره ببعثه رسولاً[1]: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[2]، فآتاه الله تعالى القرآن الكريم: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[3]، وأوحاه إليه دفعةً وتدريجاً: ففي الوحي الدفعيّ كان نزول حقيقة القرآن على قلب النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة القدر: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[4]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾[5]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[6]، وفي الوحي التدريجيّ كان نزول هذه الحقيقة بثوب الألفاظ على قلبه الشريف طيلة مدّة بعثته المباركة: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾، ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾[7]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[8].

وكان النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ينزل عليه الوحي مباشرة من دون واسطة[9]، وبنحو غير مباشر، عبر واسطة؛ وهي إرسال ملَك؛ وهو جبرائيل عليه السلام، وتارة كان يأتيه بصورته

---

(1) تفسير الإمام العسكريّ، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهديّ (عج)، ط1، قمّ المقدّسة، مطبعة مهر، 1409هـ.ق، ص156-157.

(2) سورة العلق، الآيات 1-5. والمشهور أنّ يوم مبعثه الشريف كان في السابع والعشرين من شهر رجب الأصبّ.

(3) سورة الأنعام، الآية 19.

(4) سورة البقرة، الآية 185.

(5) سورة الدخان، الآية 3.

(6) سورة القدر، الآية 1.

(7) سورة الإسراء، الآية 106.

(8) سورة طه، الآيتان 113-114.

(9) الشيخ الصدوق، التوحيد، مصدر سابق، ص115؛ ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، تصحيح وشرح ومقابلة لجمة من أساتذة النجف الأشرف، لا ط، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، 1376هـ.ق/1956م، ج1، ص41.

الحقيقيّة: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[1]، وتارة متمثّلاً بصورة رجل[2]، أو عبر الرؤية الصادقة في المنام، كما في رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم في منامه أنّه رجع إلى مكّة قاصداً الحجّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3].

معاجز النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

أجرى الله تعالى على يدَي نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم جملة من المعاجز، أبرزها القرآن الكريم الذي تحدّى به العربَ والإنس والجنّ على أنْ يأتوه بمثله، وتدرّج معهم في التحدّي إلى الإتيان بحديث من مثل القرآن، ثمّ أخبرهم بعدم قدرتهم على إتيانهم بذلك الآن ولا في مستقبل الأيام، وعن عجزهم أمامه، وعن سبب عجزهم الكامن في حقيقة القرآن، وعن أنّه من علم الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[4]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[5]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[6]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[7]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ

---

(1) سورة النجم، الآيات 5-17.
(2) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق، ص85-86.
(3) سورة القصص، الآية 85.
(4) سورة الإسراء، الآية 88.
(5) سورة يونس، الآية 38.
(6) سورة هود، الآية 13.
(7) سورة الطور، الآيتان 33-34.

تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

ومن المعاجز الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم له صلى الله عليه وآله وسلم: شقّ القمر، حيث اشترط عليه مشركو قريش أن يشقّ لهم القمر نصفين حتّى يؤمنوا له، ولمّا فعل ذلك، أعرضوا عنه، واتّهموه بالسحر: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾[2]. والإسراء والمعراج، حيث أسرى الله تعالى برسوله صلى الله عليه وآله وسلم بجسده وروحه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[3]، ثمّ عرج به إلى السماء؛ ليشاهد من آيات العظمة الإلهيّة في الوجود: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾[4]. ومباهلة نصارى أهل نجران الذين شكّكوا بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعاليم دينه، فدعاهم إلى المباهلة، وأحضر معه الإمام عليّاً عليه السلام والسيّدة الزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، ولمّا وجد النصارى أنّ العذاب مُحدق بهم فيما لو باهلوهم، أعرضوا عن ذلك، وقَبِلوا بحكم أهل الذمّة الذي أنزلهم عليه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[5]. وإخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيب من قصص الأنبياء عليهم السلام والأمم الغابرة: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ

(1) سورة البقرة، الآيتان 23-24.
(2) سورة القمر، الآيتان 1-2.
(3) سورة الإسراء، الآية 1.
(4) سورة النجم، الآيات 1-18.
(5) سورة آل عمران، الآية 61.

مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1]، ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾[2]، وحوادث المستقبل: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾[3]، ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4].

ويوجد معاجز أخرى له صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكرها القرآن صريحاً، وأشار إلى وقوعها وإنكار الكافرين لها: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾[5]، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ﴾[6]، ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7]، وقد بيّنتها الروايات المأثورة بنحو صريح[8].

صفات النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

وصف القرآن الكريم النبيّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بجملة من الصفات، منها: البشير والنذير: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾[9]، ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[10]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[11]، والسراج المنير لطريق الحقّ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ

(1) سورة هود، الآية 49.
(2) سورة آل عمران، الآية 44.
(3) سورة الفتح، الآية 27.
(4) سورة الروم، الآيات 2-5.
(5) سورة الصافات، الآيتان 14-15.
(6) سورة الأنعام، الآية 25.
(7) سورة آل عمران، الآية 86.
(8) الحرّ العامليّ، الشيخ محمّد بن الحسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، تقديم شهاب الدين المرعشي النجفيّ، تخريج أحاديث علاء الدين الأعلميّ، ط1، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، 1425هـ.ق/ 2004م، ج1، ص239-436.
(9) سورة البقرة، الآية 119.
(10) سورة الأعراف، الآية 188.
(11) سورة الإسراء، الآية 105.

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1]، والغيور والحريص على الناس ومصالحهم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، والرؤوف والرحيم: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، والمتواضع: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، والأمّيّ[5]: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾[6]، وصاحب الخُلق العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[7]، والكريم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[8]، والعادل: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[9].

مقام النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومنزلته عند الله تعالى

أثنى القرآن الكريم على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فعدّه من المطهَّرين: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[10]، ومن المجتبَين والهداة المهديِّين إلى صراط مستقيم: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[11]، ومن الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ

(1) سورة الأحزاب، الآية 46.
(2) سورة التوبة، الآية 128.
(3) سورة التوبة، الآية 128.
(4) سورة الحجر، الآية 88.
(5) قيل: نسبة إلى مكّة؛ وهي أمّ القرى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، وقيل: نسبة إلى أمّة العرب التي لم يكن عندها كتاب سماويّ قبل القرآن: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 75)، وقيل: لم يكنْ يقرأ ولا يكتب، حتّى لا يُتّهم بالنقل من كتب سماويّة سابقة: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، ثمّ آتاه الله تعالى عند بعثه إيّاه ذلك علما لَدُنيّا دفعيًّا من غير تدرّج في التعليم وتقويم للتعلّم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وقيل: لم يُعهَد منه القراءة والكتابة بين الناس قبل بعثته، مع كونه حينها قارئا وكاتبا.
(6) سورة الأعراف، الآية 157.
(7) سورة القلم، الآية 4.
(8) سورة الحاقة، الآية 40.
(9) سورة الشورى، الآية 15.
(10) سورة الأحزاب، الآية 33.
(11) سورة الأنعام، الآية 87.

ﭐلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، ومن المسلمين: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2]، ﴿جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾[3]، ومن الصالحين في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4]، ومن الأنبياء أولي العزم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[5]، ومن الذين اختصّهم الله تعالى بمقام الإمامة من ذريّة إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6]، ومن المأخوذ منه وله الميثاق من الأنبياء عليهم السلام: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾[7]، ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[8]، والشهيد على جميع الأنبياء والرسل والأوصياء (له)، وعلى أقوامهم: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ

(1) سورة التوبة، الآية 119.
(2) سورة البقرة، الآيتان 128-129.
(3) سورة الحج، الآية 78.
(4) سورة الأعراف، الآية 196.
(5) سورة الشورى، الآية 13.
(6) سورة البقرة، الآية 124.
(7) سورة الأحزاب، الآية 7.
(8) سورة آل عمران، الآية 81.

بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[1]، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾[2]، وعلى الأئمّة عليهم السلام من أهل بيته: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[3]، وصاحب المقام المحمود يوم القيامة؛ وهو الشفاعة[4]: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[5]، صلاة الله تعالى وملائكته وعباده عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[6].

خصائص القرآن الكريم ورسالته

يشتمل القرآن الكريم ورسالته على جملة من الخصائص، منها:

هيمنة القرآن ورسالته على الشرائع الإلهيّة السابقة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ ۝٤٤ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ﴾[7]، وكون القرآن الكريم أقوم الهدايات المطروحة للبشريّة، ومنهج حياة طيّبة

---

(1) سورة النساء، الآية 41.

(2) سورة النحل، الآية 89.

(3) سورة الحج، الآية 78.

(4) المجلسيّ، العلامة محمّد باقر، بحار الأنوار، تحقيق يحيى العابدي الزنجاني، ط2، بيروت، مؤسّسة الوفاء، 1403هـ.ق/ 1983م، ج8، ص48-49.

(5) سورة الإسراء، الآيتان 78-79.

(6) سورة الأحزاب، الآية 56.

(7) سورة المائدة، الآيات 44، 46، 48.

لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[3]، وهو منسجم مع فطرتهم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[4]، وكون كلام القرآن أحسن الحديث: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[5]، وشفاءً للقلوب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[6]، وعمومُ رسالة القرآن: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[7]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[8]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[9]، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾[10]، ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[11]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[12]، وشموليّة الرسالة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وخاتميّة الرسالة: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[13]،

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 9.
(2) سورة النحل، الآية 89.
(3) سورة إبراهيم، الآية 1.
(4) سورة الروم، الآية 30.
(5) سورة الزمر، الآية 23.
(6) سورة يونس، الآية 57.
(7) سورة الأعراف، الآية 158.
(8) سورة الأنبياء، الآية 107.
(9) سورة سبأ، الآية 28.
(10) سورة الأنعام، الآية 19.
(11) سورة النساء، الآية 79.
(12) سورة الفرقان، الآية 1.
(13) سورة الأحزاب، الآية 40.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[1]، ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[2]، ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١١٤ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[3]، وصيانته عن التحريف: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[5].

سيرة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم التبليغيّة في مكّة المكرّمة

كان أوّل من أسلم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من النساء زوجته خديجة عليها السلام، ومن الرجال ابن عمّه عليّ بن أبي طالب[6] عليه السلام. وقد أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بالصدع بالرسالة وإظهارها للعلن والقيام بتبليغها: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[7]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ

(1) سورة فصلت، الآيتان 41-42.
(2) سورة الأنعام، الآية 19.
(3) سورة الأنعام، الآيتان 114-115.
(4) سورة الحجر، الآية 9.
(5) سورة فصلت، الآيتان 41-42.
(6) الشيخ الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج5، ص112؛ ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، مصدر سابق، ج1، ص288-295.
(7) سورة الحجر، الآية 94.

﴿هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾[2]، والابتداء بعشيرته الأقربين في العام الثالث لبعثته الشريفة: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[3]، ثمّ بأهل مكّة وما حولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[4]، ثمّ بتبليغ العالمين وإنذارهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[5]. وبعد أنْ ظهرت الدعوة الإسلاميّة إلى العلن، بدأ كفّار قريش ومشركوها بالتضييق على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومن آمن معه، ولا سيّما كبارهم الذين سخروا من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واستهزأوا به: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[6]، ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٩٦ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[7]، وكفروا بدعوته، وتمسّكوا بتقليدهم الأعمى لآبائهم في عبادة الأصنام والأوثان: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ﴾[8]، وبذلوا جهدهم في صدّ الناس عن دعوته؛ بإثارة الشبهات على التوحيد: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾[9]، وعلى

(1) سورة المزمّل، الآيات 1-11.
(2) سورة المدّثّر، الآيات 1-7.
(3) سورة الشعراء، الآيات 214-220.
(4) سورة الشورى، الآية 7.
(5) سورة الأنبياء، الآية 107.
(6) سورة الفرقان، الآية 41.
(7) سورة الحجر، الآيات 95-97.
(8) سورة الفرقان، الآية 42.
(9) سورة ص، الآية 5.

الوحي: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾[1]، ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾[2]، ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾[3]، وعلى المعاد: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[4]، ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾[5]، ﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[6]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ﴾[7]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[8]، ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾[9]، ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾[10]، وكالوا له صنوف التهم، فاتّهموه بالكذب والافتراء: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ

(1) سورة ص، الآيتان 4، 8.
(2) سورة الفرقان، الآيتان 7-8.
(3) سورة الأنعام، الآية 8.
(4) سورة المؤمنون، الآيتان 82-83.
(5) سورة الجاثية، الآية 32.
(6) سورة هود، الآية 7.
(7) سورة سبأ، الآيتان 7-8.
(8) سورة سبأ، الآية 3.
(9) سورة ق، الآية 3.
(10) سورة السجدة، الآية 10.

عُجَابٌ﴾[1]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾[2]، وبالجنون: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[3]، ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾[4]، ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[5]، وبطلب الجاه والسلطة: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[6]، وبالسحر: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[7]، ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[8]، وبالكهانة والضرب بالغيب: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾[9]، وبالشِّعر: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[10]. ولكنّ النبيّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم صبر على أذاهم، محتسباً في جنب الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[11]، وواجه شبهاتهم وتهمهم بحكمة وبصيرة، فردّ شبهتهم على التوحيد باستحالة وجود أكثر من إله، وبكونه تعالى أحديّ الذات، وحدتُه قهّاريّة تنفي تصوّر كلّ شريك مفترَض: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[12]، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[13]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا

(1) سورة ص، الآيتان 4 ـ 5.
(2) سورة التكوير، الآية 25.
(3) سورة الإسراء، الآية 47.
(4) سورة الطور، الآية 29.
(5) سورة القلم، الآية 2.
(6) سورة ص، الآية 86.
(7) سورة ص، الآيتان 4-5.
(8) سورة القمر، الآية 2.
(9) سورة الطور، الآية 29.
(10) سورة الطور، الآية 30.
(11) سورة الحجر، الآيات 97-99.
(12) سورة الأنبياء، الآية 22.
(13) سورة البقرة، الآية 163.

لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]، ﴿أَمۡ
خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦
أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم
بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ
٤٠ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤١ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ
٤٢ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[2]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ
٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[3]، وعلى الوحي بأنّه ممكن عقلاً، وواقع فعلاً، فيه وفي غيره من الأنبياء السابقين عليهم السلام، وبأنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي أن يكون الرسول المُوحَى إليه من جنسهم ليتحقّق التبليغ والإنذار: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ
كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ
قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا
مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمٗا﴾[4]، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[5]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ
إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ
وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾[6]، ﴿وَلَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ
٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾[7]، وعلى المعاد بأنّ الله تعالى قادر عليه، وعالم بهم وحافظ لهم: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ

(1) سورة المؤمنون، الآية 91.
(2) سورة الطور، الآيات 35-43.
(3) سورة الإخلاص، الآيات 1-4.
(4) سورة النساء، الآيات 163-165.
(5) سورة الكهف، الآية 110.
(6) سورة الفرقان، الآية 20.
(7) سورة الأنعام، الآيتان 8-9.

وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾[1]، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[2]، ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[3]، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، وبكون المعاد من لوازم هدفيّة الخلق: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[5]، وكونه تعالى الحقّ المطلق: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[6]، وأنّ نظام التكوين يُرشد إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[7]، وأنّه مقتضى العدل الإلهيّ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[8]، وأنّه مقتضى تحقّق الوعد والوعيد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

---

(1) سورة ق، الآية 4.
(2) سورة لقمان، الآية 28.
(3) سورة السجدة، الآيتان 10-11.
(4) سورة الزمر، الآية 42.
(5) سورة المؤمنون، الآية 115.
(6) سورة الحجّ، الآيتان 6-7.
(7) سورة الحج، الآيتان 5-6.
(8) سورة ص، الآية 28.

وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾[1]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾[2]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[3]، وأنّه مقتضى الرحمة الإلهيّة: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[4]، ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[5]، وأنّه مقتضى ختم مسيرة التكامل الإنسانيّ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾[6]، وأنّه مقتضى الربوبيّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾[7]. كما فنّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تهمهم وأبطلها، فردّ تهمة الكذب والافتراء بأنّه قد جاءهم بالحقّ من ربّهم، وهو أمين على هدايتهم، لا يبخل عليهم بشيء ممّا أوحي إليه، ولا يكتمه ولا يغيّره، وهم لم يعهدوا منه إلّا الصدق، وقد لبث فيهم عمراً، ولم يعهدوا منه الإتيان بمثل هذا الكلام المعجز: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ

(1) سورة البقرة، الآيتان 161-162.
(2) سورة النساء، الآية 57.
(3) سورة آل عمران، الآية 9.
(4) سورة الأنعام، الآية 12.
(5) سورة الروم، الآية 50.
(6) سورة المؤمنون، الآيات 12-16.
(7) سورة الإنشقاق، الآيات 6-12.

بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[2]، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾[3]، ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٤٨ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾[4]، ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[5]، وتهمة الجنون، بأنّ ما أتاهم به من بيان حقّ وحكمة لا يصدر عن مجنون، والحال أنّهم هم أنفسهم كانوا يشهدون له برجاحة العقل، وسداد الرأي، قبل دعوته فيهم: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾[6]، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾[7]، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾[8]، وتهمة طلب المال والجاه، بأنّه لم يسألهم أجراً على تبليغه للرسالة: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾[9]، ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾[10]، ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾[11]، ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾[12]، وتهمة السحر بأنّ ما جاءهم به هو

---

(1) سورة الشورى، الآية 24.
(2) سورة النجم، الآيتان 3-4.
(3) سورة التكوير، الآية 24.
(4) سورة سبأ، الآيات 48-50.
(5) سورة يونس، الآية 16.
(6) سورة الأعراف، الآية 184.
(7) سورة سبأ، الآية 46.
(8) سورة التكوير، الآيتان 22-23.
(9) سورة ص، الآية 86.
(10) سورة الشورى، الآية 23.
(11) سورة سبأ، الآية 47.
(12) سورة الفرقان، الآية 57.

آيات بيّنات معجزة من ربّهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(1)، ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(2)، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾(3)، ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(4)، وتهمة الشعر والكهانة بأنّه جاءهم من عند الله تعالى بالحقّ الذي ليس من سنخ الشعر وأباطيل الشعراء، وليس من تخرّصات الكهنة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾(5). وقد أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من آمن معه بالصبر على أذى الكفّار والمشركين، حتى يجعل الله تعالى لهم عليهم سبيلاً: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(6)، وأمر بعض المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، ثمّ لحقهم جمع آخرون، على رأسهم جعفر بن أبي طالب(7) عليه السلام. وبلغ التضييق على المسلمين مبلغاً بأنْ حاصرهم كفّار قريش ومشركوها في شُعَبِ أبي طالب عليه السلام، وفَقَدَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الفترة من الحصار زوجته خديجة عليها السلام وعمّه أبا طالب عليه السلام. وبعد أنْ صمّمت قريش على قتل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأصبحت الفرصة مؤاتية لإقامة دولة الإسلام الفتيّة في المدينة

(1) سورة سبأ، الآية 43.
(2) سورة البقرة، الآية 99.
(3) سورة الحج، الآية 16.
(4) سورة العنكبوت، الآية 49.
(5) سورة الحاقة، الآيات 40-47.
(6) سورة الأحزاب، الآية 48.
(7) ابن هشام، السيرة النبويّة، مصدر سابق، ج1، ص213-227.

المنوّرة بعد بيعة العقبة الأولى والثانية مع طائفة من أهل المدينة[1]، أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ آمن معه بالهجرة إليها[2].

وقد اتّسمت الدعوة في المرحلة المكّيّة بالتركيز على الأصول العقديّة، ونقل الناس من الكفر والشرك إلى التوحيد، ومن إنكار المعاد إلى إثباته والإيمان به، وإثبات الوحي والنبوّة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأصول القيَميّة والأخلاقيّة، مع بيان جملة من التشريعات والتكاليف[3].

(1) ابن هشام، السيرة النبويّة، مصدر سابق، ج2، ص294-319.

(2) المصدر نفسه، ص330-341؛ الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص440.

(3) سورة العلق، سورة القلم، سورة المزمل، سورة المدثر، سورة الفاتحة، سورة المسد، سورة التكوير، سورة الأعلى، سورة الليل، سورة الفجر، سورة الضحى، سورة الشرح، سورة العصر، سورة العاديات، سورة الكوثر، سورة التكاثر، سورة الماعون، سورة الكافرون، سورة الفيل، سورة الفلق، سورة الناس، سورة الإخلاص، سورة النجم، سورة عبس، سورة القدر، سورة الشمس، سورة البروج، سورة التين، سورة قريش، سورة القارعة، سورة القيامة، سورة الهمزة، سورة المرسلات، سورة ق، سورة البلد، سورة الطارق، سورة القمر، سورة ص، سورة الأعراف، سورة الجن، سورة يس، سورة الفرقان، سورة فاطر، سورة مريم، سورة طه، سورة الواقعة، سورة الشعراء، سورة النمل، سورة القصص، سورة الإسراء، سورة يونس، سورة هود، سورة يوسف، سورة الحجر، سورة الأنعام، سورة الصافات، سورة لقمان، سورة سبأ، سورة الزمر، سورة غافر، سورة فصلت، سورة الشورى، سورة الزخرف، سورة الدخان، سورة الجاثية، سورة الأحقاف، سورة الذاريات، سورة الغاشية، سورة الكهف، سورة النحل، سورة نوح، سورة إبراهيم، سورة الأنبياء، سورة المؤمنون، سورة السجدة، سورة الطور، سورة الملك، سورة الحاقة، سورة المعارج، سورة النبأ، سورة النازعات، سورة الانفطار، سورة الانشقاق، سورة الروم، سورة العنكبوت، سورة المطففون.

الأفكار الرئيسة

1. بعث الله تعالى نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، وآتاه القرآن الكريم، وجعله من الأنبياء أولي العزم، وكان آخر الأنبياء عليهم السلام مطلقاً، واصطفاه للإمامة، وجعلها في أهل بيته من ذرّيّة ابنته فاطمة عليها السلام، وهو شهيد على الخلق وأنبيائهم ورسلهم وأوصيائهم.
2. أجرى الله تعالى جملة من المعاجز على يدي نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، منها: القرآن الكريم، شقّ القمر، الإسراء والمعراج، مباهلة نصارى نجران.
3. من خصائص رسالة الإسلام وكتابها الكريم: العالَميّة، والخاتميّة، والشموليّة، والهيمنة على الكتب السابقة، والهداية إلى الحياة الطيّبة.
4. أمر الله تعالى نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ الدعوة، والابتداء بعشيرته الأقربين، ثمّ أهل مكّة وما حولها، ثمّ العالَمين.
5. اتّسمت الدعوة في المرحلة المكّيّة بالتركيز على الأصول العقديّة، ونقل الناس من الكفر والشرك إلى التوحيد، ومن إنكار المعاد إلى إثباته والإيمان به، وإثبات الوحي والنبوّة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأصول القيَميّة والأخلاقيّة، مع بيان جملة من التشريعات والتكاليف.

فكّر وأجب

1. ما أبرز المعاجز التي أجراها الله تعالى على يدي نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟ وما خصوصيّة معجزة القرآن الكريم؟
2. ما خصائص رسالة الإسلام وكتابها الكريم؟
3. تكلّم عن السيرة التبليغيّة للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في المرحلة المكّيّة، واذكر أهمّ الدروس والعِبَر المستفادة منها.

مطالعة

عن الإمام عليّ عليه السلام: «ولقد قرَنَ الله به من لدُن أن كان فطيماً، أعظم مَلك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره...»[1].

وعن الإمام العسكريّ عليه السلام: «فلمّا استكمل أربعين سنة، نظر الله عزّ وجلّ إلى قلبه، فوجده أفضل القلوب، وأجلّها، وأطوعها، وأخشعها، وأخضعها، فأذن لأبواب السماء ففُتّحت، ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليهم، وأمر بالرحمة، فأنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمّد وغمرته، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوّق بالنور، طاووس الملائكة هبط إليه، وأخذ بضبعه وهزّه، وقال: يا محمّد، اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمّد ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، ثمّ أوحى [إليه] ما أوحى إليه ربّه عزّ وجلّ»[2].

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ج1، الخطبة192(القاصعة)، ص157.
(2) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، مصدر سابق، ص156-157.

الدرس السادس عشر

النبيّ محمّد ﷺ (2)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قصّة النبيّ محمّد ﷺ الواردة في القرآن الكريم منذ هجرته من مكّة إلى المدينة إلى آخر عمره الشريف.
2. يستفيد من السيرة التبليغيّة للنبيّ محمّد ﷺ في المدينة المنورة.
3. يستلهم الدروس والعِبَر والتعاليم الإلهيّة من قصّة النبيّ محمّد ﷺ في المدينة المنورة.

سيرة النبيّ محمّد ﷺ التبليغيّة بعد هجرته إلى المدينة المنوّرة

عند خروج النبيّ ﷺ من مكّة المكرّمة، مرّ على غار ثور، مستتراً عن عيون قريش: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، وبات الإمام عليّ عليه السلام على فراشه ﷺ فداءً له: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2]، ثمّ توجّه النبيّ ﷺ قاصداً المدينة المنوّرة. ومنذ بدء وصوله إلى المدينة، عمل على بناء مسجد للمسلمين: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[3]، وآخى بينهم[4]: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[5]، وأعدّ جيش الإسلام: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[6]، وعقد وثيقة المدينة مع اليهود[7]؛ حتّى يأمن شرّهم،

---

(1) سورة التوبة، الآية 40.
(2) سورة البقرة، الآية 207.
(3) سورة التوبة، الآية 108.
(4) ابن هشام الحميريّ، السيرة النبويّة، مصدر سابق، ج2، ص351-353.
(5) سورة آل عمران، الآية 103.
(6) سورة الأنفال، الآية 60.
(7) ابن هشام الحميريّ، السيرة النبويّة، مصدر سابق، ج2، ص348-351.

ويتفرّغ لتأسيس نواة الدولة الإسلاميّة. وفي بداية الهجرة المباركة، جاءه الأمر الإلهيّ بتغيير قبلة المسلمين من بيت المقدس في فلسطين إلى الكعبة المشرّفة في مكّة: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1].

واتّسمت دعوته صلى الله عليه وآله وسلم في المرحلة المدنيّة بتأكيد الأصول العقديّة، وتعميقها فكريّاً ومسلكيّاً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأصول القيميّة والأخلاقيّة، والتركيز في تفصيل الأصول التشريعيّة وتكاليفها الفرديّة والاجتماعيّة[2].

وحكى القرآن الكريم حادثة زواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من زينب؛ طليقة ربيبه زيد، وما لهذا الأمر من تعليم تشريعيّ وتربويّ للمسلمين: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ٣٧ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ٣٨ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[3].

وقد واجه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في نشر دعوته وتثبيتها في هذه المرحلة المدنيّة موانع عدّة، تمثّلت:

---

(1) سورة البقرة، الآية 144.

(2) سورة البقرة، سورة الأنفال، سورة آل عمران، سورة الأحزاب، سورة الممتحنة، سورة النساء، سورة الزلزلة، سورة الحديد، سورة محمد، سورة الرعد، سورة الرحمن، سورة الإنسان، سورة الطلاق، سورة البينة، سورة الحشر، سورة النصر، سورة النور، سورة الحج، سورة المنافقون، سورة المجادلة، سورة الحجرات، سورة التحريم، سورة التغابن، سورة الصف، سورة الجمعة، سورة الفتح، سورة التوبة، سورة المائدة.

(3) سورة الأحزاب، الآيات 37-40.

أوّلاً: بكفّار قريش ومشركيها الذين خاض ضدّهم مواجهات عسكريّة وأمنيّة عدّة، ابتداءً بواقعة بدر في العام الثاني للهجرة: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾(1)، إلى واقعة أُحد في العام الثالث للهجرة: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(2)، إلى واقعة الأحزاب في العام الخامس للهجرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ

(1) سورة آل عمران، الآيات 121-126.
(2) سورة آل عمران، الآيات 139-144.

ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ
وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ
بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ
مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا
جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا
ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ
أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ
يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ
وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ
عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا
عَزِيزًا﴾[1]، إلى حادثة الحديبيّة[2] وإبرام الصلح مع قريش في العام السادس للهجرة:
﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ
رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[3]،
إلى فتح مكّة في العام الثامن للهجرة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا

---

(1) سورة الأحزاب، الآيات 9-25.

(2) وقد بايع المسلمون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبلها ببيعة الرضوان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

(3) سورة الفتح، الآية 27.

تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ [1] وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾[2]، إلى غزوة ذات السلاسل على أهل وادي اليابس على الحدود الشماليّة للجزيرة العربيّة في العام الثامن للهجرة: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾[3]، إلى غزوة حنين في العام الثامن للهجرة: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4].

وثانياً: باليهود الناكثي العهود، والمتآمرين على الإسلام مع كفّار قريش والمنافقين في المدينة، فخاض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ضدّهم مواجهات عسكريّة وأمنيّة عدّة، بدأها مع بني قينقاع في العام الثاني للهجرة: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[5]، ثمّ مع بني النضير في العام الثالث للهجرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾[6]، ثمّ مع بني قريظة في العام الخامس للهجرة: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ۝٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ

---

(1) المراد بذنبه صلى الله عليه وآله وسلم هو خصوص التُّهَم والافتراءات التي كان يواجهه بها كفّار مكّة ومشركوها، فلمّا تحقّق له الفتح والنصر عليهم، أزال الله تعالى عنه هذا العبء الثقيل ورفع ذكره في العالمين: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ (سورة الشرح، الآيات 2-4).

(2) سورة الفتح، الآيات 1-3.

(3) سورة العاديات، الآيات 1-5.

(4) سورة التوبة، الآيتان 25-26.

(5) سورة الحشر، الآية 15.

(6) سورة الحشر، الآيتان 2-3.

وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا﴾[1]، ثمّ مع يهود خيبر في العام السابع للهجرة: ﴿سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[2]. وصالح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعض اليهود؛ كيهود أرض فدك، ووهب أرضهم لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[3].

وثالثاً: بالنصارى الذين شكّكوا بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعاليم دينه، فدعاهم إلى المباهلة، وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك.

ورابعاً: بالمنافقين الذين يعلنون الإسلام ويستبطنون الكفر، وكانوا يتآمرون على الإسلام والمسلمين مع اليهود وكفّار قريش ومشركيها: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[4]، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾[5]، فواجههم بفضحهم أمام المسلمين بأوصافهم وأفعالهم: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾[6]، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ

(1) سورة الأحزاب، الآيتان 26-27.
(2) سورة الفتح، الآية 15.
(3) سورة الحشر، الآية 7.
(4) سورة الحشر، الآية 11.
(5) سورة آل عمران، الآية 173.
(6) سورة التوبة، الآية 64.

لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾[2].

وخامساً: بإمبراطوريّة الروم على التخوم الشماليّة للدولة الإسلاميّة، فخاض معهم مواجهات عسكريّة وأمنيّة، منها غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[3]. وبعد أن رجع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك، كان المنافقون قد بنوا مسجداً قرب مسجد قبا؛ ليصدّوا الناس عنه، فأمر الله تعالى نبيّه بإحراقه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[4]. وفي هذه المواجهات، انتصر المسلمون على أعداء الدين الخارجيّين، واستتبّ الأمر لهم، ورجعوا إلى مكّة المكرّمة، وطهّروا الجزيرة العربيّة من الكفر والشرك، فلا خوف على الإسلام بعد ذلك

(1) سورة المنافقون، الآيات 1-4.
(2) سورة النساء، الآيتان 142-143.
(3) سورة التوبة، الآيتان 41-42.
(4) سورة التوبة، الآيات 107-110.

منهم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾(1).

وبعد أن استقرّ أمر الإسلام في الجزيرة العربيّة، أرسل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رسائل إلى ملوك الإمبراطوريّات المحيطة بجزيرة العرب، فأرسل رسالة إلى كسرى ملك الفرس(2)، وإلى قيصر الروم(3)، وإلى المقوقس حاكم مصر(4)، ومن قبل ذلك أرسل رسالة إلى النجاشي ملك الحبشة(5)، ولكنّ أمر الإسلام بقي أمامه عقبة ومانع يتمثّل في عدوّ الداخل، وهو حركة النفاق التي كانت تُنذِر بانحراف المسلمين من بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فأمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بالإعلان الرسميّ القاطع أمام المسلمين عن ولاية الإمام عليّ عليه السلام من بعده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(6)، بعدما هيّأهم لتلقّي هذا الأمر منذ بداية دعوته، من خلال تأكيده في مناسبات عدّة على ولاية الإمام عليّ عليه السلام والأئمّة من وِلْده من بعده. ولمّا كانت حجّة الوداع في العام العاشر للهجرة، وبعد أنْ أنهى المسلمون مناسك الحجّ، أمرهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالتوجّه إلى غدير خمّ، وهناك أعلن عن هذا الأمر الإلهيّ بولاية الإمام عليّ عليه السلام، وطلب منهم مبايعته على ذلك، فبايعه المسلمون جميعاً، فكانت الإمامة والولاية كمال الدين وتمام النعمة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(7)، وضمانة فلاح مشروع الاستخلاف الإلهيّ للإنسان في الأرض بمحوريّة الولاية فيه.

---

(1) سورة المائدة، الآية 3.
(2) الأحمديّ الميانجي، علي مكاتيب الرسول، ط1، لا م، دار الحديث، 1998م، ج2، ص316.
(3) المصدر نفسه، ص390.
(4) المصدر نفسه، ص416-417.
(5) ابن حبّان، محمد، كتاب الثقات، ط1، الهند - حيدر آباد الدكن، مؤسّسة الكتب الثقافية؛ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، 1393هـ.ق، ج2، ص8-9.
(6) سورة المائدة، الآية 67.
(7) سورة المائدة، الآية 3.

وقد انطلق النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته في المرحلتين المكّيّة والمدنيّة من منطلق وحدة الدين: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[1]، والإقرار بالأنبياء والرسل عليهم السلام السابقين عليه برسالاتهم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[2]، وتبشير الرسالات السماويّة السابقة به: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[3]، داعياً إلى الله على بصيرة من أمره: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[4]. وحاملاً مسؤوليّة تعليم الأمّة وتربيتها وتزكيتها: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾[5]، ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[6]، وسالكاً منهج الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالأحسن: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[7]، فبذل بالغ الجهد في دعوة الناس إلى الله تعالى من

---

(1) سورة الشورى، الآية 13.
(2) سورة البقرة، الآية 285.
(3) سورة الأعراف، الآية 157.
(4) سورة يوسف، الآية 108.
(5) سورة البقرة، الآية 151.
(6) سورة آل عمران، الآية 164.
(7) سورة النحل، الآية 125.

منطلق حرصه على مصلحتهم ورأفته ورحمته بهم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]؛ حتّى إنّه كان يحزن كثيراً من كفر بعضهم وإعراضهم عن الحقّ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[3]، ولم يكنْ ليهادن أحداً أو يساومه في دعوته إلى الحقّ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[4]، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[5].

وبعد أنْ أنجز النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم مهمّته التبليغيّة، اختاره الله تعالى، فارتحل إلى الملأ الأعلى في الثامن والعشرين من شهر صفر من العام الحادي عشر للهجرة.

دروس وعبر من قصّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن

بعد التأمّل في ما ورد من قصّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم، يمكن استلهام جملة من الدروس والعِبَر والسنن، منها:

-وحدة الدين بين الرسالات السماويّة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

(1) سورة التوبة، الآية 128.
(2) سورة الشعراء، الآية 3.
(3) سورة فاطر، الآية 8.
(4) سورة القلم، الآيتان 8-9.
(5) سورة البقرة، الآية 120.

-يوجد تكامل بين الشرائع، فاللاحقة تنسخ السابقة وتهيمن عليها: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

-فطريّة الدين: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

-السُنّة الإلهيّة جارية في الاجتماع الإنسانيّ في إرسال الرسل عليهم السلام للتبشير والإنذار: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ﴾، ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

-السُنّة الإلهيّة جارية في إرسال الرسل عليهم السلام من أقوامهم: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

-التربية والتعليم لا ينفصلان: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

-الارتباط بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، بما يمثّله من نهج للحقّ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

-الموت أمر حتميّ مقدّر ومقضيّ، لا مفرّ منه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾.

-بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعمة كبيرة تستوجب الشكر: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

-الإنسان بسوء أفعاله ونيّاته يُحرَم الخير، ويستجلب الشرّ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾.

-كفران الإنسان يرتدّ عليه خسرانا مُبيناً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

-ما على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلّا البلاغ، وهو أمين على التبليغ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾.

-على الداعي أنْ لا يساوم أو يهادن في دعوته إلى الحقّ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

-على الداعي احتضان المؤمنين، وخفض الجناح لهم، والتعامل معهم برحمة ورأفة: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

-على الداعي تحرّي العفو والصفح، والإعراض عن مجادلة الجاهلين: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾.

-على الداعي أن يصدر في دعوته بقوّة، وثبات موقف: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

-على الداعي أن يصبر على أذى قومه في دعوته إيّاهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾، ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

-ذِكْر الله تعالى يمنح الداعي الصابر الثباتَ أمام أذى الناس: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن

مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾.

-عباد الله المُخلصون لا يرون لأنفسهم شأناً وأمراً مع الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

-ذِكْر الله تعالى أمان من نزع الشيطان ووسوسته: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

-على الإنسان أن يقنع بما آتاه الله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾.

-الله تعالى يتعهّد أولياءه بالرعاية والتربية والحفظ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾.

-الله تعالى يدفع السوء عن أوليائه: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

-الله تعالى ينصر رسله عليهم السلام ويعزّهم ويرفع ذِكْرهم: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾، ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾.

-ولاية الله تعالى أمان من الخسران: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

-الصلاة مدد إلهيّ غيبيّ للإنسان: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ

رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ۝٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾.

-الله تعالى يرتضي الصلاح النوعيّ لا الكمّيّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

-الصلاة عنوان للعلاقة بين الإنسان وربّه، والزكاة عنوان لعلاقته مع أخيه الإنسان: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

-الإنسان الغافل لا يعتبر بالبلاء: ﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

-التقليد الأعمى يصدّ الإنسان عن الحقّ: ﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨٣ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

-ضرورة مراعاة الأدب في العلاقة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾.

-حرمة إلحاق الأذى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾.

-استحباب الصلاة على النبيّ وآله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

-حرمة إلحاق الأذى بالمؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾.

-التفكّر في أمر، والتشاور فيه مع الآخرين، يفتح الآفاق أمام الإنسان لرؤية الحقّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

-حالة اليسر هي الغالبة على الحياة، والعسر أمر طارىء: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

-العسر محفوف ومحاط باليسر دائماً: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

-على الإنسان مضاعفة الجهد، وعدم انتهاج الخمول والكسل بعد الفراغ من العمل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾.

-أداء حقّ شكر المنعم تعالى بأداء حقّ العبوديّة له، والابتهال إليه بالصلاة والدعاء: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

الأفكار الرئيسة

1. هاجر النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، وعندما وصل، عمل على بناء مسجد، وآخى بين المسلمين، وأمر بإعداد جيش الإسلام، وعقد وثيقة مع يهود المدينة؛ حتّى يأمن شرّهم، ويتفرّغ لتأسيس نواة الدولة الإسلاميّة.
2. في بداية الهجرة المباركة، جاءه الأمر الإلهيّ بتغيير قبلة المسلمين من بيت المقدس في فلسطين إلى الكعبة المشرّفة في مكّة.
3. اتّسمت دعوته صلى الله عليه وآله وسلم في المرحلة المدنيّة بتأكيد الأصول العقديّة وتعميقها فكريّاً ومسلكيّاً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأصول القيميّة والأخلاقيّة، والتركيز على تفصيل الأصول التشريعيّة وتكاليفها الفرديّة والاجتماعيّة.
4. واجه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في نشر دعوته وتثبيتها في هذه المرحلة المدنيّة موانع عدّة، تمثّلت أوّلاً بكفّار قريش، وثانياً باليهود، وثالثاً بالنصارى، ورابعاً بالمنافقين، وخامساً بالروم.

فكّر وأجب

1. تكلّم عن السيرة التبليغيّة للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في المرحلة المدنيّة، وعن الدروس والعِبَر المستفادة منها.
2. ما حروبُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومواجهاتُه مع كفّار مكّة ومشركيها؟
3. ما حروب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومواجهاته مع اليهود؟

مطالعة

رسائل النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملوك

- رسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلى كسرى ملك فارس: «**بسم الله الرحمن الرحيم. . . من محمّد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتّبع الهدى. . . وأدعوك بدعاية الله، فإنّي أنا رسول الله إلى الناس كافّة، لأنذر من كان حيّاً، ويحقّ القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإنْ أبيت، فعليك إثم المجوس**»(1).

- رسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلى القيصر ملك الروم: «**بسم الله الرحمن الرحيم. . . إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، فإنّي أدعوك بالإسلام. أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت، فإنّما عليك إثم الأريسيين**»(2).

- رسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشيّ ملك الحبشة: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. من محمّد رسول الله، إلى النجاشيّ ملك الحبشة. إنّي أحمد إليك الله، الملك القدوس السلام المهيمن، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾(3) البتول الطيّبة، فحملت بعيسى. وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، فإنْ تبعتني، وتؤمن بالذي جاءني، فإنّي رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمّي جعفراً، ومعه نفر من المسلمين، والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى**»(4).

فكتب النجاشيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجيباً: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. إلى محمّد رسول الله من النجاشيّ. سلام عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته، الذي لا إله إلّا هو الذي هداني إلى الإسلام. أمّا بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله في ما ذكرت من أمر عيسى، فوربّ السماء والأرض، إنّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً (قِمَع التمرة، وهي ما يكون على أعلى رأسها)، إنّه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقدم ابن**

(1) الميانجي، مكاتيب الرسول، مصدر سابق، ج2، ص316.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص390.
(3) سورة النساء، الآية 171.
(4) ابن حبّان، كتاب الثقات، مصدر سابق، ج2، ص8-9.

عمّك وأصحابك. وأشهد أنّك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابن عمّك، وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين. وقد بعثت إليك يا نبيّ الله، فإنْ شئت أن آتيك، فعلتُ يا رسول الله، فإنّي أشهد أنّ ما تقول حقّ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[1].

(1) المصدر نفسه، ص9.

ملحق

آيات قصص الأنبياء عليهم السلام

النبيّ	السورة	الآيات
النبيّ آدم عليه السلام	سورة البقرة	الآيات 30-39
	سورة آل عمران	الآية 59
	سورة الأعراف	الآيات 11-27
	سورة الحجر	الآيات 26-42
	سورة الإسراء	الآيات 61-65
	سورة الكهف	الآية 50
	سورة طه	الآيات 115-124
النبيّ إدريس عليه السلام	سورة مريم	الآيتان 56-57
	سورة الأنبياء	الآيتان 85-86
النبيّ نوح عليه السلام	سورة آل عمران	الآية 33
	سورة النساء	الآية 163
	سورة الأعراف	الآيات 59-64، 69
	سورة التوبة	الآية 70
	سورة يونس	الآيات 71-74
	سورة هود	الآيات 25-48، 89
	سورة إبراهيم	الآية 9
	سورة الإسراء	الآيتان 2، 17
	سورة مريم	الآية 58
	سورة الأنبياء	الآيتان 76-77
	سورة الحجّ	الآية 42
	سورة الفرقان	الآية 37
	سورة المؤمنون	الآيات 23-29

النبيّ نوح عليه السلام	سورة الفرقان	الآية 37
	سورة الشعراء	الآيات 105-120
	سورة العنكبوت	الآيتان 14-15
	سورة الأحزاب	الآية 7
	سورة الصافات	الآيات 75-83
	سورة ص	الآية 12
	سورة غافر	الآيتان 5، 31
	سورة الشورى	الآية 13
	سورة ق	الآية 12
	سورة الذاريات	الآية 46
	سورة النجم	الآية 52
	سورة القمر	الآيات 9-16
	سورة الحديد	الآية 26
	سورة التحريم	الآية 10
	سورة نوح	الآيات 1-28
النبيّ هود عليه السلام	سورة الأعراف	الآيات 65-72
	سورة هود	الآيات 50-60، 89
	سورة المؤمنون	الآيات 31-41
	سورة الشعراء	الآيات 123-133
	سورة الأحقاف	الآيات 21-26
النبيّ صالح عليه السلام	سورة الأعراف	الآيات 65-72
	سورة هود	الآيات 50-60، 89
	سورة المؤمنون	الآيات 31-41
	سورة الشعراء	الآيات 123-133
	سورة الأحقاف	الآيات 21-26

النبيّ إبراهيم عليه السلام النبيّ إسماعيل عليه السلام النبيّ إسحاق عليه السلام	سورة البقرة	الآيات 124-136، 140، 258-260
	سورة آل عمران	الآيات 33، 65-68، 95-97
	سورة النساء	الآيات 54، 125، 163، 165
	سورة الأنعام	الآيات 75-89
	سورة التوبة	الآيتان 70، 114
	سورة هود	الآيات 69-76
	سورة يوسف	الآيتان 6، 38
	سورة إبراهيم	الآيات 35-41
	سورة الحجر	الآيات 51-60
	سورة النحل	الآيات 120-123
	سورة مريم	الآيات 41-50
	سورة الأنبياء	الآيات 71-50
	سورة الحج	الآيات 26-34
	سورة الشعراء	الآيات 69-89
	سورة العنكبوت	الآيات 16-18، 24-27، 31-32
	سورة الأحزاب	الآية 7
	سورة الصافات	الآيات 83-113
	سورة ص	الآيات 45-47
	سورة الشورى	الآية 13
	سورة الزخرف	الآيات 26-28
	سورة الذاريات	الآيات 24-37
	سورة النجم	الآيات 36-38
	سورة الحديد	الآية 26
	سورة الممتحنة	الآيات 4-6
	سورة الأعلى	الآيات 14-19

النبيّ لوط عليه السلام	سورة الأنعام	الآيات 86-87، 89
	سورة الأعراف	الآيات 70، 74، 80-84، 89
	سورة هود	الآيات 77-83
	سورة الحجر	الآيات 59-74
	سورة الأنبياء	الآيات 71، 74-75
	سورة الشعراء	الآيات 160-173
	سورة النمل	الآيات 54-58
	سورة العنكبوت	الآيات 26، 28-38
	سورة الصافات	الآيات 133-138
	سورة القمر	الآيات 33-39
	سورة التحريم	الآية 10
النبيّ شعيب عليه السلام	سورة الأعراف	الآيات 85-93
	سورة هود	الآيات 84-95
	سورة الشعراء	الآيات 176-189
	سورة العنكبوت	الآيتان 36-37
النبيّ يعقوب عليه السلام النبيّ يوسف عليه السلام	سورة البقرة	الآيات 132-133، 136
	سورة آل عمران	الآيتان 84، 93
	سورة النساء	الآيتان 163، 165
	سورة الأنعام	الآيات 84، 87، 89
	سورة هود	الآية 71
	سورة مريم	الآية 58
	سورة الأنبياء	الآيتان 72-73
	سورة العنكبوت	الآية 27
	سورة ص	الآيات 45-47
	سورة الأنعام	الآيات 84، 87، 89
	سورة يوسف	الآيات 4-102
	سورة غافر	الآية 34

النبيّ أيّوب عليه السلام	سورة النساء	الآيتان 163، 165
	سورة الأنعام	الآيات 84، 87، 89
	سورة الأنبياء	الآيتان 83-84
	سورة ص	الآيات 41-44
النبيّ موسى عليه السلام النبيّ هارون عليه السلام النبيّ يوشع بن نون عليه السلام	سورة البقرة	الآيات 50-61، 63-64، 67-73، 92-93
	سورة النساء	الآيات 153-154، 164-165
	سورة المائدة	الآيات 20-26، 44-45
	سورة الأعراف	الآية 155
	سورة يونس	الآيات 75-93
	سورة الإسراء	الآيات 101-103
	سورة الكهف	الآيات 60-82
	سورة طه	الآيات 9-89
	سورة الشعراء	الآيات 10-66
	سورة النمل	الآيات 7-14
	سورة القصص	الآيات 7-48
	سورة غافر	الآيات 23-27، 53-54
	سورة الزخرف	الآيات 46-56
	سورة الدخان	الآيات 17-24
	سورة النازعات	الآيات 15-25
	سورة الأعلى	الآيات 14-19
النبيّ إسماعيل بن حزقيل عليه السلام	سورة مريم	الآيتان 54-55
النبيّ إشموئيل عليه السلام	سورة البقرة	الآيات 246-248

النبيّ داوود عليه السلام	سورة البقرة	الآية 251
	سورة النساء	الآيتان 163، 165
	سورة المائدة	الآية 78
	سورة الأنعام	الآيات 84، 87، 89
	سورة الإسراء	الآية 55
	سورة الأنبياء	الآيات 78-80
	سورة النمل	الآيتان 15-16
	سورة سبأ	الآيتان 10-11
	سورة ص	الآيات 17-26، 30
النبيّ سليمان عليه السلام	سورة البقرة	الآية 102
	سورة النساء	الآيتان 163، 165
	سورة الأنعام	الآيات 84، 87، 89
	سورة الأنبياء	الآيات 78-79، 81-82
	سورة النمل	الآيات 15-44
	سورة سبأ	الآيات 12-14
	سورة ص	الآيات 30-40
النبيّ إلياس عليه السلام	سورة الأنعام	الآيتان 85، 87
	سورة الصافات	الآيات 123-132
النبيّ ذو الكفل عليه السلام	سورة الأنبياء	الآيتان 85-86
	سورة ص	الآية 48
النبيّ اليسع عليه السلام	سورة الأنعام	الآيات 86-87، 89
	سورة ص	الآية 48
النبيّ يونس عليه السلام	سورة النساء	الآيتان 163، 165
	سورة الأنعام	الآيات 86-87، 89
	سورة يونس	الآية 98
	سورة الأنبياء	الآيتان 87-88
	سورة الصافات	الآيات 139-148
	سورة القلم	الآيات 48-50

النبيّ زكريّا عليه السلام النبيّ يحيى عليه السلام	سورة آل عمران	الآيات 37-41
	سورة الأنعام	الآيات 85، 87، 89
	سورة مريم	الآيات 2-15
	سورة الأنبياء	الآيتان 89-90
النبيّ عيسى عليه السلام	سورة البقرة	الآيات 87، 136، 253
	سورة آل عمران	الآيات 45-61
	سورة النساء	الآيات 157-159، 163، 165، 171-172
	سورة المائدة	الآيات 17، 46-47، 72-73، 75، 78، 110-118
	سورة الأنعام	الآيات 85، 87، 89
	سورة التوبة	الآيتان 30-31
	سورة مريم	الآيات 27-34
	سورة المؤمنون	الآية 50
	سورة الأحزاب	الآية 7
	سورة الشورى	الآية 13
	سورة الزخرف	الآيات 57-64
	سورة الحديد	الآية 27
	سورة الصف	الآيتان 6، 14
النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم	سورة البقرة	الآيات 119-120، 151، 285
	سورة آل عمران	الآيات 144-145، 164
	سورة النساء	الآيات 41-42، 54، 79-80، 163-166، 170
	سورة المائدة	الآية 67
	سورة الأنعام	الآيات 50-52، 87-90، 162-164
	سورة الأعراف	الآيات 93، 157-158، 184، 188، 199-200
	سورة التوبة	الآيات 33، 28-29

النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم	سورة الحجر	الآيات 88، 90-99
	سورة النحل	الآية 89
	سورة الإسراء	الآيات 1، 47-48، 73-81
	سورة الكهف	الآية 110
	سورة طه	الآيتان 113-114
	سورة الأنبياء	الآيات 34-35، 107-109
	سورة الحج	الآية 78
	سورة المؤمنون	الآيات 68-96
	سورة الفرقان	الآيات 7-11، 20، 41-43، 56-58
	سورة الشعراء	الآيات 3، 213-220
	سورة القصص	الآيات 85-88
	سورة العنكبوت	الآيتان 47-48
	سورة الأحزاب	الآيات 1-6، 33، 37-40، 45-48، 50-58
	سورة سبأ	الآيات 20، 46-50
	سورة فاطر	الآيات 23-26
	سورة يس	الآيات 3-11
	سورة ص	الآيات 86-88
	سورة الزمر	الآيات 11-15، 30-31
	سورة فصّلت	الآية 6
	سورة الشورى	الآيات 24، 51-53
	سورة الدخان	الآية 58
	سورة محمّد	الآية 2
	سورة الفتح	الآيات 1-3، 8-10، 28-29
	سورة الذرايات	الآيتان 54-55
	سورة الطور	الآيات 29-31، 48-49
	سورة النجم	الآيات 1-18

النبيّ محمّد ﷺ	سورة الحديد	الآيتان 8-9
	سورة الطلاق	الآية 11
	سورة التحريم	الآيات 1-5
	سورة القلم	الآيات 2-9، 12
	سورة الحاقّة	الآيات 38-47
	سورة الجنّ	الآيات 20-23
	سورة المزمّل	الآيات 1-10، 20
	سورة المدّثّر	الآيات 1-7
	سورة الإنسان	الآيات 23-24، 26
	سورة التكوير	الآيات 21-25
	سورة الضحى	الآيات 1-11
	سورة الشرح	الآيات 1-8
	سورة البيّنة	الآيات 1-3
	سورة الكوثر	الآيات 1-3

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

-الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، الخصال، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، لا ط، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1403هـ.ق/ 1362هـ.ش.

-الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، لا ط، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1405هـ.ق/ 1363هـ.ش.

-الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاريّ، لا ط، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1379هـ.ق/ 1338هـ.ش.

-الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، ط1، قم المقدّسة، مؤسّسة البعثة، 1417هـ.ق.

-الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، التوحيد، تصحيح وتعليق هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، لا ط، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، لا ت.

-الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح وتعليق وتقديم حسين الأعلميّ، لا ط، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، 1404هـ.ق/ 1984م.

-الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، ط2، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، لا ت.

-ابن حبّان، محمد، كتاب الثقات، ط1، الهند - حيدر آباد الدكن، مؤسّسة الكتب الثقافية؛ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، 1393هـ.ق.

-ابن شهرآشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، تصحيح وشرح ومقابلة لجمة من أساتذة النجف الأشرف، لا ط، النجف الأشرف، المطبعة الحيدريّة، 1376هـ.ق/ 1956م.

-ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، لا ط، قمّ المقدّسة، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1404هـ.ق.

-ابن كثير، إسماعيل، قصص الأنبياء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط1، مصر، دار التأليف؛ دار الكتب الحديثة، 1388هـ.ق/ 1968م.

-الأحمديّ الميانجي، عليّ، مكاتيب الرسول، ط1، لا م، دار الحديث، 1998م.

-الراغب الأصفهانيّ، حسين بن محمّد ، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط2، قم المقدّسة، مطبعة سليمانزاده؛ طليعة النور،1427هـ.ق.

-الأندلسيّ، أبو حيّان، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود؛ وآخرون، ط1، بيروت، دار المكتبة العلميّة، 1422هـ.ق/ 2001م.

-تفسير الإمام العسكريّ، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهديّ (عج)، ط1، قمّ المقدّسة، مطبعة مهر، 1409هـ.ق.

-الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، تقديم: شهاب الدين المرعشيّ النجفيّ، تخريج أحاديث علاء الدين الأعلميّ، ط1، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، 1425هـ.ق/ 2004م.

-الحميري، ابن هشام، السيرة النبويّة، تحقيق وضبط وتعليق محمّد محيي الدين عبد الحميد، لا ط، القاهرة، مطبعة المدنيّ؛ مكتبة محمّد عليّ صبيح وأولاده، 1383هـ.ق/ 1963م.

-الراوندي، قطب الدين، قصص الأنبياء، تحقيق غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، ط1، قم المقدّسة، مؤسّسة الهادي، 1418هـ.ق/ 1376هـ.ش.

-الطباطبائي، السيد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، لا ط، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، لا ت.

-الشيخ الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحقّقين، ط1، بيروت، مؤسّسة

الأعلميّ،1415هـ.ق/ 1995م.
-الطبريّ، محمّد بن جرير، تاريخ الملوك والأمم، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء، ط4، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، 1403هـ.ق/ 1983م.
-الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ط2، طهران، مطبعة چاپخانهء طراوت؛ مرتضوي، 1362هـ.ش.
-الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة، ط1، قمّ المقدّسة، دار الثقافة، 1414هـ.ق.
-الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العامليّ، ط1، طهران، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1409هـ.ق.
-الشريف الرضي، محمّد بن الحسين، نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه)، شرح محمّد عبده، ط1، قمّ المقدّسة، دار الذخائر؛ مطبعة النهضة، 1412هـ.ق/ 1370هـ.ش.
-العياشيّ، محمّد بن مسعود، تفسير العياشيّ، تحقيق وتصحيح وتعليق هاشم الرسوليّ المحلاتي، لا ط، طهران، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، لا ت.
-الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزوميّ، إبراهيم السامرائي، ط2، لا م، مؤسّسة دار الهجرة؛ مطبعة الصدر، 1410هـ.ق.
-القمّيّ، عليّ بن إبراهيم، تفسير القمّيّ، ط3، تصحيح وتعليق وتقديم طيب الموسويّ الجزائريّ، قمّ المقدّسة، مؤسّسة دار الكتاب، 1404هـ.ق.
-الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، ط5، طهران، دار الكتب الإسلاميّة؛ مطبعة حيدري، 1363هـ.ش.
-المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، تحقيق يحيى العابدي الزنجانيّ، ط2، بيروت، مؤسّسة الوفاء، 1403هـ.ق/ 1983م.
-المفيد، الشيخ محمّد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاريّ؛ محمود الزرندي، ط2، بيروت، دار الشيخ المفيد، 1414هـ.ق/ 1993م.

مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية

مِنْ مؤسّساتِ جمعيّةِ المعارفِ الإسلاميّةِ الثقافيّةِ، متخصّص بإعدادِ المناهجِ وتدوينِ المتونِ التعليميّةِ، وفقَ المنهجيّةِ العلميّةِ والرؤيةِ الإسلاميّةِ الأصيلةِ.



جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان ـ بيروت ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb

ISBN: 978-614-467-089-7

